العـــدد: خاص
إبريل 2025

مجلة كلية التربية العلمية

مجلة تربوية علمية محكمة
نصف سنوية تعنى بنشر الأبحاث العلمية

عدد خاص
بالمؤتمر العلمي الدولي الأول للسانيات الحديثة واللغة العربية
22-23 /أكتوبر/ 2023 م

E-ISSN(0377-2791)
L-ISSN(7773-2959)
Legal Deposit Number390/2022

Publication fees: Free
Editor-in-Chief: Prof. Younis Ibrahim Mousa
Science Journal of Faculty of Education- University of Benghaz

Email: faculty.edu.journal@uob.edu.ly
Website:https://journals.uob.edu.ly/FESJ/index
Phone0925124349

E-ISSN(0377-2791)
L-ISSN(7773-2959)
Legal Deposit Number390/2022

Publication fees: Free
Editor-in-Chief: Prof. Younis Ibrahim Mousa
Science Journal of Faculty of Education- University of Benghaz

Email: faculty.edu.journal@uob.edu.ly
Website:https://journals.uob.edu.ly/FESJ/index
Phone0925124349

مجلّة كليّة التربية العلميّة

مجلة تربوية علمية محكمة

نصف سنوية تعنى بنشر الأبحاث العلمية

عدد خاص بالمؤتمر العلمي

الدولي الأول للسانيات الحديثة واللغة العربية

23-22/أكتوبر/2023م

تحت شعار

خطوة نحو التكامل المعرفي

وفتح آفاق جديدة في البحث العلمي

الإيداع
جامعة بنغازي- كلية التربية بنغازي
الترقيم الدولي الإلكتروني: (E-ISSN(2791-0377
الترقيم الدولي الموحد: (L-ISSN(2959-7773
رقم الإيداع الوطني بدار الكتب الوطني: 2022/390

إن البحوث والدراسات والمقالات المنشورة تعبر عن آراء كتابها
ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة أو كلية التربية- جامعة بنغازي

This allow reusers to copy, download and distribute original
work but only for noncommercial purposes
with appropriate attribution. No Derivative Works.

المراسلات: باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني
أو التسجيل بالموقع الإلكتروني:
faculty.edu.journal@uob.edu.ly
https://journals.uob.edu.ly/FESJ

تنظيم قسم اللغة العربية
بكلية التربية - جامعة بنغازي

بالتعاون مع مركز أبحاث اللغة العربية
بالاتحاد العالمي للمثقفين العرب

ملاحظة: المشاركة مجانا بدون رسوم

المؤتمر العلمي
الدولي الأول للسانيات الحديثة واللغة العربية

تحت شعار

خطوة نحو التكامل المعرفي
وفتح آفاق جديدة في البحث العلمي

23-22/أكتوبر/2023م

هيئة تحرير المجلة:

أ. د. يونس إبراهيم موسى أبو مصطفى	رئيس التحرير
د. عبد النّاصر سعيد البركي	مدير التحرير
أ.د.عقيلة علي العبّار	عضوا
د. سليمة فرج زوبي	عضوا
د. فتحي يونس الفيتوري	عضواً
د. سليمة عمر بن قدارة	عضوا
د. المبروك سعيد سلطان	عضواً
د. بثينة علي بو خطوة	عضواً
د. وفاء علي الخيتوني	عضواً

المراجعة والتدقيق اللغوي للمجلة:

د. محمّد علي عبد الوهّاب.

أ. حنان ناجي الشطشاط.

الهيأة الإستشارية للمجلة:

أ. د. عبد الرّحيم محمّد البدري.

أ. د. رمضان سعد كريم.

أ. د. نوري إبراهيم الوافي.

أ. د. سعدية حسين البرغثي.

أ. د. محمّد علي الخزعلي.

أ. د. نظمي أبو مصطفى.

أ. د. محمد رقص.

أ. د. يعقوب البرعصي.

أ. د. بلقاسم علي الذرعاني.

أ.د. ممدوح محمد سالم السراج.

أ.د سعيد بن سلمان الظفري.

اللجنة العلمية للمؤتمر:

د.مريم بيد الله الحجازي	رئيس المؤتمر
أ.د.محمد الخزعلي	رئيس اللجنة العلمية
د.فرج صالح العمامي	رئيس اللجنة التحضرية
أ.سالمة رمضان لاغا	رئيس اللجنة الإعلامية

فهرس المحتويات

ز-م	الموضوع	الترقيم
01	كلمة رئيس المؤتمر	10
02	كلمة رئيس اللجنة العلمية	12-11
03	افتتاحية العدد	13
04	آفاقُ التّحليل اللّسانيّ، ومِسبارُ قِياساتِ المَعنى (في النّظريّة البنيوية التكوينيّة) د. أحمد محمد ربيع حسن	25-14
05	الاتساق النصي في قصة مرايا فينيسيا لأحمد إبراهيم الفقيه د. حليمة أحمد محمد إمبيص	46-26
06	الربط النصي الدلالي. المفاهيم والإجراء. د. عادل محمد يوسف الناجم	68-47
07	قضايا اللسانيات الاجتماعية بين التراث واللسانيات الحديثة د. محمود عادل عبد الحليم الفقي	91-69
08	محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية أ. فدوى إبراهيم ثابت	103-92
09	الواقعيّة والاسميّة في مشروع محمد محمد يونس اللساني م.م سعد رفعت سرحت	129-104
10	مفهوم التناظر بين الدّراسات القرآنية والنظريات اللّسانية الحديثة د. عائشة محمد وقاد	144-130
11	المصطلحات اللسانية المفاهيم والجذور والحداثة العربية د. علي محمود الأصمعي إسماعيل، أ.د.أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد.	162-145

كلمة رئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرنا في هذا المقام أن نحتفي بصدور العدد الخاص بأعمال مؤتمر (اللسانيات الحديثة واللغة العربية) تحت رعاية أم الجامعات ؛ جامعة بنغازي ، المنعقد في (17-18 ديسمبر 2023) تحت شعار (خطوة نحو التكامل معرفي) ، الذي انطلق من أنّ اللغة ليست مجرد أداة للتواصل فقط؛ بل هي منظومة إدراكية ، تعكس بنية الفكر وتشكّل فهمنا للواقع ، فهي الجسر الذي يربط بين العلوم جميعا ، فمن خلالها يصاغ المنطق، وتُبنى الفرضيات وتتشكّل المفاهيم الفلسفية ، فهي تتقاطع مع علم النفس في فهم آليات الإدراك ، ومع علم الأعصاب في استكشاف أنماط المعالجة الدماغية للكلام ؛ ومع القانون للوصول إلى صياغات دقيقة تخدم المدونة القانونية وترسي مبادىء العدالة ، ومع الحاسوب والجغرافيا ، بل تمتد حتى للفيزياء.

فاللغة ليست انعكاسا للفكر فقط ؛ بل تُسهم في تكوينه، ولعلنا – من خلال أعمال هذا المؤتمر- نقرب هذه المسافة بين اللغة والعلوم الأخرى، ونفهم هذا التشابك العميق بينها ؛ ونعمق الصلة بينها ؛ سعيا للانفتاح على أبعاد جديدة تثري المعرفة الإنسانية .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أجزل الشكر للسادة القائمين على مجلة كلية التربية الموقرة ، وعلى رأسها أ د يونس إبراهيم أبو مصطفى، الذي تابع صدور هذا العدد الخاص بأعمال المؤتمر ، ود فائزة الفاخري لجهودها الكبيرة ، وأيضا الدكتور مشاالله الزوي رئيس مجلات جامعة بنغازي، وقد يؤخر من هو في منزلة التقديم السيد المحترم رئيس جامعة بنغازي الموقر الذي رعى هذا المؤتمر مذ كان فكرة حتى استوى على سوقه، فله كل الشكر والامتنان وجعل الله هذا العمل في موازين الحسنات

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

د.مريم بيد الله الحجازي

كلمة رئيس اللجنة العلمية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله حمدًا لا ينقضي، وأشكره شكرًا لا ينتهي، سبحانه لا أحصي عليه ثناءً، وأصلّي وأسلّم على نبيه الأغرّ الذي تركنا على المحجة البيضاء، والعقيدة الغراء سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم بعثنا وبعثهم.

وبعد ...فلا يخفى على العاملين في ميادين العربية أنها ذات تأثير وتأثر بغيرها من اللغات والعلوم المتصلة بها بسبب، وكذلك الثقافات المختلفة بين ظهرانيها أو الواقعة في نطاقها الأقليمي، شأنها شأن غيرها من اللغات الحية، وانمازت عن غيرها بأنها ثابتة لم تتغير منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وأنها غير عاجزة عن احتواء العلوم الحديثة ومصطلحاتها، والحديث عن ذلك يطول، وإذا كانت هذه العلاقات ذات أهمية لدارسي اللغات والعلوم فلا غرو أن العلاقة الجوهرية بين اللغة العربية واللسانيات الحديثة على وجه الخصوص تأتي على رأس تلك العلاقات الحرية بالاهتمام والدراسة؛ لخصوبة الميدان وبِكْرِ الجوانب التي تشملها تلك العلاقة، فاللسانيات ـ كما يقولون ـ علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، وتسعى إلى معرفة أسرارها كونها ظاهرة إنسانية عامة، إذ برز علماء في اللسانيات الحديثة أمثال دو سوسير، ونعوم تشومسكي، وعبدالرحمن حاج صالح الملقب بأبي اللسانيات، وغيرهم كثير، فطرقوا أبوابًا جديدةً تمس اللغات من جوانب معينة، ففتحوا بذلك سبلًا نهجها الباحثون من بعدهم.

من هنا جاءت فكرة عقد مؤتمر يجلّي العلاقة بين اللسانيات الحديثة واللغة العربية على وجه الخصوص، وبدأنا في استقبال أبحاث المشاركين من كل فجٍّ عميق، منها ما قُبل، ومنها ما عُدِّل، ومنها ما رفض لبعده عن محاور المؤتمر المعلن عنها آنفًا، وهنا يستوجب المقام أن أقدّم كل عبارات الشكر والثناء إلى كل أعضاء اللجنة العلمية الموقرة الذين قدموا جهودًا أسطورية في سبيل تقويم أبحاث المشاركين ملتزمين بالوقت المحدد للتقويم، كما لا يفوتني أن أقدّم الشكر الجزيل إلى أ.د/ رئيس جامعة بنغازي، و د/ عميد كلية التربية، و د/ رئيس قسم اللغة العربية ، و د/ رئيسة المؤتمر على ثقتهم الغالية بنا حين كلفونا برئاسة اللجنة العلمية لهذا المؤتمر الموقر، وعلى دعمهم المتواصل للجنة العلمية، والشكر

موصول لكل الباحثين والباحثات على ما أعطوا من أوقاتهم الثمينة وجهودهم المباركة لأبحاثهم الرصينة ما جعل هذا المؤتمر يستوي على سوقه, وينال نجاحًا باهرًا، آملين من الجهات ذات الاختصاص أن تهتم بمخرجات هذا المؤتمر ونتائجه المهمة التي يجب أن تبنى عليها قرارات نستفيد بها في علاج بعض تحديات اللغة العربية، وتُثرى بها مكتباتنا الخاصة والعامة، اللهم هذا جهد المقلين، وحسبنا أن طرقنا أبوابًا وفتحنا سُبلًا ، وما التوفيق إلا من عندك سبحانك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د.محمد الخرعلي

افتتاحية العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلّة كليّة التربية العلميّة مجلة نصف سنويّة، ولكنُها تصدر عددًا خاصًا بالمؤتمر الأول للّسانيات الحديثة واللّغة العربيّة، الّذي عقده قسم اللّغة العربية بكليّة التَّربية جامعة بنغازي بتاريخ 22 -32 أكتوبر 3202م، بناء على طلب رئيس المؤتمر، وقد وافقت لجنة متابعة عمل مجلّات جامعة بنغازي على نشر بعض أبحاث هذا المؤتمر، الّتي لم تتجاوز نسبة الاستلال العلميُّ فيها 02٪، على أن تحكّم مرّة أخرى من مُحكِّمَين.

يصدر هذا العدد الخاص بالمؤتمر الأوّل اللّسانيات الحديثة، ويضم ثمانية أبحاث في علم اللّسانيات الحديثة واللّغة العربيّة.

أ.د.يونس أبو مصطفى

رئيس هيئة تحرير المجلة

آفاقُ التّحليل اللّسانيِّ، ومِسبارُ قِياساتِ المَعنىٰ (في النّظريِّة البنيوية التكوينيِّة)

د. أحمد محمد ربيع حسن*

* عضو هيأة تدريس بجامعة خاتم المرسلين

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول البحث مفهوم الحداثة لِمَا أضافتهُ الدِّراسات اللّسانيَّة الحَديثةُ بمثابة استراتيجية وتحول فكري يعمل بصفته مقولة فلسفية شمولية ذات قوة تطبع الأشياء بطابعها وتجعل من الضروري إعادة تشكيل نظرة العقل للعالم، فَعُمق الحداثة هو عُمق فكري فلسفي ضربَ بقوة كل التصورات السابقة للعالم، وتناول البحث أيضًا المدرسةُ البِنائيةُ (البِنيويةُ)، مُتبنًّيا الحديثَ عن عِنايتِها بالظَّواهر التكوينيَّة اللّغويَّة؛ في ثلاثةِ محاورَ أسَاسيَّة، مُعوَّلها علىٰ الدَّرس اللّسانيِّ الحداثي.

Horizons of Linguistic Analysis and the Probe of Meaning Measurements In the Structuralist Theory

* Dr. Ahmed Mohamed Rabie Hassan

Faculty Member at Khatam Al-Mursaleen University

Abstract:

Research deals with the concept of modernity as a strategy and intellectual transformation which is added by modern linguist studies, acting as a holistic philosophical saying with the power to characterize objects and make it necessary to reconstruct the mind's view of the world. The depth of modernity is the philosophical depth of modernity, striking hard at all previous conceptions of the world. It also deals with structuralism, adopting a discourse about structural phenomena; In three main areas, relying on modern linguistics.

مقدمة

إنّ الاستشكالاتِ التي يتضمّنها أيٌّ من النصوص الإبداعيّة في تضاعيفِه، وبنائِه المُعمّق، تتطلّبُ إعمالَ منهجٍ مَا من المناهجِ النّقدية، أو السَّير قُدُمًا في سبيلِ فكِّ طلاسمِه وتحريرِ مُضمّناته الكامنةِ في أبنيتِه اللُّغويةِ –خاصَّةً– ما تقضِي وجوهٌ أو مُستوياتٌ بحَدِّها لبعضِ النّظريات الّتي من شأنِها تحديدُ مساراتِ الخِطابِ الإبداعيِّ للنصِّ، وتعيينِ مظاهرِ انتماءِ بعضِ أجزائِه إلىٰ بعضٍ، وتدارُكِ ما عَساهُ يَفوتُ علىٰ قارئِه مِن دلالاتِه.

وإنّ لمَا أضافتهُ الدِّراسات اللّسانيَّة الحَديثةُ -في مُختلَفِ تخصاصَاتِها– إلىٰ النّشاطاتِ الإبداعيَّة في التخصص الدقيق للغة، مِن قُدرَةٍ بالغةٍ مَلَّكَتِ القارئَ ناصيةَ النّصِّ اللُّغويِّ والأدبيِّ، جاءتْ عِنايةُ كثيرٍ من المحافلِ بتطبيقِ نظريّات الحقلِ اللّسانيِّ علىٰ اللّغة والأدبِ –علىٰ حَدٍّ سَواءٍ- ومِن ثَمَّ وجدت أنَّا في تلك العِنايةِ ما أتزوَّدُ بهِ في تحليلاتِي لبعضِ هَـٰذِه النَّظَرِّيات، وهي المدرسةُ البِنائيةُ (البِنيويةُ)، مُتبنِّيا الحديثَ عن عِنايتِها بالظَّواهر التكوينيّة اللّغويّة المُنتجةِ لأثَرِها في إظهارِ مراتبِ الاتّصال النّصيِّ بينَ بعضِ أجزاءِ النّصِّ وبَعضِها، وما لَذلكَ مِن دَورٍ فِي توطِّئة أكنافِه للمُرورِ عَبرَ مُكوِّناته الظّواهريّة، مُمَثِّلة في الشّكل والمَضمونِ، وما تمدُّ بهِ القارئَ من مَلكَاتٍ تحليليَّة تصلُ بهِ إلىٰ فهمِ مقاصدِ النّصِّ.

-أسئلَةُ البحثِ:

وكانَ من الطبيعيِّ أن يتطرَّقَ البحثُ لعددٍ مِن الأسئلةِ الّتي يتوخَّى الإجابةَ عنهَا في تضاعيفِ بنائِه، لإبرازِ المَمايزاتِ بينَ ما بَلَغتْه فيهِ من نتائجَ وما توصَّل إليهِ الباحثُونَ في الصَّددِ ذاتِــه وَأهمُّ ما يُمكنُ التعرُّضُ لهُ مِن تلكَ الأسئلةِ:

-ما الفرقُ بينَ النظريةِ البنيويةِ، والبنيويةِ التكوينيَّةِ، في المفهومِ والتّوظيف؟

-هَل هناكَ إضَافةٍ مَلموسةٍ تُحيلُ الباحثَ والنّاقد إلى البنيويةِ التكوينية وإيثارِها عَلى مَا عداهَا من النّظريات التحليليَّة؟

-كيفَ يُمكنُ الإجابةُ عَمَّا يلوح للنّاقد مِن أسئلةٍ حيالَ مَا هو بصددِ تحليلِه مِن النّماذج والنُّصوص الأدبيَّةِ عَلى مُقتضَى هذا النّظريّة، بِمَا يُظهرُ قيمتها في الدّرس اللسانيِّ الحديثِ.

-مَا أهمُّ مُرتكزاتِ هذه النّظرية، وأبرزُ مَلامِحِها، وكيفياتِ تطبيقِها عَلى النصِّ الأدبيِّ؟

-أهداف البحث

يَسعَى البحثُ إلَى جلاءِ المفاهيمِ والمُرتكزاتِ الّتي تتّكئُ عليَها نظريةُ البنيَويَّةِ التكوينيَّةِ في إطارِهَا الإجرائيِّ، وَتحديدِ مَلامِحِ هذه النّظريّة وَمدَى مَا وصلَت إليه معاييرُ بنائِها وآلِيَّاتها اللّسانيةُ في التّطبيق عَلى النُّصوص عَربيًّا وغربيًّا، مِن خلالِ استهدافِ المفهومِ، وتاريخيَّة النّشأة والتّأسيس، وَتحديدِ مُرتكزاتِ النظريةِ.

-منهج البحث

وَتنطلقُ هذه الدراسةُ في رصدِ ظواهرِ المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ وتوضيحِ مقاصدِه، وبيانِ تجلِيَّاته

عَلى الخطابِ الأدبيِّ مِن المنهجِ الاستقصائيِّ المُقارِن، حيثُ أعمدُ مِن خلالِ توظيفِه إلَى الإفصاحِ عَن جدليَّة المفهومِ، وتلقِّيهِ عندَ الغربِ بوصفِه نتاجًا غربيًّا محضًا، وعندَ العربِ، وفقَ تصوُّراتِ اللسانيينَ العربِ عَن ذلكَ المفهومِ، ومُقارنةِ رؤاهم بِمَا تأسَّست عليهِ النُّظرية في نظرةِ غولدمان.

وعلىٰ وفقِ ذلك، يجيءُ البَحثُ في ثلاثةِ محاورَ أساسيَّة، صُعوُلها علىٰ الدَّرس اللّسانيِّ، وهِيَ علىٰ نحوِ ما يأتي:

أولا: البِنيويَّة التكوينيَّة، وظَواهِريَّة اللُّغةِ

ثانيًا: رَوافدُ الشَّكل والمَضمُونِ الأُولىٰ في البِنائيةِ.

ثالثًا: وسَائطُ القارئِ في بلوغِ مقاصدِ النَصِّ بينَ آفاقِ اللُّغة، وبِناءِ الدّلالة.

المَبحثُ الأوَّل

البِنيويَّة التكوينيَّة، وظَواهِريَّة اللُّغةِ

لم تكنِ المفاهيمُ والآلياتُ الإجرائيةُ للمنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ التي تُخضعُ النصوصَ اللغويةَ والأدبيةَ للنظرِ تحت مظلةٍ من هيمنتِها وليدةَ اللحظةِ، بلا باعثٍ عليها ولا دافعٍ إليها، بل إنَّ لطبيعةِ العصرِ ومساقاتِ التجريبِ المنهجيةِ التي خضعت لها اللغةُ في الدراساتِ اللسانية الحديثةِ منذ نشرت مقالاتِ دي سوسور 1916، إلى قريبٍ من هذا الوقتِ، هي ما دفعت اللسانيين وبقوةٍ نحوَ البحثِ عن منهجٍ يلهجُ باسمِ المجتمعِ المنتجِ لمادةِ الأدبِ، بما يعكسُه من تأثيراتٍ على الباثِّ ولغتِه التي يُوظِّفها في خطاباتِه الشعريةِ أو النثريةِ، وإنَّ لذلك النمطِ غيرِ التقليديِّ المُسهمِ في عمليةِ تجليةِ مُعمَّياتِ النصوصِ الأدبيةِ واللغويةِ وكشفِ اللثامِ عن مغازيها امتدادًا قديمًا شكَّل بدَورِه الروافدَ الأولى لهذا المنهجِ، بالكلمةِ الشهيرةِ التي أطَّر من خلالِها أرسطو للعلاقةِ بين الفنِّ والمُجتمعِ، فقولُه: «إنَّ شعرَ الملاحمِ وشعرَ التراجيديا وكذلك الكوميديا، وشعر الديثرامبي، وإلى حدٍّ كبيرٍ أيضًا النفخ في الناي واللعب بالقيتار... كل ذلك -بوجهٍ عامٍّ- أنواعٌ من مُحاكاةِ الواقعِ» (أرسطوطاليس، 1967م: 28)، ولم تقف ملاحظةُ العلاقةِ بين الأدبِ والفنِّ عمومًا والمجتمعِ بكلِّ ما يشتملُ عليهِ من مُقوِّماتٍ تُؤثِّرُ في صياغةِ إنتاجِ الأدبِ وملامحِه وسماتِه الرئيسةِ، بل أخذت في التطورِ الدؤوبِ، فبدأَ جماعةٌ من اللسانيينَ يأخذون على عاتِقِهم العملَ على إبرازِ هيمانات هذه العلاقةِ بينَ اللغةِ والأدبِ من ناحيةٍ والمجتمعِ ومؤثِّراتِه من ناحيةٍ أُخرَى.

وهنا نستعرضُ معًا بعضَ المحاولاتِ التي لاحظت العلاقةَ التكامليةَ بينَ الفنِّ والمجتمعِ، في إطارِها السوسيولوجي الذي يرتكزُ على المناهجِ والنظرياتِ الخاصَّةِ بعلمِ الاجتماعِ، من حيثُ كان «لكلِّ سوسيولوجيا للفكر تقبلُ بوجودِ تأثيرٍ للحياةِ الاجتماعيةِ على الإبداعِ الأدبيِّ»(لوسيان غولد مان،1986م: 13) دورٌ في إبرازِ هذه الدوافعِ السوسيولوجية عبرَ ذلك الوسطِ الأدبيِّ الناقلِ لها.

وذلك من منطلقِ علاقةِ الكاتبِ بالمجتمعِ المحيطِ، فإنَّ لهذا المجتمعِ أبلغَ التأثيرِ في سبرِ أغوارِ خطابِه، وتحليلِ مقاصدِه العميقةِ التي لا تُطلُّ علينا برأسِها في صورةٍ بارزةٍ بُمجرَّدِ ملاحظةِ الظواهرِ اللغويةِ التي تُعتبرُ المُقوِّمَ الأساسيَّ في بناءِ النصِّ، فالوقوفُ على النتاجِ الأدبيِّ باعدادها ثمرةً لمعطياتِ الكاتبِ الذاتيةِ التي اكتسبَها من مُجتمعِه من خلالِ انفعالِه بها وتأثيرِه في شخصِه، ضرورةٌ تمسُّ الحاجةُ إليها، فـ «إنَّ سيرةَ الكاتبِ قد تكون لها أهميةٌ كبيرةٌ، ومن واجبِ مؤرِّخِ الأدبِ أن يفحصَها بعنايةٍ؛ ليرى في كلِّ حالةٍ خاصَّةٍ ما يُمكنُ أن تمدَّه به من تعاليمَ وشروحٍ» (لوسيان غولدمان،1986م: 16)، ومن هنا يُمكنُ تحديدُ الهدفِ من منهجِ البنيويةِ التكوينيةِ في صياغةِ شكلٍ جديدٍ للنصِّ الأدبيِّ –وفقَ رؤيةِ جولدمان.

-أهدافُ البنيويةِ التكوينيَّة

وحيثُ كانت المناهجُ النظريةُ والخطواتُ الإجرائيةُ التي يتضمَّنها كلُّ منهجٍ تعملُ على حلِّ قضيةٍ من قضايا النصِّ، ومحاولةِ سدِّ ثغراتِ العُمقِ اللغويِّ الذي يحتاجُ في الاطلاعِ عليهِ وتجليةِ مقاصدِه إلى إجراءاتٍ محددةٍ تنهضُ بعبءِ تحليلِه، تتمظهرُ الأهدافُ التي من أجلِها عملَ غولدمان على وضعِ الآلياتِ المُشاركةِ لبقيةِ المناهجِ في توضيحِ دوافعِ إنتاجِ النصوصِ وخصائصِها التي تنبني عليها، والإضافةُ التي يُمكنُ القولُ بها في هذا المنهجِ أنَّه: «سعى لإقامةِ توازنًا بينَ العالمِ في صورتِها المحيطةِ بالإنسانِ – في كلِّ اتجاهاتِه، والعالمِ الداخليِّ للمؤلِّفِ والذي يبعثُه على التفاعلِ أو الرفضِ معَ كلِّ تلك المعطياتِ» (المسدي، 1991: 208، بتصرفٍ).

-البنيويَّة التكوينيَّةُ وظَواهريَّةُ اللُّغةِ

أمَّا عن نظرِ البنيويةِ التكوينيةِ لقضيةِ اللغةِ، فكانت تُهيمن على نظرتِها لها تلك التعقيداتُ التي تربطُ النص بينَ الظواهرِ اللغويةِ والتركيبةِ، لا من حيثُ إنَّها لغةٌ تعبيريةٌ يُتوصَّلُ بها إلى المعاني الظاهرة التقريريةِ التي تنطوي عليها اللغةُ، بل من حيثُ التوليدِ الدلاليِّ الذي يُعدُّ مُرتكزَ النظرةِ البنيويةِ التكوينيةِ ودعامتِها الأُمِّ التي تنهضُ عليها في بيانِ العلاقاتِ السوسيولوجيةِ العامَّةِ التي تُحدِّدُ الغايةَ من التوظيفاتِ الظواهريةِ للغةِ في منطقٍ معيَّنٍ لا يركنُ إلى مُجرَّدِ الدلالةِ السطحيةِ التي تؤدِّيها اللغةُ بمفرداتِها وتراكيبِها، فإنَّ غولدمان يسعَى إلى وضعِ هذه الظواهرِ اللغويةِ –من أجلِ الوصُّلِ بها إلى المقاصدِ المنتجَةِ لها- في إطارِها الذهنيِّ والوجدانيِّ، إلى جانبِ مُلاحظةِ البنياتِ التَّاريخيةِ والسلوكيةِ للفردِ المُنتجِ للنصِّ ومدَى تأثُّرِها بعلاقتِه التي تربطُه بهذا المجتمعِ الذي أقحمَ نفسَه في مظاهرِ الدلالةِ المُتوصَّلِ إليها بواسطةِ الوعي الفرديِّ للمؤلِّفِ الذي اعتبرَه انبثاقًا عن الوعي بقضايا المجتمعِ ذاتِ التأثيرِ في إنتاجِه(انظر: لوسيان غولدمان،1986م: 47)، وتلك هي أبرزُ المُدخلاتِ إلى تفسيرِ ظواهرِ اللغةِ في أيِّ من النُّصوصِ على مقتضَى آلياتِ المنهجِ التكوينيِّ

وحيثُ كانت النظرةُ البنيويةُ التكوينيةُ للنصِّ ليست خاضعةً لتحديدِ جودةِ النتاجِ الأدبيِّ وقوَّتِه بحسبِ القيمةِ الظواهريَّةِ للغةِ فيه، نتوقَّف هُنا معَ القوَّةِ الخارجيةِ التي تجعلُ من هذا النصِّ ذا قيمةٍ تخرقُ الاعتيادَ الجاري في النظرياتِ والمناهجِ النقديةِ الأخرى التي تقيسُ جودةَ أو رداءةَ العملِ بمقتضَى التوظيفاتِ اللغويةِ

فيه، وذلك حيثُ تراعَى لغولدمان اعتبارُ هذه القيمةَ شيئًا ثانويًا، أمَّا الشّقةُ النفيسُ الذي يُقيِّم من خلالِه النصُّ، فحُصِر في القيمِ الأُخرى التي ينتظمُها ذلك النصُّ في طيَّاتِه، ممثَّلةً في عالمِ النصِّ الخارجيِّ، فهو الذي وفَّر للكاتبِ المعطياتِ التي تمنحُه قُدرةً مُعيَّنةً على توظيفِ مجموعةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي تُعبِّر عن حقيقةِ هذا التمازجِ بينَ الكاتبِ ومجتمعِه، وبينَ الظواهرِ التي وظَّفها في خطابِه والمجتمعِ أيضًا.

وهنالك تقييماتٌ أخرَى يخضعُ لها العملُ بوصفِه إنتاجًا مجتمعيًّا لا يُعبِّر في ذاتِه عن شخصِ صاحبِه وحسبُ، بل إنَّه يُعبِّرُ عن مقوماتٍ كثيرةٍ أسهمت في إنتاجِه وبلورةِ ملامِحه يجبُ أن تؤخذَ بعينِ الاعتبارِ عندَ النظرِ إليهِ، حيثُ تستتبعُ هذه المقوماتُ مقوِّماتٍ أخرَى فرعيةً تنتمي إلى حقولٍ معرفيةٍ متكاثفةٍ تظهرُ في الإنتاجِ الأدبيِّ ظهورًا ضافيًا، معبِّرةً عن بعضِ القيمِ التي لا يخلو منها عملٌ أدبيٌّ لاسيما القيمِ الجماليةِ التي يُعوَّل في قياساتِها على الجانبِ الخلقيِّ على أنَّ ما ينبغي التنويهُ عنه هنا، أنَّ الاقتصارَ على الجانبِ الخلقيِّ في الحكمِ على نجاحِ العملِ من عدمِه في نظرِ علمِ الجمالِ، غيرِ كافٍ معَ مبادئِ ومنطلقاتِ البنيويةِ التكوينيةِ (انظر: لوسيان غولد مان، 1986م: 50).

وتعيدُنا تلك الأقيسةِ التي تُخضعُ النصَّ الأدبيَّ للتحليلِ عبرَ منهجِ البنيويةِ التكوينيةِ إلى القولِ بأنَّ هذه النظريةَ تُعنَى بتحليلِ النصِّ الأدبيِّ من منظورَينِ:

الأوَّلُ: عُنصرٌ جوهريٌّ يتمثَّلُ في الجهاتِ الخارجيةِ ذاتِ التأثيرِ المباشرِ وغيرِ المباشرِ في الإنتاجِ الأدبيِّ، ويتضمَّن هذا المنظورُ المؤلِّفَ، والظروفَ الاجتماعيةَ والبيئيَّةَ التي تُحيطُ به، وقد فرَّق هذا الجانبُ المُشرقُ من النظريةِ البنيويةِ بينَ المدرسةِ البنيويةِ الشكلانيةِ وتلك التي تصدَّر غولدمان مشهدَ التفسيرِ والتحليلِ الإجرائيِّ فيها، حيثُ تعملُ تلك الأخيرةُ على النظرِ إلى النصِّ باعتبارِه وحدةً مُستقلَّةً، غيرَ أنَّها لا تنفصلُ عن مجتمعِ إنتاجِها ومؤثِّراتِه ومؤلِّفِها وفكرِه؛ ولذا يُطلقُ عليها غولدمان لقبَ البنيويةِ التوليديةِ، من منطلقِ العلمِ بأنَّ «مبدأ التولُّدِ مبدأٌ أساسيٌّ حاسمٌ»(عصفور، 1998م: 83).

والثَّاني: النصُّ الأدبيُّ ذاتُه الذي يُعتبرُ الأصلَ في التحليلِ النقديِّ، فهو ما يتوجَّه إليه الناقدُ منطلقًا من هذه الرؤيةِ الواسعةِ التي انتهجَها من أجلِ تفسيرِ ظواهرِه اللغويةِ، من جعلَ الظاهرةَ اللغويةَ خاضعةً في تفسيرِها لهذه العواملِ التي أحاطت بمنتجِ النصِّ قبلَ العملِ عليهِ وفي أثنائه وبعده، وليس العكسَ من ذلك، فالظواهرُ السوسيولوجية هي الحاكمةُ على الظواهرِ اللغويةِ وليسَ لتلك الظواهرِ اللغويةِ حكمٌ على القيمِ المُستقاةِ من المجتمعِ ذي التأثيرِ في إنتاجِ النصِّ، ومن هنا بدا لمعتنقي حركةِ التجديدِ في المنهجِ البنيويِّ الوثوبُ على الظواهرِ اللغويةِ باعتبارِها وحدَها مصدرَ تفسيرِ الخطابِ؛ لأنَّ التفسيرَ اللغويَّ «قد يكونُ مقبولًا إذا تعلق الأمرُ بالوصفِ القائمِ على التعاملِ معَ الثوابتِ والسواكنِ، أمَّا في التعاملِ معَ الظواهرِ ذاتِ الطبيعةِ المتغيرةِ معَ الزمنِ فلا» (خليل، 2002م: 103)، ومن ثمَّ نجد اختلافًا كبيرًا بينَ تلك المناهجِ الَّتي حصرت النصَّ في جانبِه الإبداعيِّ اللغويِّ، والبنيويةِ التكوينيَّةِ الَّتي اعتبرت النصَّ إنتاجًا أدبيًّا مُنفتحًا على

آفاقٍ أرحبَ مِن أن تُجيزَ حبسَهُ في إطارٍ من الظّواهر اللغويةِ.

المَبحثُ الثّاني

رَوافدُ الشّكل والمَضمُون الأُولىٰ في البِنائيةِ

ومِن منطلقِ مَا قدّمت به لِأهميّة العملِ بهذا المنهجِ في تقييمِ النصوصِ الأدبيةِ على مقتضَى الارتباطِ الذي يُشكّلُه مِن خلالِ عناصرِ التّمازجِ بينَ اللغةِ التي هي معيارُ قياسِ الفهمِ لدافعيةِ إنتاجِ النصِّ وَسماتِه الّتي حدّدته فتميّز بِهَا عن غيرِه مِن الأجناسِ الأدبيّة الأخرَى، تُطلُّ علينا قضيّة استرفادِه مِن مصادرِه الأُولَى الّتي بدَا للعامِلينَ في حقلِ الدراساتِ البنيويةِ تجديدُه وتطويرُه بعدَ نقلِه عنها، حتى يتسنّى لهم الوقوف في نهايةِ الأمرِ على ما وقفوا عندَهُ مِن ملامِحِ الاكتمالِ الّتي تحقّقُ في بنيةِ النصِّ الاستفادةَ القصوَى مِمّا جاء فيه.

وفي تحليلِ بنيةِ أيِّ خطابٍ أدبيٍّ يُمكنُ التعرُّفُ على الجذورُ المعرفيُّة للبنيويةِ التّكوينية بوصفِهَا مادّةَ هذا المنهجِ الأولَى التي انبثقَ منهَا، ومِن ثمّ يُمكنُ التعرُّفُ على الملامِحِ الأساسيةِ للمنهجِ وأبرزِ أعلامِه الذي اقتدَى بمسيرتِهم كثيرٌ مِن نقادِ العربِ، وحذوا حذوهم؛ منطلقينَ من ضرورةِ إيجادِ نظامٍ منهجيٍّ يحكمُ علاقةَ النصِّ بالجوِّ البيئيِّ والمجتمعيِّ الذي أنتجَ فيه، فتحديدُ ملامحِ الخطابِ الأدبيِّ يحتاجُ إلى عددٍ من المعاييرِ الإجرائيّة التي يتوقّف عندَها الناقدُ في تحليلِه واستنطاقِه، وقد بدأ الاتجاهُ نحوَ إيجادِ نظريةٍ جديدةٍ تربطُ الواقعَ بمَا يُفترضُ أن يكونَ واقعًا في النصوصِ الأدبيةِ، إثر مُحاولاتِ الشّكلانيينَ الرّوس في إعادةِ قراءةِ التّراثِ النقديِّ الأدبيِّ، إثر تطلُّعِهم لتحديدِ موضوعِ الأدبِ مِن خلالِ تلكَ المحاولةِ الّتي قام بِهَا تودورف في مُعالجةِ الأدبِ بوصفِه مُحاكاةً للواقعِ(يقطين،1997م: 14)، على أنَّ انحسارَ العلاقةِ الّتي يستهدفُ تحليلُ الخطابِ عَلى وفقِها بينَ المجتمعِ وأيدولوجياتِه المُختلفةِ واللغةِ بوصفِها الرّكيزةَ الأساسيةَ في فهمِ النصوصِ، جاءت بالتزامنِ مَعَ تحديدِ جاك موشلر لمجالاتِ تحليلِ الخطابِ الّتي جعل مِن بينِها التقليدَ التوليديَّ الذي تتضمّنُ مساعي القائمينَ عليهِ من التوليديينَ عددًا من المُنطلقاتِ ذاتِ التّأثيرِ الظاهرِ في الخطابِ الأدبيِّ، كالسياقِ التاريخيِّ، والأيدولوجيات الاجتماعية (يقطين،1997م: 24).

وتتمظهرُ لنا انطلاقةُ البنيويةِ التكوينيةِ أكثرَ جلاءً وأشدَّ وضوحًا في جانبِ التركيزِ على كيفيةِ استقبالِ النقادِ العربِ لها، ومدَى تأثُّرِهم بها، ومُلاحظاتِهم عليها، ومن حيثُ وقفَ كلُّ ناقدٍ من النقادِ العربِ، نبدأُ في معالجةِ قضيةِ الاسترفادِ، من خلالِ عمليةِ التلقّي للمفهومِ، ولست أُعنى هنا باستيضاحِ نظرةِ لهذا المفهومِ، بل عملي محصورٌ في الحديثِ على الرّوافدِ والجذورِ المشكّلةِ لانبثاقاتِ هذا المنهجِ.

-الوجهةُ الغربيّةُ (الاستقبالُ):

يكادُ يقطعُ النقادُ بأنَّ رافدَ البنيويةِ التكوينيةِ الأوَّلَ ينهلُ من معينِ الفلسفةِ الماركسيةِ في طابعِها الجدليِّ الذي ركّز الماركسيون من خلالِه على التفسيرِ الماديِّ والواقعيِّ للفكرِ والثـقافةِ وهو ما «تسمحُ به البنيويةُ التكوينيةُ من أنواعِ العلاقاتِ التي تربطُ بينَ البنيويةِ الفوقيةِ –الثقافة والأدب والفنون،

والبنيوية التحتية كالاقتصاد والمجتمع وما شاكل ذلك»(قصاب، 2009م. 143)، وحيثُ كانَ غولد مان واحدًا من تلامذةِ الفيلسوف المجريِّ جورج لوكاتش، الذي تأثَّرَ كثيرًا بالفكرِ الماركسيِّ، نقلَ عنهُ فكرَه في هذا الجانبِ، فأسَّسَ لعلاقةِ اللغةِ والدلالةِ النصيَّةِ في النصوصِ الأدبيَّةِ بالمجتمعِ والقيمِ والسلوكِ البشريِّ، ليكونَ بناءُ النصِّ عندَه مُعتمدًا على بنيتين رئيستين، الأولَى: الداخليةُ والثَّانيةُ: الخارجيةُ، وهي الأكثرُ شمولًا واتِّساعًا، التي يُمكنُ تعيينُ مقاصدِ الخطابِ من خلالِها أكثرَ مما يُمكنُ تحديدُها بتلكَ التي تُشكِّلُها وظائفُ اللغةِ الداخليةِ (انظر، دراج، 2002م: 37)، على غرارِ ما تضمَّنته الفلسفةُ الماركسيةُ في بُعدِها النقديِّ الجدليِّ.

-الوجهةُ العربيَّةُ (التلقِّي، والمقبُوليَّةُ):

لعلَ العنايةَ والحفاوةَ التي لقِيَ بها النقادُ العربُ هذا المفهومَ الذي جعلته أمام مقولاتُ غولدمان عنه، كانت نتيجةً لوجودِ أرضٍ خصبةٍ لاستقبالِه والعملِ بهِ، حيثُ كانت عنايةُ النقَّادِ العربِ القُدامَى –في تفسيرِهم للنصوصِ الأدبيةِ– منصبَّةً على اللغةِ وحدَها(مندور، 2007م)، فلمَّا دعت الضرورةُ إلى استقصاءِ حيثياتِ النصّ الأدبيِّ ممثَّلةً في تاريخيةِ إنتاجِه والأجواءِ التي أحاطت بكاتبِه فأثرت فيهِ، مما دفعَه إلى العملِ عليهِ، انبرت الجهودُ العربيةُ المُعاصرةُ مُشمِّرةً عن ساعدِها في الكشفِ عن مُلابساتِه، وسبرِ أغوارِه للتعرُّفِ على سبلِ ممارستِه على النصِّ الأدبيِّ فجاء سعيُ الناقدِ العربيِّ جمال شحيد، منوِّهًا بضرورةِ الأخذِ بهذا المنهجِ عبرَ مقالٍ له بعنـــوانِ في البنيوية التكوينيَّةِ-(شحيد، لحميداني، وعصفور –نماذج- 2020م: 318)، وقد عرَّفَ شحيد بالبنيويةِ التكوينيةِ عربيًّا ضمنَ مقالِه المُشارِ إليهِ والذي نشرَه عام 1980، وكانت له المنطلقاتُ نفسُها التي اختصَّ بها غولد مان هذا المنهجَ ولكنَّنا نجدُ نظرته تختلفُ قليلًا عن ذلك التوجُّهِ الغولدمانيِّ (شحيد،1982م: 76)، وتبرزُ مخالفتُه في حدِّه لجانبِ البنيةِ الدلاليةِ في إطارِها النصيِّ الداخليِّ، بقولِه عنها: «هي المعنى الداخليُّ لهذه البنية الذي ينمُّ عن وعيٍ جماعيٍّ معيَّنٍ» (السابق، 1982م: ص80)، ووجهُ الاختلافِ والتباينِ الذي اتَّخذ منهُ الباحثُ صلاح الدين أشرقي المعاصر (شحيد، لحميداني، عصفور –نماذج- 2020م: 319، مرجع سابق)، مثارَ جدلٍ حولَ ما توصَّل إليه غولدمان، وخالفَه فيهِ شيحد، إنَّما هو نتيجةُ قصورِ فهمِ الباحثِ لكلامِ شحيد، لأنَّ إقرارَه بانتماءِ مثلِ هذه الدلالةِ للوعي الجماعيِّ يُشيرُ إلى عنايتِه بالآثارِ الناجمةِ عن انفعالِ الكاتبِ وتفاعلِه معَ السلوكِ الخارجِ عن حدودِ نصِّه، ومن منطلقِ ذلك أجزتْ الحكمَ بنقلِ شحيد لممارساتِ غولد مان كاملةً عبرَ تعريفِه السالفِ في الرُّؤيةِ والتَّوظيفِ.

المَبحثُ الثّالثُ

وسَائطُ القارئِ في بلوغِ مقاصدِ النّصِّ بينَ آفاقِ اللّغة، وبناءِ الدّلالة

ومِن ثمَّ فإنَّ هنالك فارقا ملحوظًا بينَ قراءةِ النّصِّ الأدبيِّ انطلاقًا من الآلياتِ الإجرائيّة الّتي يعوّلُ عليهَا القارئُ في النّظرية البنيويةِ الشّكلانيّة، وتلكَ الّتي نحن آخذونَ بِنصابِ الحديثِ عنهَا هُنا، فالمنهجُ التكوينيُّ يُبادرُ القارئَ بِمجموعةٍ مِن الآلياتِ الّتي تعتبرُ مُرتكزاتٍ أصيلةٍ في خوضِ لجّةِ النصِّ مِن خلالِها، فالخطابُ الأدبيُّ عَلى تنوُّعِه، يَخضعُ لإنتاجٍ وأُخرَى تُساعدُ في قراءتِه، وهذه الأخيرةُ تعتمدُ في الوصولِ إليهَا على دافعيّةِ إنتاجِه، وبالنّظر إلى الغايةِ التي يُوظِّف القارئُ من خلال المنهجَ التكوينيَّ في بلوغِها، يجدُ أنّه يقفُ حيالَ مرتكزاتٍ بعينِها تنهضُ بهذه العمليةِ، وجميعُها ينطلقُ من النظرةِ المُوحّدةِ بينَ الحياةِ الاجتماعيةِ في شتّى مقوّماتِها ومُخرجاتِها، والإبداعِ الأدبيِّ الذي يستهدفُ عُنصرًا معيّنًا أو جزءًا مُحدّدًا من عناصرِ أو أجزاءِ هذا الواقعِ الاجتماعيِّ الذي يُعبّرُ عنهُ المبدعُ.

وذلك بالرجوعِ إلى البنياتِ الذهنيةِ التي تُشكّلُ أساس العلاقةِ بينَ العملِ الإبداعيِّ والمجتمعِ الذي أنتجَه، حيثُ العلاقاتُ المتكاملةُ بينَ طبقاتِ المجتمعِ التي تُعطي للبنياتِ الذهنيةِ صورةً جماعيةً تُخرجُها من حيّزِ الفرديةِ، فهي أي البنياتُ الذهنيةُ التي تصوغُ القيمةَ الإبداعيةَ للنصِّ الأدبيِّ «ظاهرةٌ اجتماعيةٌ تتعلقُ بالمستوى المفهوميِّ أو بالمضمونِ أو النّوايا الشّعوريةِ، ولا تتعلّقُ بأيدلوجيّةِ المُبدعِ، بل تتعلّقُ بما يُرَى، بِما يُحسُّ» (لوسيان غولدمان،1986م:)45، وتلك أبرزُ ركائزِ قراءةِ النصِّ الأدبيِّ وفقِ معطياتِ المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ وآلياتِه الإجرائيّة، حيثُ يعكسُ النصُّ الأدبيُّ وعيًا جماعيًّا يُعبّر عن صوتِ المجتمعِ الذي أنتجَه، لا عن صورةِ كاتبِه بمعزلٍ عن الواقعِ، فـ»البنيويةُ التكوينيةُ تستهدفُ الغوصَ إلى أقصى ما يُمكنُ في المعنى التاريخيِّ والفرديِّ معتبرةً ذلك جوهرَ المنهجِ الإيجابيِّ وجوهرَ دراسةَ التاريخِ» (السابقة، 1986م: 46).

ومِن هُنا نتبيَّنُ الرّكائزَ الّتي تنطوي عليهَا آلياتُ تحليلِ النصِّ الأدبيِّ وفقًا لِمنهجِ البنيويةِ التّكوينية، بِمَا يُبرزُ عُمقَ التجربةِ الإبداعيّةِ للمُبدعِ في صورتِها الاجتماعيةِ الّتي تشيرُ إلى العلاقةِ بينَ إنتاجِه والبواعثِ السّلوكيّةِ في مُجتمعِه الّتي دفعته لذلك، فتفسيرِ الظواهرُ النصيَّةِ في المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ يتعرّضُ لها القارئُ في إطارِها وحدودِها الزمانيةِ والمكانيةِ وفي مراسيمِها التاريخيةِ والاجتماعيةِ، وتلك هي مخرجاتُ تحديدِ دلالةِ أيٍّ من النصوصِ الأدبيةِ بحسبِ المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ:

-رؤيةُ العالمِ:

وهو مفهومٌ من أهمِّ ما ترتكزُ عليه نظريةُ البنيويةِ التكوينيةِ في تفسيرِ الظواهرِ النصيةِ الخاضعةِ لهذا المنهجِ، وهو «مفهومٌ إجرائيٌّ، بل مكوّنٌ فعالٌ لما يُعانيه الفردُ ويعيشُه، وبناءً على ذلك فهو يبدو من اختصاصِ علمِ النفسِ، فإنَّ كلَّ كائنٍ يردُّ على ما يتولَّد عن موقفِه في المجتمعِ من مشاكلَ بواسطةِ نموذجٍ يبنيه بشكلٍ تدريجيٍّ، وحينئذٍ لا يبدو التحديد المجتمعيُّ إلَّا عملًا ثانويًا يُضفي صيغةَ الوحدةِ على تنوُّع

النظرات كما هي عند الأفراد»(مارتن هيندلس، 2020م: 63-62)، ولا يعكسُ مفهومَ رؤيةِ العالمِ نشاطًا أدبيًا قائمًا برأسِه، معبِّرًا عن خصائصِ مؤلِّفِه الذاتيةِ التي يعملُ من خلالِها على إبرازِ نزعتِه الذاتيةِ التي تصوغُ فرقًا ملموسًا بينَه وبين غيرِه من المبدعينَ في ميدانِ الأدبِ، بل إنَّها تُشكِّلُ في مُجملِها وحدةً عضويةً يُعبِّرُ عنها عددٌ من المبدعينَ في مختلفِ أجناسِ الأدبِ ولكن كلٌّ منهم يلهجُ بلسانِ حالِه، ومن حيثُ أوقفته تجربتُه في هذا العملِ، فالنظرةُ إلى العالمِ عبارةٌ عن انتشارِ الذاتِ المبدعةِ للنصِّ، وتفشّيها واقتحامِها لعوالمِ الآخرين من خلالِ البنياتِ الذهنيةِ المتعددةِ والمتراكبةِ التي يُعبِّرُ هو وغيرُه عنها تحت اسمِ فلسفةِ الوجودِ الجماعيِّ الذي يجمعُه هو وغيرُه.

-الفهم والتّفسيرُ:

وهو أيضًا أحدُ مبادئِ ومنطلقاتِ المنهجِ البنيويِ التكوينيِّ، ويُطلُّ علينا في متضمناتِ النصِّ الأدبيِّ، خلالَ هذا النوعِ من التكاملِ الذي يقعُ بين النصِّ والواقعِ، وذلكَ ما أشرتُ إليهِ إليها- سابقًا- حيثُ لا يُمكنُ الوقوفُ عندَ مقاصدِ النصِّ الأدبيِّ ما لم يكن مترابطًا داخليًا ومنسجمًا معَ الواقعِ الذي أنتجه خارجيًا، وذلك أنتج معني الفهمِ والتفسيرِ؛ إذ إنَّ فهمَ مقاصدَ الخطابِ الإبداعيِّ وتفسيرَه بعيدًا عن جذورِه التي انبثقَ منها يُعدُّ إجحافًا بالنصِّ وتحميلًا له ما ليسَ يحتملُ من الدلالاتِ.

ويقومُ كلٌّ من فهمِ النصِّ ومحاولةِ تفسيرِه على ركائزَ هي بمثابةِ المقولاتِ التي تقاربُ النصَّ مقاربةً منهجيةً تكوينيةً، ففهمُ النصِّ متطلّبٌ لقراءةِ الأبنيةِ والظواهرِ المكوِّنةِ له لغويًا وتركيبيًّا وتفسيرُه مُعتمدٌ على وضعِ هذه البنيةِ السطحيةِ الصغيرةِ ضمنَ بنيةٍ عميقةٍ أكبرَ منها، تشتملُ عليها وتوضّحُ مراميها، وما يستهدفُه الأديبُ المبدعُ منها، فلو «كان الفهمُ كشفًا عن بنيةٍ دالةٍ على مُحايثةٍ في الموضوعِ محلِّ الدراسةِ...، فإنَّ الشرحَ يُمثِّلُ امتزاجًا لهذه البنيةِ في بنيةٍ شاملةٍ تغدو البنيةُ الأدبيةُ عنصرًا تكوينيًّا من عناصرِها»(روجيه غارودي، 1985م:17)، ويُفهَم من ذلك أنَّ عمليةَ الفهمِ ممتدة على دراسةِ الظواهرِ الأدبيةِ المكوِّنةِ للنصِّ الإبداعيِّ سابقةٌ على عمليةِ التّفسيرِ، فالأبنيةُ الأدبيةُ هي ما تُحيلُ القارئَ على إيجادِ تفسيراتٍ للنصِّ في واقعِه الحيِّ، وباعتناقِ القارئِ فكرةَ «أنَّ الفهمَ ليسَ وحدَه المُحايثَ دائمًا في النصوصِ، في حينِ يظلُّ التفسيرُ خارجًا عنها»(بشير تاوريرت، 2001م: 48)، وتظهرُ تأثيراتُ الربطِ بينَ الفهمِ والتفسيرِ في تزويدِ القارئِ للنصِّ بما يمدُّه من عناصرِ الإفصاحِ عن نفسِه من الظواهرِ والبنياتِ الأدبيةِ التي يحتكمُ إليها في المصيرِ من الفهمِ إلى التفسيرِ.

-البنيَةُ الدَّالَّةُ:

البنيةُ الدالَّةُ مقولةٌ معلومةٌ فاشيةُ الاستعمالِ في المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ، وهي من المقولاتِ التي اعتمدَ عليها لوسيان غولدمان، كما هو من العلومِ أنَّ غولدمان قد اشتقَّ هذه المقولةَ من كلامِ أعمَّ في فلسفةِ أستاذِه جورج لوكاش، وهي مقوِّمٌ من المقوِّماتِ الأصيلةِ في قراءةِ النصِّ الإبداعيِّ، وتتعدَّد

البنياتُ الدالَّةُ عند غولد مان، ولا بدَّ من تضمُّنِها لقضيةٍ اجتماعيةٍ تُفجِّرُها بنيةُ النصِّ الأدبيِّ الداخليةِ، وليست تُوصفُ لديهِ بأنَّها دالةٌ ما لم تكن مشتملةً على علاقةٍ شموليةٍ يشتركُ فيها مجتمعُ إنتاجِ النصِّ، مع العملِ الذي يجبُ دراستُه والباحثُ الذي يقومُ بهذه الدراسةِ (انظر: جمال شحيد،1982م: 81)، وبناءً على تلك الرُّؤيةِ لا يُمكنُ للباحثِ أن يعولُ على جزءٍ من النصِّ المدروسِ، والنظرِ إليهِ بعيدًا عن سياقِه الذي هو فيه في جملةِ النصِّ، فالدلالاتُ الرئيسةُ والفرعيةُ في النصِّ يُكمِّلُ بعضُها بعضًا في سياقِها الاجتماعيِّ والتاريخيِّ، مُتَّحدةً معَ البنياتِ الأدبيةِ الداخليةِ في النصِّ.

-التَّناظرُ والتَّماثلُ:

وهو مفهومٌ بنيويٌ تكوينيٌّ خالصٌ، تعرَّضت له البنيويةُ التكوينيةُ في إطارِ العلاقةِ التي تربطُ بينَ البنيةِ الأدبيةِ للنصِّ والبنيةِ الدالَّةِ الأكثرِ اتِّساعًا وشمولًا، وهي البنيةُ الخارجيةُ، وهذا ما يُطلَقُ عليهِ مفهومَ التماثلِ، حيثُ تقومُ العلاقةُ بينَ طرفي البناءِ النصيِّ: (الإبداعيِّ، والاجتماعيِّ) على التماثلِ الذي يعكسُ تصورَ الكاتبِ عن المجتمعِ، مما يُشكِّلُ الحراكَ الديناميَّ الدائمَ داخلَ النصِّ وخارجَه.

وإنَّ لهذا الاصطلاحِ، أعني اصطلاحَ التماثلِ أو التناظرِ امتدادًا من الفلسفةِ القديمةِ لدى كلٍّ من أفلاطون وأرسطو، ونجدُ ذلك ملموسًا في مطالعتِنا لفلسفةِ المحاكاةِ التي تقومُ على تمثيلِ الكاتبِ للواقعِ الذي يعيشُه ويتألَّفُه في كتاباتِه، لا بما يناظرُ هذا الواقعَ حقَّ المماثلةِ، بل بما يُقاربُه ويُدنيهِ من القارئِ على الصورةِ التي لا يجدُ فيها عناءً في الكشفِ عن ملابساتِ الواقعِ الذي تُحاكيهِ له النصوصُ.

-الخاتمةُ:

لَم تزل الدِّراسات الأدبيةُ والنقديةُ تسعَى سعيها في سبيلِ تحديدِ ملامحِ المنهجِ البنيويِّ التكوينيِّ، ومدَى صلاحيتِه في التّطبيق عَلى النصوصِ العربيَّة؛ طلَبًا لَفهمِ وتفسيرِ مقاصدِها مِن خلالِ قراءتِها قراءةً واعيةً مُضمَّنةً عددًا من المرتكزاتِ الَّتي ينهضُ عَليهَا ذلكَ المنهجُ والمقولاتِ الّتي عدَّها لوسيان غولد مان القواعدَ الأساسيةَ الَّتي يعوَّلُ عليهَا في صَياغةِ النَّظرية البنيويةِ التّكوينية، وقد حاولتْ هنا سبرَ أغوارِ ذلكَ المنهجِ والإتكاء على ركائزه التي يعملُ القارئُ عَلى مُقاربةِ نصٍّ مِن النّصوص الأدبيَّة بِواسطتِها، فكان ممّا توصّلت إليه في هذا البحثِ الآتي:

1.أنَّ المنهج البنيويَّ التكوينيَّ حديثُ عهدٍ بالعملِ عليهِ في أوساطِ النقادِ العرب، ومِن ثمَّ لَم يجد قبولًا بينَ المناهجِ النقديةِ المعاصرةِ؛ لِأنَّهُ مُغيًّا بِمَا أطلقَ عليهِ البعضُ إقصاءَ المنهجِ اللغويِّ عن التّوظيفات النقدية.

2.يُعَدُّ استجلابُ هذا المفهومِ في طُحبةِ مُرتكزاتِه الَّتي ينهضُ عليهَا في مُقاربةِ النصوصِ، عملًا فرديًّا للدكتور جمال شحيد، ومِن ثمَّ تابعَهُ كثيرٌ مِن النقادِ العرب.

3.عنايةُ النقدِ العربيِّ بهذا المصطلحِ، ليسَ بوصفِه بديلًا لغيرِه مِن المناهجِ أو النظرياتِ النقديةِ، بل لأنّه ضمَّن المقاربةَ النقديةَ جانبًا من الشموليةِ الَّتي لم تكن تُعرَفُ قبلَهُ، فهو ينظرُ إلى النصِّ الأدبيِّ نظرةً عامةً تربطُ بينَهُ وبينَ كاتبِه وَالتأثيراتِ السلوكيةِ لمجتمعِه الذي لهُ دورٌ في إنتاجِه والإيحاءِ لهُ بِه.

4.تعدُّدُ وجهاتِ النّظر النقديةِ العربيةِ في استقبالِ هذا المنهجِ، وفي تحديدِ الغايةِ منهُ، وفي طريقةِ مقاربةِ النصوصِ مِن خلالِه، وذلكَ أحدُ مظاهرِ الاختلافِ بينَ النّقاد في تلقِّيهِ والعملِ بِه.

5.يَرتكزُ المنهجُ البنيويُّ التكوينيُّ على مقولاتٍ أساسيةٍ يُعرِّجُ عليهَا مُنتجُ النّصِّ وَالقارئُ معًا في الوصولِ إلى الغايةِ مِن إنتاجِ النصِّ وما قد ينطوي عليهِ مِن مقاصدَ لهَا بالمُجتمعِ الذي وُلِدَت في كَنفِهِ وشيجةٌ قويَّة.

6.قدرةُ هذا المنهجِ عَلى دراسةِ النصِّ، ومُقاربتِه مُقاربةً جامعةً، يُشيرُ إلى شموليةِ نظرتِهِ للنصِّ الإبداعيِّ، وعدمِ حصرِه في إطارِ الظّواهر اللغويَّة وحدَهَا، مِمَّا يعني أنّه الأقدرُ عَلى استقصاءِ مرامِي النصِّ ومغازيهِ مِن غيرِه مِن النصوصِ الَّتي لا ترَى النصَّ إلّا من زوايةٍ واحدةٍ.

-مصادر البحث ومراجعه:

1.إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك)، دار المسيرة، ط1.

2.أرسطوطاليس، فن الشعر، ترجمة: شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1 1967م.

3.بشير تاوريرت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر (دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، مطبعة مزوار، الجزائر، ط1، 2001م.

4.جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1 1998م.

جمال شحيد في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج غولد مان)، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

5.روجيه غارودي، البنيوية (فلسفة موت المؤلف)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1985م.

6.سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد - التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.

7.عبد السلام المسدي، قضية البنيوية (دراسة ونماذج)، 208، وزارة الثقافة التونسية، تونس ط1، 1991.

8.لوسيان غولد مان، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مراجع الترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

9.فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي للطباع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2002م.

10.د.محمد مندور، النقد المنهجي لدى العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر2007م.

11.وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلامية)، دار الفكر، دمشق ط2، 2009م.

-الدوريات:

1.إشكال تلقي مصطلح البنيوية التكوينية في النقد العربي المعاصر (جمال شحيد، حميد لحميداني، وجابر عصفور نماذج)، 318، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية – جامعة برج بوعريرج، مج1، ع4، 2020م.

2.مارتن هيندلس، مفهوم النظرة إلى العالم، وقيمته في نظرية الأدب، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي مجلة الآفاق، الرباط، المغرب، عدد: 10، 2020م.

الاتساق النصي في قصة مرايا فينيسيا لأحمد إبراهيم الفقيه

د.حليمة أحمد محمد إمبيص *

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية- جامعة سبها

ملخص

مع تعدد المناهج النقدية شهدنا دراسات نقدية كثيرة اهتمت بالجانب الوجداني ، والاجتماعي، والتاريخي للنصوص الأدبية، فكان لابد لنا أن نترك النمطية المعتادة وننطلق إلى نقد النص من النص نفسه كما كان يفعل النقاد العرب الأوائل في دراستهم للشعر خاصة، فيطلعون على ما أنتجه النقد الأوروبي الجديد من مناهج تنظر إلى النص من الداخل، وقد تعددت أوجه دراسة النصوص الأدبية ونقدها، حيث كتب المبدعون العرب رواياتهم، وقصصهم القصيرة، محاكين المنهج، والأسلوب الغربي في الكتابة ، ومع تطور المناهج الحديثة ازداد الاهتمام بدراسة لسانيات النص، والبحث في النص باعتباره أعلى وحدة لغوية، عليه ستقوم هذه الدراسة باكتشاف الاتساق النصي في قصة مرايا فينيسيا لأحمد إبراهيم الفقيه، والتي ستعالج كيفية ترابط الكلمات واتساقها في القصة، عن طريق أهم أنواع الاتساق، وهو الاتساق النحوي، والمعجمي، وقد حاولت الدراسة الكشف عن الإحالة، والاستبدال، والتكرار، والتضام، وتطبيقها على القصة، وتبرز أهمية الموضوع في الكشف عن أنواع الاتساق النحوي، والمعجمي في نص القصة، إضافة إلى قلة الاهتمام بالاتساق النصي، وندرة دراسته في القصة، وهذا كان سبباً في اختيار موضوع الدراسة، وتهدف الدراسة إلى التعرف على الاتساق النصي ودوره في بناء النص القصصي، والكشف عن أهم أنواع الاتساق في قصة مرايا فينيسيا، أما عن الدراسات السابقة ، فلم تجد الباحثة من تعرض لدراسة اللسانيات الحديثة ، وخصوصاً الاتساق النصي في النص القصصي، فَجُلُ الدراسات اللسانية اهتمت بالخطاب الشعري، وعليه ستعتمد الدراسة على المنهج اللساني المهتم بالبحث في النصوص واتساقها، اضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي، وستُنجز الدراسة في بحث يتكون من مقدمة وفصلين: الفصل الأول سيكون للاتساق النحوي في قصة مرايا فينيسيا، أما الثاني سيضم الاتساق المعجمي فيها، وخاتمة تحوي نتائج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الاتساق، النص، الإحالة، التكرار، التضام، مرايا فينيسيا

Research Title: Textual Coherence in the Story of Venice Mirrors by Ahmed Ibrahim Al-Faqih

* Dr. Halima Ahmed Mohamed Imbis

* Associate Professor of Faculty of Arts, : Sabha University

abstract

Consistency in the story of the mirrors of Venice by Ahmed Ibrahim Al-Faqih With the multiplicity of European schools, and the criticism we inherited, it was necessary for us to leave the sentimental and historical criticism, and start the criticism of the text from the text as it was, the early Arabs studying, and receive what the new European criticism produced in terms of approaches that look at the text from the inside, and criticism There are many aspects of consideration in the study of literary texts, their criticism, and their description as well, where the Arab creators wrote their novels and short stories, imitating the curriculum and the Western style, and with the development of modern approaches, the interest in studying the linguistics of the text ,And the search in the text as the highest linguistic unit, accordingly, this study will discover the textual consistency in the story of "Mirrors of Venice" by Ahmed Ibrahim Al-Faqih, which will address how the words are interconnected and consistent in the story, through the most important types of consistency, which is grammatical and lexical consistency, and the study has tried to reveal the referral , substitution, repetition, coherence, and their application to the story, highlighting the importance of the topic in revealing the types of grammatical and lexical consistency in the text of the story, in addition to the lack of interest in textual consistency, and the scarcity of its study in the story, and this was the reason for choosing the subject of the study, and the study aims to identify textual consistency And his role in building the fictional text, and revealing the most important types of consistency in the story of the mirrors of Venice. As for previous studies, I did not find anyone study of modern linguistics, especially textual consistency in the fictional text. In the texts and their consistency, in addition to the analytical descriptive approach, and the study will be completed in a research consisting of an introduction and two chapters: the first chapter will be about the grammatical consistency in a story Mirrors of Venice, the second will include lexical consistency in it, and a conclusion containing the results of the study.

Keywords: consistency, text, referral, repetition, cohesion, Venice mirrors

key words: cohesion, text, reference, repetiton, collocation, mirrors of Venice

المقدمة:

تُعد لسانيات النص، أو نحو النص، مبحثًا جديداً في مجموعة من المباحث العلمية ، التي ظهرت في علوم الدراسات اللسانية المعاصرة، هذا العلم يبحث في النصوص، ويدرس مكوناتها، إنه يهتم بدراسة النص باعتباره وحدة لغوية تضم بين عناصرها روابط عدة، وهذا ما يجعل من النص كلاً مترابطاً متسقاً، فالاتساق النصي باعتباره مبحثاً من مباحث لسانيات النص، وآلية من آليات التحليل النصي رَغِبتْ الباحثة في تحليل نص قصصي، فجاءت الدراسة موسومة ب»الاتساق النصي في قصة مرايا فينيسيا لأحمد إبراهيم الفقيه»، والتي ستعالج كيفية ترابط الكلمات واتساقها في القصة من خلال دراسة الإحالة، والاستبدال، والتكرار، والتضام، والحذف، وتطبيقاتها في القصة والتي تندرج تحت الاتساق النحوي، والاتساق المعجمي، وتبرز أهمية الدراسة في الكشف عن أنواع الاتساق النصي في نص القصة، ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو: أنه لاتوجد دراسات كثيرة حوله؛ نظراً لحداثته في ساحة الدرس اللساني، أما الإشكالة التي يطرحها موضوع البحث فهي: كيف تجلّت مظاهر الاتساق في نص القصة، وما هي آليات الاتساق التي استخدمها الكاتب، وما هو دورها، وما مدى إسهامها في ترابط واتساق الخطاب القصصي، والمنهج المُتّبع هو: المنهج اللساني المهتم بالبحث في النصوص، واتساقها بمساعدة المنهج التحليلي الوصفي، وللإجابة عن هذه الأسئلة افترضتْ أن أُقسِّم البحث إلى مقدمة وفصلين: الفصل الأول سيكون للاتساق النحوي في قصة مرايا فينيسيا، أما الثاني سيضم الاتساق المعجمي فيها، وخاتمة تحوي نتائج الدراسة.

الفصل الأول: الاتساق النحوي في قصة مرايا فينيسيا

يُفضي الاتساق النصي إلى التماسك النصي، بحيث يتركه منسجماً فيه، كل جزء يؤدي إلى الآخر، وبذلك نخلص إلى أن الاتساق النصي هو: عبارة عن آليات وأدوات تبحث في تماسك النص وترابطه، هذا الانسجام الذي يكون في الألفاظ، وفي المعاني أيضاً، ويدرس الاتساق النصي النص ويُعنى بتركيبه، وترتيبه، وترابط وانسجام مفرداته، وقد ذكر كثير من الدارسين الاتساق النصي، ومفهومه، ومن ذلك ما ذكره محمد الخطابي» بأنه ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المُشَكِّلة لنص خطاب ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللُّغوية (الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب، وخطاب بِرُمَّتِهِ»(الخطابي،2006: 5) ، فالتماسك بين عناصر النص يُعين على تلقي النص وفهمه، عبر العديد من العناصر اللُّغوية التي تحقق نصية النص، بالإضافة إلى تميزه بدلالة جامعة تحقق وحدته النصية الكلية، أي: ما يجعله نصاً باعتباره « وحدة لُغوية مهيكلَة»(الصبيحي، 2008: 80) تضم بين عناصرها علاقات وروابط معينة، فالنص الذي ترتبط أجزاؤه بعضها ببعض، ويُفضِي كل جزء من النص إلى الآخر على التوالي، يتحقق فيه ما يُعرَف بالاتساق النصي، والذي له من الأدوات ما يساعده على معرفة الأجزاء المترابطة في النص، إنها أدوات تربط النص بعضه ببعض، ومن آليات الاتساق النصي الاتساق النحوي، والاتساق المعجمي.

يعتمد الاتساق النحوي على الوسائل النحوية في ربط عناصر النص، ويُسهم بذلك الربط في استمرارية إيصال المعنى للمُتلقِّي، بإحدى الآليات التالية: الإحالة، والحذف، والربط، والاستبدال، أما الاتساق المعجمي فينقسم إلى التكرار، والتضام. (يُنظر: محمد، 2007، 104، 105، 110) وسيتم الكشف عن دور كل منها في ترابط نص القصة.

1.الإحالة: هي: «إشارة عنصر داخل النص إلى عنصر آخر، وتتحقق بمجموعة من العناصر مثل: أسماء الإشارة، والضمائر وغيرها، وتنقسم الإحالة من جهة إلى إحالة مقامية خارج النص، وإحالة نصية داخل النص، وتنقسم من جهة أخرى إلى إحالة قَبْلِية تُشير وتُحيل إلى شيء سابق، وإحالة بَعدِية تُحيل إلى شيء لاحق»(يُنظر: الخطابي، 2006: 17) وسنُذكـــر في هذا الجانب بعض الموارد التي وردت فيها

الإحالات في قصة مرايا فينيسيا وستبدأ بأكثر الإحالات وروداً في النص.

2. الإحالة الضميرية في مرايا فينيسيا:

يتمثل الضمير في أنه:» اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر، أو المخاطَب، أو الغائب، والغرض من الإتيان به الاختصار»(بو قرة، 2009: 122)، وتُعد الإحالة النصية من الإحالات المُعوَّل عليها في أداء دور في اتساق النص، شعرياً كان أم سردياً على حد سواء، وذلك بواسطة ضمائر الغيبة على اختلاف أشكالها، مفردة، ومثناة، وجمع.) الخطابي، 2006: 18)

أ.الإحالة بضمائر الغائب:

يُعوِّل علماء النص على ضمائر الغائب (هو، هي، هم، هما)، والتي تُحيل إلى شيء داخل النص، وهي تُحفز المتلقي للبحث في النص عما يعود إليه الضمير، ولا يهتمون بالضمائر المحيلة إلى المتكلِّم، أو المخاطَب في عملية اتساق النص؛ لأنها تُحيل إلى خارج النص مثل:(أنا، نحن، أنت، أنتما، أنتم، أنتن)، وعليه ستركز الدراسة على الضمائر الأكثر وروداً في نص القصة.

نَـوَّع الكاتب من الإحالات الضميرية في قصته، إذ استخدم الإحالة بالضمائر الغائبة المتصلة في قوله:» هأنا أحقق حلم الوصول إلى عتباتها المباركة، وأتنسم عبق تاريخها، أعلق البصر بشرفاتها، ...، أتأمل النقوش والزخارف التي تزين أبوابها، وجدرانها، ومراياها، وأبنيتها الحمراء" (الفقيه، (د.ت): 23)

استخدم الإحالة بالضمائر الغائبة المتصلة في (عتباتها، تاريخها، شرفاتها، أبوابها، جدرانها، مراياها، أبنيتها)، إحالات فتحت الباب واسعاً أمام المُتلقِّي للتعرف على جمال المدينة، كما استخدم الضمير المنفصل الغائب للمؤنث (هي) في قوله:» ها هي سائحة أخرى تقف ...، لا تجيد الإنجليزية، فهي طالبة إيطالية تدرس الفنون» (الفقيه، (د.ت): 31)، وفي قوله:» هي حانة هاري»(الفقيه، (د.ت): 30)، (هي) عنصر إشاري يُحيل إلى الفتاة السائحة، والتي تُعَـدُّ المُنقذ للسارد من مطاردة الرجل المجهول له، «وهي حانة هاري» عنصر إشاري يُحيل إلى المكان المُكتظ بالدخان والزبائن، والذي يزيد من توتر السارد، ويُعبر عن الحالة بقوله: أحسستُ

بهذا الجو الخانـق يُضيف ضيقاً إلى ضيقي»(الفقيه، (د.ت): 30)، فالإحالة ربطت بين المكان المُنفِّـر وسوء الحالة النفسية للسارد، على نقيض المكان في بداية السرد .

ب- الإحالة بضمير المتكلم:

استعمل القاص أحمد إبراهيم الفقيه ضمائر المتكلم في نصه، وكان جُلُّها عائداً إلى الذات المُتكلِّمة، وهي الأديب نفسه، وهي:» إحالة عنصر إشاري لُغوي على عنصر إشاري غير لُغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يُحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لُغوي إحالي بعنصر إشاري غير لُغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجمَلًا ، إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه»(الزناد، 1993: 119)، ومنها في النص قوله:» هأَنا ذا أحقق حلم الوصول إلى عتباتها، أتنسم عبق تاريخها، ...، أعلق البصر، أتأمل النقوش، أكحل البصر، أدخل الدائرة، ...، أتحوَّل إلى جزء من المشهد، فأنزع وجهي، أستبدل به وجهاً جديداً»(الفقيه، (د.ت): 23)، ففي النص السابق، وُجِدَ أن الإحالة جاءت عن طريق الضمير (الهاء)، فالهاء هنا أحالت على مدينة فينيسيا؛ وذلك لأن الجملة الأولى كانت أن السارد حقق حلمه بزيارة مدينة فينيسيا، فقال» أحقق حلم الوصول إلى عتباتها»، أي حققتُ أمنيتي بهذه الزيارة، فالإحالة هنا إحالة نصية وقَـبْلِية؛ لأنها أحالت على ما قبلها في النص، واستعمل الأديب في المُجتـزء السابق ضمير المتكلم (أنا) المُستتر؛ ليُحيل إلى الأديب نفسه، وهي إحالة خارجية مقامية، إن تواجد هذه الإحالات منتشرة على مستوى القصة، دلالة واضحة على الاتساق والتلاحم النصي والدلالي الظاهر، وقد أدى هذا الربط الإحالي إلى إقحام المُتلقِّي وسط المكان السردي «مدينة فينيسيا»، إذ يُعبر الأديب عن رحلته إلى المدينة، ويرسم للمُتلقِّي مشاهداً حية من داخل المكان عبر تراسل حواسي بينه وبين المُتلقِّي، ينقل من خلاله معالم المدينة، في صور حسية اعتمدت الشم، والبصر، واللمس آلية لنقل عينيات المكان التي ألَّـف بينها الحالة النفسية المصاحبة للسارد، ويُعاود الكاتب استخدام الإحالة بضمير المتكلم؛ ليُدخل المُتلقِّي داخل المدينة، ويتحول السارد إلى دليل سياحي، يصحَب المُتلقي في زيارة خيالية إلى أشهر معالم المدينة «ميدان سان مارك» (الفقيه، (د.ت): 25)، ويربط من خلال الإحالة بضمير المتكلم (أنا) المُستتر في قوله:» كنتُ قد وصلتُ إلى أكثر ميادين فينيسيا شهرة، ميدان سان مارك، عرفتُ وأنا أركب الجندول أننا نقترب منه قبل أن نصل إليه»(). (الفقيه، (د.ت): 25)، إنها إحالات تربط أجزاء الرحلة إلى المدينة، بدءً بالكل وانتهاءً بالأجزاء التي أفصحت عنها الإحالات الضميرية المتناثرة هنا وهناك في ثنايا النص، ويستمر الكاتب في استخدام الإحالة بالضمير المتكلم المُستتر (أنا)؛ ليَميط اللِّثام عن خصوصية مدينة فينيسيا، فيربط بين شعورين الإعجاب، والدهشة، ويقدمها للمُتلَقي في صورة اكتشاف يقول:» اكتشافاً مدهشاً أن أجد نفسي أسير في مدينة لا تدخلها السيارات، وأن بإمكاني أن أنتقل حراً بين الأرصفة، وأمشي وسط الشارع»(الفقيه، (د.ت): 24)، ومادامت السيارات لا وجود لها، إذاً ما وسيلة النقل المُستخدَمة من قِبل سكانها، وهنا تأتي إحالة بضمير المتكلم (أنا) المستتر؛ لتـفصِح عن الوسيلة بقوله:»

أستطيع أن أسمع هدير محركات المراكب التي تسير في القناة «(الفقيه، (د.ت): 34)، يُلاحَظ في الجمل السابقة ،أنها أحالت على ماهو خارج النص، فضمير المُتكلم (أنا) لم يظهر في النص صراحة، وإنما دلت عليه كلمتا (أستطيع، أسمع)، أي أستطع أنا، وأسمع أنا، ضمير مستتر، فكلمتا أستطيع وأسمع اللتان دلتا على الضمير (أنا)، هي إحالة مقامية، فالنص لم يذكر المُتكلم، بل أحال عليه بالضمير(أنا)، وكذلك الكلمات(أجد، أسير، أتنقل، أمشي)، فهي كلها تُحيل إلى ماهو خارج النص، وهو المتكلم، والضمير في الجمل السابقة يعود على الصحفي، وهو الشخصية الرئيسة، وهو يقوم بمهمة السرد ، وأحداث القصة تدور حول زيارته إلى مدينة فينيسيا، وتنقله منبهراً بين معالمها الفاتنة، خصوصاً شوارعها التي لا تدخلها السيارات.

ج- الإحالة الموصولية:

«من الأسماء المُبهمة التي لا يُتبين دلالتها إلا بمتعلَّق: الأسماء الموصولة، وقد وردت في نص القصة بنوعيها المختص، والمشترك؛ فالخاص منها هو: ما يدل على مُسمًّى خاص (كالذي، والتي، واللذان، واللتان، والذين، والآتي، أو اللائي)، والمشترك منه: (مَنْ، وما، وذو، وذا، وأي)، وليتحقق معنى الاسم الموصول يجب أن تحتوي جملة صلة الموصول على أداة ربط تربطها بالاسم» (يُنظر: الأستربادي، 1992: 88) وهي من أدوات ربط الجمل وتماسكها، وقد استخدمها الكاتب في نصه مرايا فينيسيا كثيراً بصفتها وسيلة ربط، وعندما استخدم الاسم الموصول، أكثر من استخدام المختص منه دون المشترك كما في قوله « وأخيراً فينيسيا، عرس الفن والجمال الذي يتجدد بتجدد الفصول ،...، أتأمل النقوش والزخارف التي تزين أبوابها،...، أدخل الدائرة السحرية التي تفصلها عن عالم الحروب،...، المشهد الاحتفالي الذي تضج به شوارعها»(الفقيه، (د.ت): 23)، وكذلك قوله: « الأدباء الذين زاروا فينيسيا»(الفقيه، (د.ت): 31)، يُلاحَظ في الجمل السابقة أن الإحالة كانت عن طريق الأسماء الموصولة، وهي من أدوات الإحالة التي تربط بين الجمل، ويُلاحَظ أيضاً أن الإحالات في النص السابق، هي إحالات نصية؛ وذلك لأن الاسم الموصول أحال إلى ما هو موجود داخل النص، فالاسم الموصول (الذي، والتي، والذين)، أحال إلى (عرس الفن، والنقوش والزخارف، وعرائش الورود، والدائرة السحرية، والمشهد الاحتفالي، والأدباء)، وهي موجودة داخل النص، وهي إحالات قَـبْلِية، فالأسماء الموصولة في النص عادت على عناصر ذُكرت في جزء آخر من النص، فهي تقوم على» التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر»(عفيفي، 2001: 116)، وقد استخدم الاسم الموصول المشترك وكان قليلاً في النص، ومن ذلك قوله:» قلتُ ما أعرف، فهل سيصدقون روايتي ،...، فهل هذا ما أريده، لم أقم بما يكفيني،...، أستعين بكل ما يمكن»(الفقيه، (د.ت): ص29)، استخدم الكاتب الاسم الموصول(ما) بمعنى الذي في المُقتطف السابق، والإحالات بَعدِية، ينقل بها السارد إلى المُتلقي موقف سابق خطر بباله ، فكرة دارت في خلده، وهي أن يذهب إلى الرجل الذي يطارده، ويسأله لماذا يطارده؟، فإن كان السبب المال سيُعطيه كل ما يطلبه، ثم تأتي الإحالة الثانية؛ لتـفصِح عن فكرة سابقة، وهي الاتصال بالشرطة للخلاص من الرجل المجهول

الذي يطارده، لكنه عدل عن الفكرتين، ويتبين لنا من الإحالات الموصولية، أن الكاتب اعتمد على الاسم الموصول كإحالة تُفصِح عن» علاقة تقوم بين الخِطاب، وما يُحيل عليه الخطاب، إن في الواقع أو المُتخيَّل في خِطاب سابق أو لاحق»(متوكل، 2010: 73)، وعليه اتخذ الكاتب من الأسماء الموصولة في النص وسيلة للتعبير عن مقاصده، فقد زاوج بين مختلَف الأسماء الموصولة على اختلاف دلالتها.

د- الإحالة الإشارية:

تُعد أسماء الإشارة من أدوات الربط التي تعمل على ترابط أجزاء النص، أو الجملة، والإحالة بأسماء الإشارة استخدمها الكاتب بكثرة داخل النص، ومن المواضع أو الشواهد في القصة « وأجمل من هذا الزمان ،...، قادني إليه هذا التوهان الجميل،...، كان سوق الخضار هذا اكتشافاً،...، يؤكد في نفسي هذا المعنى،...، ذلك المهرجان،...، عن هذا المقهى،...، من هذا المكان،...، مع هذه الأنثى،...، يُديرها هذا الرجل،...، هذا ما صار يشغل ذهني،...، يُديره لي هذا الرجل،...، كيف سأواجه هذا الموقف،...، هو سائح مثلي،...، هذه المقصورات،...، في هذا الزقاق الفارغ،...، وجودي في هذا الصندوق،...، تُخرجني من هذا المأزق،...، لعل هذه الحيلة تُقنعه،...، أي اعتبار لهؤلاء الأصدقاء،...، غريب ووحيد في هذه المدينة،...، سأخرج الآن من هذا المربع الزجاجي»(الفقيه، (د.ت): 23، 24، 25، 26، 27، 28) فالشواهد السابقة إحالة نصية، وذلك عن طريق أسماء الإشارة :(هذا، وهذه، هؤلاء، ذلك)، وجاءت

الإحالة في الشواهد بَعدِية، وقَبْلِية، ففي قوله مثلاً « قادني إليه هذا التوهان الجميل» جاءت الإحالة بَعدِية؛ لأن المُحال عليه جاء بعد المُحال» التوهان الجميل»، أما في قوله:» كان سوق الخضار هذا اكتشافاً « جاءت الإحالة قَبْلِية؛ لأن المُحال عليه جاء قبل المُحال» سوق الخضار»، وهكذا يُقاس على جميع ما سبق، والمُلاحَظ أن اسم الإشارة حاز اهتماماً كبيراً من المؤلِّف، وقد استعمله الكاتب في التماسك النصي بين الأجزاء النصية، إن الإحالة الإشارية كثيرة في نص القصة، وهذا يُفيد في تماسك القصة، فتكرار اسم الإشارة للمفرد المذكر أكثر من مرة، وضع القارئ أمام حال الشخصية المضطربة الخائفة من الشخص المجهول الذي يلاحقها من مكان إلى آخر، مما جعلنا نتفاعل مع الشخصية في تخميناتها السيئة حول شخصية هذا المجهول، ثم ينقلنا إلى تفكير الشخصية في الهروب والابتعاد، فكان سبيل النجاة هو ذلك المتجر الذي يبيع المرايا، لِنُدرِك أن الإحالة ربط بها المؤلف بين الحدث السردي والعنوان (مرايا فينيسيا)، ووضَّح ثقافة سياحة المواطن العربي في بلاد الغرب، وما يَلقاه السائح العربي من خوف وتوتر داخل المكان؛ نتيجة جهله بالطرف الآخر، الذي تحوَّل مصدراً لذلك الخوف، والتوجس، والترقب، في ظل الجهل بثقافة التعايش مع الآخر.

وقد اختار الكاتب استخدام اسم الإشارة ليُعيِّن مدلولاً تعييناً مقروناً بإشارة حسية، وبها يتم الاستغناء عن عملية التكرار المُمِل لنفس الوحدة اللُّغوية، وتعويضها بعائد عليها « ومن جانب آخر فإن الإحالة تحقق الاقتصاد في الكلام واختزاله، إذ تقتصر الوحدات الإحالية على العناصر المُحال إليها، وتُجَنِّبُ مُستعمِلَها

إعادتها، وفي الوقت نفسه تحفظ المحتوى، مستمراً في المخزون اللُّغوي دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى، ومن ثَـمَّ تحقُّـقُ الاستمرارية في الأداء دون إرباك للبنية السطحية»(ساجت، و شتي، 2021: 233.)، أفادت أسماء الإشارة الكاتب من الناحية التركيبية، فاستعماله لها أغناه عن تكرار الاسم الظاهر للمكان السردي» فينيسيا» بتفاصيله الداخلية، من (سوق الخضار، والمقهى، والمقصورات، و الزقاق الفارغ، والصندوق الزجاجي) وغيرها، فالشخصية تستحضر المكان عبر الاسترجاع الذاكري، فالسارد الذي هو في الأساس صحفي يصف وصوله إلى المدينة، وموقف الوصول إلى الفندق، وزمن الوصول، وتلاها بجملة أخرى، شارحاً فيها ما أحدث في نفسه ذلك الموقف، من استرجاع لذكريات هروبه من الرجل المجهول الذي يطارده، وعلى إثر المطاردة دخل» صندوق الهاتف العمومي» يقول:» صادفتْ صندوق الهاتف العمومي، ففتحتْ الباب ودخلتْ الغرفة الزجاجية الصغيرة، بأمل أن يمنحني وجودي في هذا الصندوق منفرداً بنفسي شيئاً من الإحساس بالأمان»(الفقيه، (د.ت): 28)، فوصف في الجملة الأولى موقف من الفزع، واسترجاع لذكريات وصوله إلى فينيسيا، وتلاها بجملة أخرى شارحاً فيها ما أحدثه الموقف في نفسه من خوف وهلع، وأتى فيها باسم الإشارة (هذا) الدال على المفرد المذكر، والذي يُحيل إلى (صندوق الهاتف العمومي)، فإن لم يأتِ به، لاضطر أن يقول : « وجودي في صندوق الهاتف العمومي «(الفقيه، (د.ت): 28)، مما يُعَدُّ ركيكاً في الاستعمال، وكذلك ذِكْـرُ المُحال عليه ركن أساسي في بناء المعنى، فغيابه يؤدي إلى الإبهام، فلو أشار مثلاً بقوله: «هذا المكان»، ولم يكن قَـدَّمَ «صندوق الهاتف العمومي» قبل، لأدخل القارئ في حيرة من أمره، ويُشترط في المُحال عليه أن يكون معلوماً، فلا تجوز الإحالة على مجهول؛ ذلك لأن «اسم الإشارة وحدة فارغة يميزها الإبهام، ولا يزول إبهامها إلا من خلال السياق، إذا عُرف المُحال عليه»(juillet 2023. URL: https://aleph-alger2.edinum.org/899)، وتجدُرُ الإشارة إلى أن الكاتب استعمل أسلوب الاستبدال، وهو: مما يحقق به الاتساق في قوله: «هذا المكان» فاستبدل لفظ صندوق الهاتف العمومي بلفظ أعم منه.

ه- المقارنة:

تُفيد أن في النص مقارنة بين عنصرين، - قسمها محمد خطابي- إلى» مقارنة خاصة، ومقارنة عامة، وتتفرع الخاصة إلى كمية مثل:(أكبر من، أصغر من)، وكيفية مثل:(أحسن، أجمل من»(يُنظر: الخطابي، 2006: 19)، فتكون بعقد مقارنة بين عنصرين محددين، قد يتفوق أحدهما على الآخر، أما المقارنة العامة « فتتفرع إلى مقارنة المطابقة والتشابه، وتكون هذه المقارنة معتمدة على بعض الألفاظ، مثل: وصف الشيء بأنه يشبه شيئاً آخر، أو يماثله، أو يوازيه، ومنها أيضاً مقارنة الاختلاف، أو المخالفة، كالألفاظ الدالة على التضاد، أو المعاكسة، أو المفاضلة»(عبد المعطي، عبابنة، الزعبي، 2013: 522، 523) ، وقد كان عنصر المقارنة من العناصر البارزة في تشكيل نص «مرايا فينيسيا»، وكانت تحتوي على المشابهة ، وهذا النوع من الإحالات يُـفضي إلى درجة من التماسك والاتساق» (الخطابي، 2006: 19)، ومن أمثلة ذلك في نص القصة :» أطوف كالمجذوب

بكل تمثال،...، متجراً كبيراً يُشبه متاهة المرايا في مدن الملاهي، ...، ندوباً تغطي وجهه الذي تشظَّى، وتكسَّر فوق المربعات والمكعبات، فبدأ كأنه عشرات الرجال الذين حاصرونني بملامح شائهة ممسوخة،...، نتوءات وجهه المعصور،...، كأنه تجسيد لوجه ملاك الموت،...، الفندق هادئاً لا صوت ولا صدى كأنه بيت الأشباح»(الفقيه، (د.ت): 24، 27، 30، 33)، تبدو المقارنة في المقتطفات السابقة في عدة صور، فالسارد يشبه المجنون الذي انبهر بجمال المدينة، فأخذ يطوف كالمُتيَّم بتماثيلها البارعة الصنع ، وشبَّه متجر المرايا الذي احتمى فيه أثناء المطاردة، بمتاهة المرايا في مدن الملاهي، متاهة وفرت له فرصة ذهبية للهرب والاختباء من أنظار مطارده، الذي شبَّه وجهه المُخيف بعينيه الغائرتين، كأنه ملاك الموت الذي يرمز إليه الرسامون بجمجمة إنسان، في إيحاء للمُتلَقي بأن مصير السارد بعد كل هذه المطاردة، الموت لا محالة، كما شبَّه الأماكن التي مر بها أثناء المطاردة بالمُنفِّـرة، والكريهة ، فالحانة تُـشبِه المغارة، والفندق هادئ كأنه بيت أشباح ،أماكن تبدو علاقة السارد بها علاقة نفور، ليتحوَّل شغف رؤية مدينة أحلامه إلى كابوس مزعج عبر عنه بهذه المقارنة، «بيني وبين مجيء الصباح زمن كأنه الأبد» (الفقيه، (د.ت): 34)، هذا الامتداد الزمني الذي يوحي باللانهاية، دفع السارد إلى إظهار معاناته في صورة كابوسية فيها، « رجال لا ملامح لهم، أشباح ،...، تمد نحوي أذرعها الطويلة، يغطيها الوبر الكثيف، وأصابعها تشبه المخالب»(الفقيه، (د.ت): 36)،

وليزيد المشهد قتامة، يتحول إلى مصباح الغرفة، وهو «يصنع ظلالاً تبدو كأنها مشهد من مشاهد الإثارة في أفلام العنف والجريمة» (الفقيه، (د.ت): 33)، وفي المقارنات السابقة، تنوعت أداة التشبيه من الحرف (الكاف، وكأن) إلى الفعل (يُشبه)، وقد مثلت أداة التشبيه اللفظ الذي يعقد مقارنة بين شيئين جمعتهما «سمة مشتركة» (الزناد، مرجع سابق، 121)، وهذه (الكاف ، وكأن، وشبه)، هي: أدوات تشبيه غير مستقلة بنفسها، وهذا ما يؤهلها لتكون إحدى وسائل اتساق النص، وورود ألفاظ المقارنة، ومنها أداة التشبيه، يقتضي أن يكشف المُتلقِّي النقاب عن المشبه، والمشبه به، أي: تثير هذه الكاف، أو كأن، أو شبه ذهن المُتلقِي في البحث عن الأطراف التي تتعلق بها لإدراك المُحيل، والمُحال إليه، أما المقارنة الخاصة فقد ورد منها ما يُسمى بالمقارنة الكيفية مثل: أحسن، أجمل من ...» (الخطابي، 2006: 19)،

فتكون بذلك مقارنة بين عنصرين محدودين بتطبيق معايير الجودة من خلال الكم والكيف بينهما، وقد استعمل الكاتب أفعل التفضيل في» أكثر، أسهل»، وهي من أدوات المقارنة، حينما أخبرنا عن» أجمل مدينة في الدنيا»(الفقيه، (د.ت): 23)، هذا إلى جانب « الأضواء ،...، تمنح فينيسيا وجهاً ليلياً أكثر جمالاً من وجهها النهاري»(الفقيه، (د.ت): نفس الصفحة)، ففي الإحالة بالمقارنة بواسطة اسم التفضيل (أكثر)، السارد يدعونا لأن نستمتع بجمال فينيسيا في الليل وفي النهار، لكنها في الليل أكثر جمالاً بسبب الأضواء على نحو المقارنة في الكمية، فاسم التفضيل تتم به الإحالة بالمقارنة على نحو الكم والكيف، وعليه يكون الانحياز لجمال المدينة ليلاً على نحو الكمية، أي: الكثرة والجودة، وربما أُريد بهما الاثنتان، فالجمال يقبل معنى التفوق

، والكمال ليلاً، كما يقبل الكثرة في الكمية، أي: كمية الجمال المعماري الهندسي داخل المدينة، إنها إحالة داخلية تمت بواسطة اسم التفضيل، إلى المفضل والمفضل عليه، أي: جمال المدينة ليلاً، وجمالها نهاراً، وتمت المقارنة بينهما بمعنى وجهاً ليلياً أكثر جمالاً، وبهذا أسهم اسم التفضيل في ربط أجزاء النص، فالمُتلـقِّي يعقد الصلة بين زمنين لفينيسيا، فضل بينهما اسم التفضيل، ليستنتج علاقة المقارنة القائمة بين الزمنين الذين مثلا المرجعية، وسبب وجود هذه المقارنة دلالة خصوصية هذه المدينة، ومن شواهد المقارنة أيضاً التي استخدم فيها أداة المقارنة (غيري)، قوله:» أنعم بإجازتي كغيري من السائحين،...، ذلك لم يستمر غير لحظات قليلة،...، ما أسهل أن أصبح هذه الليلة الضحية»(الفقيه، (د.ت): 32-31-30)، وقد أسهمت المقارنة في اتساق النص، ففي الجملة الأولى يُخبرنا بطريقة ضمنية أنه مختلف عن السواح الذين يؤمون مدينة فينيسيا، فهم يتمتعون بمشاهدة روائع معمارها، وهو محروم من ذلك بسبب مطاردة الرجل المجهول له، لكنه على لسان الشخصية يساوي بينه وبين غيره من السواح، فهو يرى أن له الحق في الاستمتاع بالمشاهد حاله حال أي سائح آخر، لكنه سرعان ما يُنبه المُتلقِّـي أن تلك المتعة لم تتحقق، وأن الخطر مازال قائماً، يقول» تصورت أنني فعلاً نجحت في إعادة السكينة إلى نفسي، ولكن ذلك لم يستمر غير لحظات قليلة»(الفقيه، (د.ت): 31)، يقارن السارد نفسه بباقي السواح بأنه مختلف عنهم، فهم يستمتعون بجمال المدينة، وهو يعاني ويتألم، فلحظات الفرح والسرور والسكينة قليلة، وسرعان ما تزول ليَحِلَّ محلها القلق، والتوجس، والترقب، والخوف.

1.الاستبدال:

يُعد الاستبدال من وسائل الاتساق النصي، ويتمظهر في تعويض عنصر لُغوي بعنصر آخر، ويتم هذا التعويض على المستوى النحوي، والمعجمي داخل النص، ويخالف الإحالة التي تعمل على المستوى الدلالي، والمُلاحَظ أن الاستبدال يكون في معظم حالاته قَبْلِياً، يؤسس علاقته بين عنصر متأخر وعنصر متقدم. (الصبيحي، 2008: 91) وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسام» استبدال اسمي مثل آخر وآخرون، واستبدال فعلي يمثله استخدام الفعل ويفعل، واستبدال قولي: باستخدام ذلك» (الخطابي، 2006: 20) وقد يكون استبدال جملي (جملة أو جملاً كاملة)، وعلى الرغم من أن الاستبدال يُفضي إلى تماسك النص واتساقه، ومع هذا لم تحفل به القصة إلا في حدود ضيقة جداً، وهذا النوع من الاستبدال يُطلَق عليه الاستبدال الاسمي، فقد أحدثه القاص بين كلمتي (فينيسيا) و(مدينة)، وتتكرر هذه العملية(فينيسيا والمدينة) في المواقع التالية «أجمل مدينة في الدنيا/ مثل هذه الدنيا/ أجواء المدينة/ تاريخ المدينة\ المدينة التي طرحتها من حسابي»(الفقيه، (د.ت): 23، 35، 42، 43)، وكذلك استبدل كلمة (فينيسيا) بنعوت أغدقها على المدينة منها « أسطورة الماء ، قدح النبيذ، عرس الفن»(الفقيه، (د.ت): 23)، وفي موضع آخر من القصة يرد هذا الاستبدال في قوله :» أحسست بالتعب، فاخترت مقعداً في منطقة مشمسة، ورميت عظامي فوقه»(الفقيه، (د.ت): 41)، استبدل العظام بالجسم لما فيه من دلالة التعب والارهاق، وفقدان الوزن، وانعدام الصحة؛ نظراً لما تعرض له من

مطاردة وملاحقة طوال فترة بقائه في فينيسيا، ومن الشواهد أيضاً قوله: «سأخرج الآن من هذا المربع الزجاجي، ولكن إلى أين؟، لابد أن أخرج، فقد نشأ طابور صغير ينتظر أن يستخدم الهاتف»(الفقيه، (د.ت): 28)، لقد استبدل صندوق الهاتف العمومي بالمربع الزجاجي، واستبدل جماعة من الناس بطابور صغير، وقد ظهر الاستبدال في النص شكلاً بديلاً هاماً أسهم في تماسك النص ووحدته، إذ كان الاستبدال بين وحدة لُغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة»(ابن الدين، 2001: 19)، فمربع الزجاج دل على صندوق الهاتف العمومي ، الذي شكَّل الملجأ بالنسبة للسارد، ولأنه زجاج يدلل على انعدام الستر، ومزيدٍ من التكشف، وهذه طبيعة الزجاج يشف ما ورائه، وتجمُّع المارة خارجه في طابور صغير، يدلل على طول المدة الزمنية التي قضاها السارد داخل الصندوق، في محاولة للهرب من مطارده، ولكن دون جدوى، وهذا يُظهر مدى اضطراب السارد، وعدم قدرته على التفكير المنطقي السليم في الخروج من المأزق، ومن مواضع الاستبدال في النص، موضع استبدل به الكاتب فعلاً بفعل آخر، وذلك في قوله: « رجلاً لا أعرفه يطاردني، ويَعدُو خلفي،...، أراوغ الرجل وأتحايل عليه،...، أقفلتْ باب الغرفة بالمفتاح، وتربسته برتاج داخلي»(الفقيه، (د.ت): 28، 30، 33، 35)،

استبدل الفعل أتحايل من الفعل أراوغ، والفعل يَعدُو خلفي من الفعل يطاردني، واستبدل الفعل تربسته من الفعل أقفلتْ، وهما يحملان الدلالة نفسها، ويبدو النص من خلال الاستبدال متناسقا مترابطاً، وأسهم الاستبدال في تراتبية الحدث، فبدأ بالمطاردة للسارد من قِبل الرجل المجهول، وامتد إلى محاولة الهروب بانتهاج أسلوب الحيلة والمراوغة، وانتهى باللجوء إلى الغرفة، وقفل بابها، ولم يكتفِ بتأمين نفسه بقفل باب الغرفة، بل زاد على ذلك استخدام التربس الداخلي للباب، مما أعطى دلالة واضحة على شدة خوف الشخصية واضطرابها، أما شواهد الاستبدال الجملي في قوله: « وجدتُه قد ترك مكانه وجاء يتبعني،...، يراقبني، تحولتْ إلى كتلة أعصاب مشحونة بالغضب،...، لم أعرف كيف سأواجه هذا الموقف»(الفقيه، (د.ت): 26)، فوُجِدَ أن الكاتب في الجملة الأولى (يتبعني ويراقبني، أعصاب مشحونة بالغضب)، استبدل الجملة الأولى (بهذا الموقف) في الجملة الثانية، وذلك لفائدة وهي الاختصار، حتى لا يتكرر الكلام؛ لأن الكاتب يعرف مسبقاً موقف السارد من الشخصية المجهولة التي تطارده منذ وصل فينيسيا، وفي قوله:» لعله رآني أُشبه شخصاً يعرفه، وأراد أن يتأكد من ذلك»(الفقيه، (د.ت): 27)،

فالاستبدال الجملي جاء بين الجملة الأولى وكلمة (ذلك)، ففي الجملة الأولى يقول: إن مطارده ظنه يشبه شخصية أخرى يعرفها، ثم يقول في الجملة الثانية: (أراد أن يتأكد من ذلك)، أي : أراد أن يتأكد من صحة ظنونه بخصوص الشبه بينه، وبين شخصية أخرى في ذهن المطارد، فبدلاً من تكرار الجملة مرتين، استبدل الجملة الثانية ب(من ذلك) وهي اختصار لكل ما ذُكِـرَ في الجملة الأولى، والمُلاحَظ من المثالين السابقين أن الاستبدال الجملي تم باستبدال جملة بكلمة، وليس استبدال جملة بجملة، أو كلمة بكلمة، كما في الاستبدال الاسمي ، والفعلي؛ وذلك للاختصار، فلو تم استبدال جملة بجملة لَطَالَ الكلام وكَـثُـرَ، والمقام لا يستدعي

الإطالة، وهذه هي طبيعة الاستبدال.

2.الحذف:

من العلامات الداخلية المهمة التي تُسهم في تسخير الطاقات التعبيرية للغة، وفيه « يعمد النص في كثير من الأحيان إلى حذف عنصر من عناصره، أو تركيب كامل، ويدل السياق اللفظي السابق للموضع الذي تم فيه الحذف على طبيعة المحذوف، أو المحذوف ذاته، وفي أحيان كثيرة تجتمع العناصر المذكورة سابقاً مع العناصر المذكورة أيضاً لاحقاً للدلالة عليه»(أبو خرمة، 2004، 167)، وينقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام: الاسمي، والفعلي، والجملي، كما ورد في قسمة هاليداي، ورقية حسن.(يُنظر: الخطابي، 2006: 22، ويُنظر: محمد، 2007: 118) ظهرت آلية الحذف في عدد من المواضع في قصة فينيسيا، ومن أمثلة الحذف الفعلي فيها « مدينة تنتمي إلى زمن آخر، عالم آخر، مدينة لا تشبه إلا نفسها»(الفقيه، (د.ت): 25.)، فقد حذف الفعل(تنتمي) استغناء بحرف الربط (الواو العاطفة)، وأصل العبارة (تنتمي إلى عالم آخر)، وهو حذف جائز، يُحقق كثيراً من الانسجام النصي، ويمنح النص نصيته، ومنه أيضاً قول السارد:» طبيعتي الحرة تكره الجداول التي تحدد مواعيد الحضور والانصراف، وأوقات النوم واليقظة، والعلاقات الرسمية المرسومة بالمسطرة «(الفقيه، (د.ت): 40)، فقد حذف الفعل(تحدد) واستغنى بحرف الربط (واو العطف)، وأصل النص(تحدد أوقات النوم واليقظة، تحدد العلاقات الرسمية)، وفي قوله:» هل لابد أن أكون قاتلاً، أو مقتولاً "(الفقيه، (د.ت): 40.

حذف الفعل(أكون)، واستغنى بالرابط (أو) حرف عطف للتخيير أو الشك، وأصل النص (هل لابد أن أكون قاتلاً أو أكون مقتولاً)، وعلى الرغم من أن الحذف لا يترك ذاك الأثر الذي يتركه الاستبدال، ومع ذلك فإن القصد الإيحائي للكاتب من وراء الحذف، يمثل آلية تُنشّط خيال المُتلقّي وتقوي العلاقة بين النص والمُتلقون»(يُنظر: زايد، 1981: 57، ويُنظر: الخطابي، 2006: 21، 22)، فالفعل المحذوف (تنتمي) في الجملة الثانية (عالم آخر)، يوجد في هذه الجملة « فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه، اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى، أو نصاً سابقاً « (الخطابي، 2006: 21) وهنا يقوم المُتلقي بربط المحذوف مع العناصر السابقة واللاحقة في النص، إضافة إلى علاقة المحذوف بالسياق الخارجي؛ لتكتمل لديه عملية التأويل، فالحذف يُشيء بتفرد مدينة فينيسيا في مكانها، وزمانها، فهي تنتمي إلى زمن غير زماننا، وعالم آخر غير عالمنا، إنها مدينة حسب قول السارد» لا تشبه إلا نفسها»(الفقيه، (د.ت): 25)، فالمحذوف هنا(متفردة)، والحذف يتوافق مع موقف الشخصية من المدينة، موقف الدهشة والانبهار الذي سيطر عليها وهي ترى معالم الجمال في كل شبر من المدينة، وهذا ما أشار إليه دي بوجراند في قوله:» يتطلب الإيغال في الحذف جهداً أكبر؛ لربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض، في الوقت الذي يقتطع منه البنية السطحية بشدة، ووجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف»(دي بوجراند، 1998، 345)، وفي قوله :» أسمع الغناء ذا الطبيعة الأوبرا لية، أو العزف الذي يأتي من أماكن بعيدة»(الفقيه، (د.ت): 33)، حذف الفعل (أسمع) استغناءً بحرف الربط (أو)،

وأصل العبارة(أسمع العزف الذي يأتي من أماكن بعيدة)، وتم الحذف « بإسقاط بعض العناصر من الكلام (الفعل أسمع)، اعتماداً على فَهم القارئ من جهة، وعلى وضوح قرائن السياق من جهة أخرى.(يُنظر: الفقي، 2000، 1/ 21)، فالشخصية في خضم معاناتها من المطارد المجهول، تُعطل الحواس المستفـزّة باستثارة الخوف والترقب، فتجعلها خاملة، في مقابل تنشيط حاسة السمع للاستمتاع بالعزف والغناء، في محاولة للهروب من لحظات المطاردة، وقوله: «صوت باب يُفتح، أو وقع أقدام تعبرُ الممر»(الفقيه، (د.ت): 34) هنا حذف الاسم(صوت) في الجملة الثانية، وأصل العبارة: (صوت وقع أقدام تعبر الممر)، يبدو أن الكاتب رأى من الركاكة ذكر الاسم (صوت)، وقد تلته كلمة أخرى شبيهة لها في المعنى، وهي:(وقع أقدام)، وقد أوضحت معناها، وعلى هذا فإن الحذف ربط بين الجملة الأولى والثانية، وأدى إلى اختصار اللفظ دون إنقاص المعنى، وفي قوله:» أقوم بجريمة قتل وهمية تعويضاً عن خيبتي في التصدي له أثناء المواجهة»(الفقيه، (د.ت): 40) ، والتقدير(أعوض تعويضاً) فعل، وفاعل، ومفعول ، ولعل الكاتب حذف الجملة لاعتمادها على ما يُشاركها في المعنى، حيث أن موضوع النص واحد وهو محاولة خلاص السارد من مطاردة الرجل المجهول له، فكانت كلمة (تعويضاً) دالة على أن السارد يصارع شبحاً لا وجود له إلا في مخيلته، فأراد القيام بجريمة قتل وهمية يعوض بها إحساس الخيبة والفشل في التصدي لمطارده الرجل المجهول أثناء المواجهة الحقيقية.

الفصل الثاني: الاتساق المعجمي في قصة مرايا فينيسيا

3.التكرار: تبحث أدوات الاتساق المعجمي في المفردات من حيث هي مفردة، ويخالف الاتساق النحوي الذي يبحث في تركيب الجمل، ومن أدوات الاتساق المعجمي: التكرار، والتضام، وسينفرد هذا المبحث للحديث عن التكرار الذي ينقسم إلى: تكرار كلمة، الترادف، أو شبهه، وتكرار الكلمة الشاملة، والكلمة العامة. (زويد، وبو الشعير، 2021: 95، 96.)

أ- تكرار الكلمة:

وفيه يتم تكرار الكلمة لفظاً ومعنى، ومن شواهد تكرار الكلمة في نص القصة قوله:» سرتُ باتجاه الرصيف الذي تقف عنده المراكب،...، بدأ المركب يأخذ حمولته،...، تسللتُ إلى حانة قريبة، ....، الحانة تكتظ بالدخان،...، قررتُ أن أشرب كأساً،...، طلبتُ كأساً من الكحول،...، أتبعته بكأس ثان،...، أحسست بالكحول يحرق صدري،...، الرجل يقف وسط الزحام،...، وجهه تجسيد لملاك الموت،...، بين وجهه وبين ملاك الموت فكرة ،...، نعرف أن الموت يطاردنا،...، هذا الرجل أطرده من فكري،...، وأنعم بإجازتي»(الفقيه، (د.ت): 30)، يُلاحَظ في المقتطف السابق من نص القصة، أن آلية التكرار جاءت في عدة كلمات وهي: « المركب/ الحانة / الرجل / الخمر/ كأس/ كحول/ زحام/ وجه/ ملاك الموت/ الفكرة «، نحن أمام عشر كلمات تكررت داخل النص بمرات تتراوح بين الاثنتين والثلاثة، وهذا التكرار أسهم في ترابط النص واتساقه، فعندما تقرأ المقتبس السابق فإنك تجد التناسق بين كلماته، التي عملت على ترابط الحدث السردي عبر ترتيب ماهر من الكاتب، خدم النص القصصي

عن طريق إغناء الجانب التعبيري؛ لأن تكرار أي نمط لُغوي، يعني أن هذا العنصر ذو دور مهم في القصة، مما يعني سيطرته على آلية التتابع السردي التي حكمت إنتاج النص، ولاسيما الأجزاء التي احتفلت بتكراره، فالحدث يبدأ ببحث السارد عن وسيلة للهرب من الرجل المجهول الذي يطارده، فكان تكرار (المركب) وسيلة النقل المتوفرة، للهروب في بلاد الماء التي لا تدخلها السيارات، ثم تذهب إلى وسط الحدث، المتمثل في اللجوء إلى مكان مزدحم مناسب للتخفي، فكانت (الحانة) بما يتوفر فيها من ازدحام الرواد، وكثافة دخان السجائر، وبعد التخفي يباشر في البحث عن وسيلة لنسيان حادثة المطاردة، فكانت (الخمر) ومتعلقاتها من (الكحول، والكأس)، ثم تأتي مرحلة المفاجأة بظهور الرجل المجهول وسط الزحام، فيذهب الكاتب إلى تبين ملامحه، فكان تكرار (الوجه) الذي يشبه (ملاك الموت) الذي يدل على المصير القاتم الذي ينتظر السارد، وأخيراً يختم الحدث السردي للمطاردة، بمحاولة نسيان الحدث فكان تكرار (الفكرة) بطردها، حسب تعبير السارد:» أطرده من فكري، وأنعم بإجازتي»، ومن شواهد تكرار الكلمة قوله:» الفندق صامتاً ،...،

العجوز يقرأ كتابه صامتاً»(الفقيه، (د.ت): 30) نلحظ في المقتبس تكرار كلمة (صامتاً)، وهذا التكرار أسهم في ترابط النص واتساقه، (الفندق صامتاً، العجوز صامتاً)، صمت المكان، وصمت الشخصية الذي يمثله الفندق والعجوز، فاللقطتان زاوية التصوير فيهما واحدة، تنطلق من الشعور بالخوف والفزع إلا أنهما غير متطابقتين، فكل منهما تؤكد دلالة الأخرى، وتؤديا دوراً اتساقياً للربط بين عنصرين سرديين (مكان وشخصية)، فلو أمعن المُتلقِّي النظر في استخدام الكاتب لمثل هذه التقنية في التكرار، لتبيَّن له أنها خدَمته كثيراً، فالكاتب في تأكيد فكرته على خوف الشخصية واضطرابها، وظف تكرار عنصرين سرديين لخدمة الغرض، فالفندق صامت لخلوّه من النزلاء، وهذا يخلق مكاناً موحشاً يزيد من نفور الشخصية وابتعادها، فهو لم يَعد المكان الآمن الذي تلجأ إليه، كما أن موظف الاستقبال في الفندق، عجوز يقرأ كتابه صامتاً، مما يدلل على عدم اهتمامه بما يدور حوله، وهو بذلك غير قادر على تقديم المساعدة للسارد، الذي يبحث عن منقذ من الرجل المجهول الذي يهدد حياته، ومن هنا يتضح أن الكاتب استخدم التكرار على مستوى الكلمة نفسها، « تلبية لغرض معين، هو: التبيين والتوضيح»(بو قرة، 2012: 39)، فبواسطة التكرار اتضح للمُتلقِّي أن المطاردة مازالت مستمرة، والسارد مازال بخطر. ومن الشواهد على تكرار الكلمة:» الرجل الذي يطاردني اختفى ،...، اختفى عني هذه اللحظة، لا أحد يضمن أنه لن يظهر في أية لحظة،...، في مقهى فلوريان ،...، لحظة خاطفة من البهجة، أعادتني إلى جمال وعذوبة اللحظات الأولى للقائي بهذه المدينة التي أحبها القلب»(الفقيه، (د.ت): 39، 40)،

يُلاحَظ من المقتطف السابق، أن التكرار جاء في كلمتي (الرجل، واللحظة)، وقد تم «تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة»(عفيفي، مرجع سابق 1/ 107)، فكانت (اللحظة، واللحظات)، وتكرارهما يُشير إلى عدة محمولات دلالية، منها دلالة الزمان، والمكان، وعمومية الاسترجاع لمواقف حرجة

تعرض لها السارد، تضمنت اختفاء الرجل المجهول الذي يُطارده وسط الزحام، كما يُشير إلى دلالة اللحظات بخصوصية اللقاء الأول للسارد بفينيسيا، المدينة التي أحبها قلبه، تراوح التكرار بين استرجاع لحظة ماضية تمثلت في اختفاء الرجل المطارد، واستباق لحظة أخرى تُنذر بظهور الرجل المجهول، والعودة إلى مطاردته من جديد، كما أن تكرار اللحظة الزمنية، يحمل نوعاً من المناجاة (مناجاة السارد المريرة لنفسه)، تُمثل المناجاة نقمة السارد على هذا الرجل، ورغبة منه في تعليق هذه المناجاة على كاهل المُتلقِّي، بالتصريح عن رغبته في وجود علاقة صحبة مع إنسان، أيًّا كان جنسه، رجل ، أو امرأة لحظة ظهور الرجل المطارد؛ ليمنحه قدراً من الأمان؛ ويتيح له أن يواجه هذا المُطارد متسلحاً بهذه العلاقة، التي استدعتها لحظة خاطفة من البهجة في مقهى فلوريان، لحظة أعادته إلى جمال وعذوبة اللحظات الأولى في لقائه بالمدينة، وزيادة على ما سبق، فإن التكرار كشف الجانب الانفعالي للسارد، بما حققه من عنصر دلالي على الضيق ، والضجر ،والمعاناة، إلى جانب أنه حقق قيمة تعبيرية أخرى، وهي أن (اللحظة) قد صارت بمنزلة عنصر ربط، فهو يصل العناصر السردية (الزمان، والمكان)، ويربط فيما بينهما عبر آليتي الاسترجاع، والاستباق، فالتدقيق في الاستعمالات التي وظفت هذا العنصر الزمني (اللحظة)، تهدف ـــــــ من وجهة نظر الباحثة ـــ ،إلى التذكير بخيبة الأمل التي شعر بها السارد في (هذه اللحظة)، كما أنه يوضح حالة القلق والاضطراب التي سيطرت على السارد نفسه، فراح يتنقل بخياله، من علاقة بامرأة إلى علاقة بأخرى علَّها تُبعِد عنه شبح الرجل المطارد له، ولكن دون جدوى.

ب - الترادف:

يُقصد بتكرار الترادف « اتساق اللفظان في المعنى، واختلافهما في الشكل»(ابن عبد الكريم، 2009: 363)، وقد وردت في النص ألفاظ كثيرة تدل على معنى واحد، ومن الشواهد على ذلك في القصة» الاستعانة بالأدلاء والمرشدين،...، معروضات تفنن أصحاب الدكاكين والعربات في رصها وتصفيفها»(70) (أدلاء ، ومرشدين)، وهي بمعنى واحد، الدليل، أو الهادي، أو المرشد السياحي الذي يتكفل بمصاحبة الأفواج السياحية في جولة لزيارة أشهر المعالم الأثرية في المدينة، أما (رصفها، وتصفيفها)، فهما بمعنى ترتيب وتصفيف البضاعة وعرضها بطريقة جميلة تجذب الأنظار، وكذلك (الدكاكين، والعربات)، وهي أماكن عرض البضاعة، وممارسة نشاط البيع والشراء، ومن الشواهد أيضاً على الترادف:» وجهه تشظى وتكسر فوق هذه المربعات والمكعبات،...، الرجال يحاصرونني بملامح شائهة ممسوخة»(الفقيه، (د.ت): 27) يُلاحَظ أن الترادف جاء في الكلمتين (تشظي، وتكسر)، وهما يدلان على معنى واحد، وهو تبعثر صورة وجه الشخص المطارد في المرايا في المتجر، والترادف في (المربعات، والمكعبات)، بمعنى انعكاس صورة الوجه على الأواني الزجاجية، مما أسهم في بروز صورة الوجه، فكانت الملامح (شائهة، وممسوخة)، وهما بمعنى البشاعة، وجميع التكرارات خدمت فكرة الفزع والخوف التي يعاني منها السارد، جراء المطاردة التي تعرض لها فور وصوله إلى مدينة فينيسيا، ومن الشواهد أيضاً:» تيقنت أنه صاحب سطوة ونفوذ بين أفراد عصابته،...، روايتي التي لا

تقدم تبريراً لهذه المطاردة ، ولا سبباً»(الفقيه، (د.ت): 29)، فالترادف هنا جاء في الكلمتين (سطوة، ونفوذ) بمعنى القوة، وكذلك في (لا تبريراً، ولا سبباً)، بمعنى الجهل بالمسبب، فالترادف يؤكد عجز السارد، وقلة حيلته في الخلاص من المطاردة، التي يقوم بها صاحب نفوذ قوي يرقى إلى مستوى أحد أفراد عصابات المافيا، مطاردة عجز عن معرفة سببها، ومن الشواهد قوله:» العشق القديم الذي بدأ يتبخر ويتلاشى،...، ما عرفته لم يَعُد يثير في نفسي أي إحساس بالدهشة والانبهار،...، فبدا لي أنني لا أرى سوى المظهر الخادع البراق»(الفقيه، (د.ت): 42، 43)، فالترادف هنا بين كلمتي (يتبخر، و يتلاشى)، وهو بمعنى يزول، و بين(الدهشة، و الانبهار)، بمعنى التعجب، وبين(الخادع، والبراق)، بمعنى المظهر الزائف فالترادفات السابقة تكشف صحوة السارد من نشوته، وتأثره بجمال فينيسيا، فهو أكثر من تغزل في وجهها العمراني اللامع، ومدح هندستها الجميلة التي تحمل كثافة التاريخ، وثراء الأزمنة القديمة، لكنه سرعان ما اكتشف زيف ذلك الوجه البراق، فزال الإعجاب، وتلاشت الدهشة، إننا أمام تكرار وظفه الكاتب لإظهار الفرق بين وجهين مختلفين للمكان السردي، (مدينة فينيسيا) وجه جميل «عامر بالأصباغ»،...، ووجه قبيح ترى فيه،...، المشردين، وضحايا الشراب يتكومون في الأركان المعتمة،...، وأكداس العفونة في نتوءات وشقوق الأرصفة، ،...، والروايات تتحدث عن مجرمي ولصوص وقراصنة فينيسيا»(الفقيه، (د.ت): 43)، فالفارق الذي صنعه التكرار في المكان السردي، أدى «وظيفة دلالية غرضها تعظيم الأمر وتهويله وزيادة التنبيه»(د. المنيف، الحلوة، 2012، 25) للمُتلقِّي عن سوء المكان، وقذارته وخطورته بسبب انتشار الخارجين عن القانون من مجرمين ولصوص، وقراصنة.

ج- تكرار الاسم الشامل أو الأساس المشترك:

هو عبارة عن:» اسم يحمل أساساً مشتركاً بين عدة أسماء، ومن ثم يكون شاملاً لها»(جمعة، 2017، 413)، ومن الشواهد على ذلك « ظله بين كل الظلال التي تقف وتمشي وترقص»(الفقيه، (د.ت): 28)، فالكلمات السابقة في القصة جاءت بمعنى واحد شامل يقصد به: حركة الرجل المجهول وسط زحام المدينة، ومنها أيضاً» الزحام والحمام والتماثيل والتصاوير والموسيقى»(الفقيه، (د.ت): 29)، والكلمة الشاملة التي تجمع تحتها الكلمات السابقة هي المدينة « التي تشتمل على عناصر بنفس المعنى»(زويد وبو الشعير، ص96)، تضم معالم المدينة البشرية والعمرانية والفنية، ومنه أيضاً « حانة،...، صغيرة ضيقة معتمة،...، الجو عامراً بالألفة والمودة والدفء الإنساني ،...، أشاركهم الرقص والتصفيق والغناء» (الفقيه، (د.ت): 30)، يُلاحَظ أن الكلمات(صغيرة ، ضيقة، معتمة) تُعد أوصافاً تندرج تحت مصطلح عام وهو المكان المنفِّر، وتكرار الأوصاف دلل على ضيق الشخصية بالمكان (الحانة) ونفورها منه، أما الألفة، والمودة، والدفء هي بمعنى واحد وهو الحب، أما الرقص ، والتصفيق، والغناء فهي بمعنى واحد وهو الفرح، والحب و كلاهما شعور إيجابي أحسه السارد، على عكس الضيق والعتمة التي ولَّدت شعوراً سلبياً، وعليه فإن تكرار الإحساس بهذه الصورة المتناقضة، يُشير إلى عدة محمولات دلالية منها الدلالة على الزمان والمكان ، وما يعكسه من ردة فعل الألفة، أو النفور،

وعمومية الشعور بالغربة التي تلحق كل مسافر مقيم خارج بلده، كما يشير إلى دلالة فينيسيا بخصوصية المدينة المرتبطة بمعاناة السارد جراء انعدام تقبل الآخر، ومن الشواهد أيضاً « فينيسيا،...، وديعة، وهادئة، وغامضة،...، الفتاة وجهها المستدير يفيض نضارة وبهاء ،...، المتورد المضيء» (الفقيه، (د.ت): 37، 38، 39)، ففي التكرار الأول يجمع بين وديعة، وهادئة، وغامضة، ألفاظ مشتركة تنتمي إلى حقل دلالي واحد، وهي تنتمي إلى حقل الصفات، صفات مدينة فينيسيا، فالسارد بالتكرار يشخص المدينة، فيجعلها امرأة فاتنة تزداد حسناً يوماً بعد آخر، ويوجد أيضاً تكرار بعض المفردات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، حيث الصفات الخارجية للشخصية، تعددت وتكررت مجتمعة في الوجه وهي: الاستدارة، والنضارة، والبهاء، والتورد، والإضاءة، غير أن تكرار الملامح الحسنة لمدينة فينيسيا، وللفتاة الموظفة بوكالة السفر، يكشف عن فرق بين الملمحين، فالمدينة وديعة، وهادئة، وغامضة، ملامح غير مرئية لوجه فينيسيا، ولما كانت ملامح المدينة المخبر عنها غير مرئية لنا في الواقع كمتلقين، ذكرها ليُقاس شكلها بملامح الفتاة قياس الغائب على المشاهد، وإن اختلفتا في الطبيعة، والتكوين، فوجود صفات جميلة لفتاة فاتنة، يفتح باب المفاضلة بينهما على مصراعيه، أمام سارد متيم يميل لترجيح كفة المدينة، عندها تتجاوز المدينة المألوف من صفات الجمال، وتتحول إلى أسطورة، إلى عرس فن وجمال يتجدد بتجدد الفصول، كما ذكر الكاتب في افتتاحية قصته، وهذا النوع من التكرار أدى دوره في تحقيق الاتساق النصي بين بداية القصة، ونهايتها، ويجدر بنا الوقوف على تكرار ربط النص، وأدى إلى تماسكه، واتساقه بالكامل وذلك بتكرار الكاتب للفظتين تكراراً كاملاً وهما فينيسيا(المكان) ، والرجل المجهول(الشخصية)، فالأولى يكررها ليُظهر حبه للمدينة، وانبهاره بجمالها، وتعلقه بها، والثانية يُظهر بها صعوبة إقامته داخلها بسبب ذلك الرجل المجهول الذي طارده داخل المدينة، وتتبعه من مكان إلى آخر، حيث كرر كلمة فينيسيا ثلاث وخمسون مرة ، و كلمة الرجل أربع وثلاثون مرة، وهذا يؤكد أن التكرار لم يصدر محض مصادفة، إنما بوعي الكاتب.

1.التضام:

يُعد القسم الثاني من الاتساق المعجمي، والتضام يبحث في الكلمات، ويعني ضم كلمة أو لفظة إلى أخرى، ومعناه لغة: مأخوذ من مادة (ض.م) يُقال:» ضممتُ الشيء إلى الشيء، فأنا أضمه ضماً» (ابن فارس، 1979، 3/ 357)، والتضام اصطلاحاً هو: «صورة من السبك المعجمي يتجلى بعلاقة معجمية قائمة بين طرفين يجمعهما رابط معين، كما في كلمتين (الليل، والنهار ."(علي، 2019: 3(

ينقسم التضام في قصة مرايا فينيسيا إلى التضاد، والتنافر، وعلاقة الجزء بالكل.

أ.التضاد:

استخدم الكاتب التضاد في سرده للأحداث باعتباره سمة فعالة في توضيح المعنى حيث برز التضاد في قصة مرايا فينيسيا في قول السارد:» وبرغم الأصوات البعيدة، والقريبة، فإن الذي يُهيمن على أجواء

الغرفة ،... هو الصمت»(الفقيه، (د.ت): 34) فالتضاد هنا في الكلمتين (البعيدة، و القريبة)، و(الأصوات، والصمت) الأصوات البعيدة هي الغناء، والقريبة هدير محركات المراكب في القناة « فالعلاقة النسقية التي تحكم هذا التزاوج في خطاب ما كما بين القريبة والبعيدة هي علاقة تعارض أو تضاد»(الخطابي، 2006: 25) إذ اجتمع في المتناقضان من الأمور، فقد جمعت حاسة السمع نوعين من الأصوات البعيدة وهي: أصوات العزف والغناء، وقريبة وهي: أصوات محركات المراكب ، وهما على الرغم من الترادف المعجمي الذي يقبل المصاحبة بينهما على المستوى اللغوي الاعتيادي، غير أنهما متناقضان، فالغناء والعزف أنغام تطرب لها النفس، لكن هدير المحركات نشاز تنفر منه النفس، وقد ارتبط هذا الأمر بالفعل (اسمع)، وهو حاسة تفضي إلى معنى الاستمتاع، و الاشمئزاز كل ذلك مرتبط بالعنصر الدال على الالتقاط (الأذن)، ومن الشواهد أيضاً « ملذات الروح والجسد،... شياطين الأرض والسماء»(الفقيه، (د.ت): 37) فالتضاد هنا في الكلمتين (الروح، والجسد، والأرض، والسماء) وهي تضاد تام، وهو «أكثر قدرة على الربط النصي»(عفيفي، مرجع سابق، 113)

اعتمد الكاتب في علاقة مفرداته المعجمية على التقابل أو التضاد، أي يذكر اللفظة ثم يذكر لفظة أخرى تعكس معناها، واستخدم ذلك في مثل (الروح، والجسد، والأرض، والسماء) إننا أمام تضاد تام وحاد، ولا يمكن أن يكون متدرج؛ وذلك لأنه لا يوجد تدرج بين الروح والجسد والأرض والسماء، «وحسبما ذكر هاليداي ورقية حسن هو وجود علاقة معجمية هي علاقة التضاد»(يُنظر: المنيف، بنت إبراهيم، 1433ه-2015، 78) فالروح تستدعي المعنوي، والجسد يستدعي المحسوس، والأرض تستدعي السفلي، و السماء تستدعي العلوي، واللفظتان (السماء و الأرض) لا تشكلان تقابلاً لفظياً مباشراً؛ لأن العلاقة بينهما علاقة تنافر» وإنما يكمن تقابلهما بما تفرزانه من مفردات معنوية لكل من الطرفين تتمثل هذه المفردات المعنوية ب فوق، تحت، أسفل، أعلى»(الفقيه، (د.ت): 36، 37، 41، 44)

نلاحظ كيف عمل الكاتب على» رصف المفردات المصاحبة في النص بما يسهم في تكثيف المعنى الداخلي له، ويحقق الربط المعجمي من جانب، ويُبرز الموضوع من جانب آخر»(بنت إبراهيم، مرجع سابق، ص78) فالكاتب يستخدم التضاد؛ ليُبرز الموضوع ، وهو تأثير مدينة فينيسيا على زائريها، فمن يريد إشباع الروحانيات سيجد في جمالها منبعاً للتأمل في بديع صنع الخالق، ومن يروم البحث عن المتعة سيجد في حاناتها ضالته من خمر ونساء، ولا يخفى ما في الأرض والجسد من دلالة السفلي والوضيع، وما في السماء والروح من دلالة العلوي والرفيع، كل هذه المفردات تصاحبت في نص القصة، وكل هذا التنقل فيما بين المفردات يؤدي إلى ترابط القصة، وتماسكها واتساقها، ومن الشواهد أيضاً قوله:» أنتقل من كوابيس اليقظة إلى كوابيس النوم،... أنفض كوابيس الليل، ... أرى النهار،... عشتُ نهاراً وليلة من الإثارة والرعب، ... أنام نوماً طويلاً لا أستيقظ منه» (الفقيه، (د.ت): 33)

فالتضاد بين(النهار، والليل، الإثارة، والرعب، واليقظة، والنوم) أدت التضادات السابقة بوجودها مجتمعة في نص القصة، إلى إضفاء لمسة جمالية و إبداعية وفنية، إلى جانب الدلالات التي تفرزها، مما يجعل النص أكثر اتساقاً من جانبيه الشكلي والدلالي، فالسارد يُعبر عن موقفه من المطاردة ، ويسترجع أحداثاً ماضية حصلت بداية وصوله ، وما صاحبه من حالات نفسية اعترت السارد» فالعلاقات الدلالية بين المتضادات في الأمثلة السابقة حققت الاتساق، وذلك لاعتمادها على التعالق الدلالي، والتلازم اللفظي، فالإثارة استدعت الدهشة، والإعجاب، بينما الرعب استدعى الخوف والترقب، كما أن النهار استدعى الوضوح، والليل استدعى الخفاء والنوم حسب حالة السارد، وما يُنبئ به الحدث استدعى الهرب من واقع المطاردة، بينما الاستيقاظ استدعى مواجهة الواقع، ومحاولة وضع الحلول المناسبة للخروج من المأزق، هذه العلاقات اللغوية جعلت النص» أشد سبكاً، لأن تلك العلاقات تُحدث ارتباط القضايا داخل النص ارتباطاً قصدياً بين الأحداث، مما يضمن اتساق النص واستمراريته" (الفقيه، (د.ت): 33).

ب- علاقة الكل بالجزء:

هو النوع الثاني من التضام، ومن الشواهد الدالة عليه في القصة:» فندق صغير بلا نجوم، ولا صالة استقبال، ولا مطعم، ولا حانة»(الفقيه، (د.ت): 28) هنا يتضح علاقة الكل بالجزء في الكلمات: بلا نجوم، ويُقصد بها درجة فخامة الفندق، والصالة، والمطعم، والحانة، هي جزء من الفندق لهذا كانت العلاقة هنا علاقة الكل بالجزء، فالتضام هنا حمل دلالة المكان الوضيع، وكشف علاقة النفور التي تشكلت بين السارد والمكان، ومن الشواهد أيضاً:» أقفلت خشب الشباك،...، انتبهت إلى وجود طاولة، وكرسي،...، قرب السرير،...، خلف باب الغرفة، السقف، والجدران، والأرض المغطاة بالموكيت»(يُنظر: الخطابي، 2006: 25) فالمتعلقات السابقة أجزاء تندرج تحت مكان سردي هو الغرفة، فالقاص استخدم ربطاً معجمياً بين الغرفة وأجزاءها، مما أسهم في تماسك وترابط أحداث القصة، إن حشد هذا الكم من متعلقات الغرفة، يدلل على مواجهة السارد للموت الذي يتهدد حياته؛ بسبب ذلك الرجل المجهول الذي يطارده، مما فرض عليه من الناحية الإنسانية أن يستشعر الخوف، وأن تدب فيه مشاعر الضعف والانهيار، وهذا متوقع من شخص مُطارَد، غير أن السارد حاول درأ الخطر فسحب الطاولة والكرسي ووضعهما خلف باب الغرفة، وقد حمّل الكاتب النص دلالة التحدي والرفض وعدم الاستسلام، دلالة تبرر حشد هذا الكم الكبير من متعلقات الغرفة، مما أسهم كثيراً في تماسك النص وترابطه، وتسلسل الأحداث، وتواليها داخل حيز المكان.

ج- علاقة الجزء بالجزء:

ومن الشواهد الدالة عليه في نص القصة :» رفعت السماعة، وأدرت قرص الهاتف، وألقيت كاذباً بالعملة المعدنية في الحصالة»(الفقيه، (د.ت): 39) فالعلاقة هنا علاقة الجزء بالجزء، والتي جاءت في الكلمات(السماعة، قرص الهاتف، الحصالة، العملة المعدنية) هي أجزاء من وسائل الاتصال (الهاتف العمومي)

مازال التضام يُسهم في دفع الحدث إلى الأمام، فالسارد مازال يتبع سياسة المراوغة، والهرب من الرجل المُطارِد، فكانت المحاولة الأولى، التظاهر بإجراء مكالمة من هاتف عمومي، أما المحاولة الثانية، فكانت الاختفاء وسط الزحام والدخان في حانة «هاري» ،التي تعرفنا عليها من خلال هذا التضام الذي يتعالق فيه الجزء بالجزء، فمحتويات الحانة من (الزبائن، والدخان، وصورت أرنست هيمنجواى، والجو الخانق، والخمر، والكحول، و الكأس) كلها متعلقات شكلت جزءاً من أجزاء المكان «حانة هاري» ووفرت مكاناً مناسباً للاختباء مؤقتاً، حتى التجمعات بالطرقات شكلت وسيلة للاختفاء، والتجمع هذه المرة فرقة غجرية من ضاربي الطبل، والجيتار، وهنا جاءت علاقة الجزء بالجزء في الكلمتين (الطبل ، والجيتار) فهما جزء من أجزاء الآلات الموسيقية

د- التضام: عن طريق «الاشتمال المشترك اللفظي» (96) وهو: الارتباط في سلسلة منتظمة، أي: هي مجموعة من الكلمات متسلسلة بطريقة منتظمة مثل فصول السنة: شتاء، ربيع ...الخ ومن الشواهد على ذلك في القصة « وحيداً أتناول وجبة الإفطار، أو الغذاء، أو العشاء دون أنيس»(97) نلاحظ كيف جاءت الكلمات متسلسلة، و منتظمة، وهو وجبات الطعام اليومية، لقد بين التضام تأثير المطاردة على السارد، فما شعر به من ضجر وغربة لم تفلح كل مظاهر الجمال في فينيسيا في التخفيف من شدته، فالمكان صار منفِّراً، وتناول الطعام وحيداً له ارتباط أقوى بعدم الشعور بالسعادة؛ والسبب كما يصرح السارد:»

لأنني لا أجد أحداً يشاركني الاستمتاع بهذا الجمال»(98) صورة متتالية سريعة الحركة لتوالي وجبات الطعام التي يتناولها داخل المقهى، ليصنع عبر التضام الحوار الداخلي (المونولوج) المضطرب ليجعل الحدث واقعياً، فيشارك المتلقي الحوار للربط بين الحال، والصورة الحقيقية لوجوده داخل المدينة، إنه انعكاس لمشاعر خفية، هذه الصورة الرتيبة لحال السارد الذي يشعر بالوحدة، والضجر، وإخراج الأحاسيس الداخلية لتطفو على الظاهر، ومحاولة السارد عدم إظهارها خوفاً من انكشاف العلاقة السرية بالشخص المجهول الذي يطارده، ولكن التلازم بالعلاقة العميقة يظهر من خلال استخدام (المقهى) من المدينة كمكان سردي، ليعمق الصورة فتمتد دلالتها على المستوى العميق ثم الظاهري.

الخاتمة:

1.الاتساق النصي بنوعيه النحوي، والمعجمي أسهم في تماسك أجزاء القصة.

2.استخدم الكاتب الإحالتين الإشارية، والموصولية فأحدث نسيجاً موحداً في القصة، إذ ربط المضمون، بالعنوان «مرايا فينيسيا» ، وقد قامت أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة بالربط القَبْلِي واللاحق، وهذا يُسهم في انسجام النص واتساقه.

3.كثرة التكرار بأنواعه في القصة، مما كان له دور مهم في اتساق وربط أجزاء النص، ووحد موضوع القصة. تعددت المترادفات في القصة بصفتها نوعاً من أنواع التكرار، وكان ذلك؛ ليؤكد الكاتب على فكرته، ويجنب القارئ مزالق السأم والملل،

4.لم يرد التكرار في نص مرايا فينيسيا عفوياً، بل كان متعمداً؛ لتأكيد الكاتب لفكرته؛ ولبناء نص مترابط، يدل على طرح فكرة الأنا والآخر، وعدم تقبل هذا الآخر.

5.يمتلك الكاتب معجماً لغوياً، دلل عليه تعدد صور التضام في نص القصة، وقد أسهمت هذه الصور في توضيح دلالة المفردات، التي لا يمكن تحديد دلالتها إلا بذكر الألفاظ المصاحبة لها.

6.وظف الكاتب الحذف بأنواعه في النص؛ ليحفز المتلقي، فيعمل تفكيره للوصول إلى المحذوف، بغية الاهتداء إلى المعنى، وبذلك يُسهم الحذف في اتساق نص القصة، من خلال ربط المذكور بالمحذوف.

المصادر والمراجع:

1. أثر الإحالة في تحقيق الاتساق النصي في آيات الدعاء في القرآن الكريم، انتظار قاسم ساجت، وفليح خضير شتي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع 42، 2021.

2.أثر التكرار في التماسك النصي، قصة يوسف عليه السلام نموذجاً، هاجر سعد محمد جمعة، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، ع9، يناير 2017.

3.أثر التكرار في التماسك النصي، مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، نوال الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع8، مايو2012.

4.الاتساق والانسجام النصي، الآليات والروابط، بخولة ابن الدين، دار التنوير، الجزائر، ط4، 2001.

5.الاتساق بالتضام في الخطاب القرآني للمرأة دراسة نصية، أنفال رشاد علي، مجلة مسار التربية والعلوم الاجتماعية، مج6، يناير، 2019.

6.أدوات التماسك النصي في سورة الشعراء، ابتسام زويد وسليمة بو الشعير، رسالة جامعية، جيجل، الجزائر، 2021.

7.إشكالات النص دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009.

8.بناء القصيدة العربية الحديثة، على عشري زايد، دار الفصحى للطباعة والنشر، الكويت، (د.ط)، 1981.

9.الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد متوكل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

10.شرح كافية ابن حاجب، رضي الدين الأستربادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

11.علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، ط1، 2000.

12.علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2007.

13.عناصر الاتساق والانسجام، قراءة نصية تحليلية في قصيدة «أغنية لشهر آيار» لأحمد عبد المعطي، يحيى عبابنة وأمنة صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق، دمشق، سوريا، ع (2+1)، 2013.

14.لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس والإجراء)، نعمان بو قرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012

15.لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006

16.مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.

17.المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص مقاربة نصية في مقالات الدكتور خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم، مجلة الدراسات اللغوية، مج14، ع3، 1433ه-2015.

18.المصطلحات الأساسية في اللسانيات، النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بو قرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.

19.نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ط)، 2001.

20.نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، عمر محمد أبو خرمة ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

21.نسيج النص، بحث فيما به يكون الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

22.النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998.

23.juillet 2023. URL: https://aleph-alger2.edinum.org/899

الربط النصي الدلالي. المفاهيم والإجراء.

د. عادل محمد يوسف الناجم.*

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا.

ملخص

يُعد الربط النصي الدلالي مفهومًا مركزيًا في اللسانيات النصية، حيث اعتمد مجموعة من الإجراءات التي استقاها من علوم أخرى فاتحًا بذلك مرحلة جديدة من الدراسات اللسانية البينية التي انفتحت على علوم متعددة، بعد أن كانت اللسانيات مختزلة في المجال اللغوي وبخاصة الجملة، كما انفتحت الدراسات النصية على البعد التداولي للغة في النصوص، بعد أن سيطر على دراستها الجانب الشكلي.

تمثل رسائل الجاحظ نصًا مهمًا في التراث العربي؛ الأمر الذي دفع إلى اختيار جزء منها متمثلًا في مقدمة رسالة (المعاش والمعاد) مدوَّنة للبحث، وللوصول إلى أهدافه والإجابة عن إشكاليته.

تأتي هذه الدراسة بيانًا لبعض المفاهيم المستخدمة في الربط الدلالي للنصوص، وكيفية إجرائها على النص اللغوي متمثلًا في جنس الرسائل، حيث تأثرت الدراسات اللسانية في هذا المجال بإنجازات علم النفس المعرفي، ما يُمكّن من استثمار تلك المنجزات في مجال اللسانيات، بحثًا عن مقاربة مغايرة لمقاربات علم الدلالة التقليدي في التحليل النصي، وهو ما يمثل أهمية هذه الدراسة.

ومن شأن هذا البحث أن يجيب عن بعض الأسئلة في هذا المجال، ومنها: لماذا اتجهت اللسانيات إلى الدراسات النفسية الإدراكية؟ وكيف يمكن توظيف منجزات هذا التوجّه في تحليل النص التراثي؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة وما يرتبط بها من أسئلة أخرى ممّا سيكشف عنها هذا البحث، من المؤمّل أن توضح إمكانات الربط الدلالي في التحليل النصي، واستثماره بطريقة مثلى في دراسة النصوص التراثية، ومن ثم في النصوص بمختلف أنواعها، وصولًا إلى توظيفها في مجال تعلم اللغة العربية وتعليمها.

وسيتم الوصول إلى أغراض الدراسة من خلال المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمكن بواسطته طرح القضايا ومناقشتها بما يحقق أهداف البحث وغاياته.

الكلمات المفتاحية: التماسك، علم النفس المعرفي، الجاحظ، ربط المفاهيم، الخطاب، الإطار.

Semantic Textual Cohesion: Concepts and Procedures

* Dr. Adele Mohammed Yousef Ennajeme

Associate Professo, Department of Arabic Language, College of Arts, Sebha University, Libya

ade.annajem@sebhau.edu.ly

Summary:

Semantic textual cohesion is a central concept in discourse linguistics, drawing on procedures from various disciplines to open up a new phase of interdisciplinary linguistic studies. Prior to this, linguistics was confined to the study of language, particularly at the sentence level. Textual studies expanded to include the interactive dimension of language in texts, diversifying beyond the formal aspect. Al-Jahiz's messages represent important texts in Arabic heritage, prompting the selection of a section from his introduction to the "Al-Mu'ash wal-Ma'ad" letter as a case study to achieve the research's objectives and address its problem. This study explains some of the concepts used in textual cohesion and how they are implemented in linguistic texts, specifically in the genre of letters. Linguistic studies in this field have been influenced by cognitive psychology achievements, enabling their integration into linguistics to explore alternative approaches to traditional semantic analysis in textual analysis. This study aims to answer several questions, including why linguistics turned towards cognitive psychology and how to employ the achievements of this approach in analyzing transcendent texts. Answering these questions, along with others that will be addressed, is expected to shed light on the potential of semantic cohesion in textual analysis, optimal utilization in the study of heritage texts, and consequently, application in various types of texts and in Arabic language learning and teaching. The study's objectives will be achieved through a descriptive-analytical approach, which allows for raising and discussing issues to fulfill the research's aims and purposes.

Key words: Coherence, cognitive psychology, Al-Jahiz, linking concepts, discourse, framework.

المقدمة:

تقع هذه الدراسة ضمن مجال الدراسات البينية، وتحديدًا في حقل اللسانيات النفسية، فقد شهد هذا المجال تطورًا ملحوظًا في العقود الأخيرة، بالاعتماد على توظيف مقاربات علم النفس الإدراكي في مجال اللسانيات، وتستند المقاربات النفسية إلى منهج قائم على أسس علمية تجريبية، أسهم في إنتاجها العلوم الأحيائية، وعلوم الذكاء الاصطناعي، وقد حققت نجاحات في التحليل اللساني، وبخاصة فيما يتعلق بتحليل الخطاب ونظرية علم النص.

وتتمثل أهمية البحث في كونه سيُغطّي فجوة بحثية في مجال الدراسات اللسانية النفسية في الجامعات الليبية، من خلال توضيح مجموعة من المفاهيم بشكل يمكن من التعامل معها، إضافة إلى أن البحث سيعتد إلى جانب المدخل النظري، منهجاً إجرائياً لكيفية تحليل النص وفق منظور اللسانيات النفسية.

وهو ما نعتقد بعدم ولوجه من قِبل الباحثين بشكل كافٍ في مجال البحث اللساني في ليبيا، ومن ثَمّ سيساعد البحث على فتح الطريق أمام الدارسين لبيان الكيفية التي يمكن من خلالها استخدام المنهج الإجرائي في تحليل النصوص، حيث لاحظنا الاهتمام بالمجالات النظرية في كثير من الدراسات اللسانية على حساب الحقل الإجرائي.

ويهدف هذا البحث إلى الاستفادة من بعض المقاربات النفسية الإدراكية في مجال الربط النصي الدلالي، إذ تنطلق المقاربة من افتراض أن العمليات الذهنية هي المسئولة عن تنظيم المعارف وفهمها وربطها وتخزينها في الذاكرة، ولا يتم ذلك بالاستناد على الواقع مباشرة كما كان سائدًا.

وسنعمل في هذا البحث على تحقيق الهدف المشار إليه من خلال اعتماد مدوّنة لغوية تراثية، تتمثل في مقدمة رسالة الجاحظ، المعاش والمعاد، حيث سيتم تحديد مقدمة نص الرسالة بناءً على أغراضها التي، نرى أنها، تُمثل لبنات للوصول إلى أهداف منتِجِها.

وسنحاول في هذه الدراسة الإجابة عن بعض الأسئلة التي تتمثل في: لماذا اتجهت اللسانيات إلى الدراسات النفسية الإدراكية؟ وكيف يمكن توظيف منجزات هذا التوجّه في تحليل النص التراثي؟ وما قد يتبعها من أسئلة أخرى قد ترد في ثنايا البحث.

وسنعتمد في الإجابة عن الأسئلة السابقة على مجموعة من الدراسات النظرية والإجرائية التي تخدم البحث، وتسهم في تحقيق أهدافه، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي الذي سنعتمده في الوصول إلى الظواهر اللغوية من المدوّنة المختارة، ثم تصنيفها وتحليلها وفق الرؤية المعتمدة في البحث.

والله من وراء القصد.

مفهوم الربط الدلالي:

يُعدّ الربط الدلالي من المفاهيم التي ظهرت في اللسانيات الحديثة، في مجال تحليل الخطاب وعلم النص.

الربط الدلالي هو البنية التحتية للربط النصي السطحي، ويعني الربط الدلالي سيكولوجيًا:» مجموعة من العلاقات المفهومية يستخدمها القراء والكتاب في تعاملهم مع النص»(فرج، 2007: 127).

ويدرس الربط الدلالي» ما تتصف به مكوّنات عالم النص(أي تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يستند إليها ظاهر النص) من وثاقة صلة وسهولة تواصل فيما بينها»(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 261).

ويمتاز الربط الدلالي بأنه يقع على مقصد المخاطَب وقد يتجاوزه، فكل قصد قد يقع ضمن الربط الدلالي، ولا يشمل كل قصد الربط الدلالي، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، وقد ناقش العلماء العرب اللغويون والأصوليون والمنطقيون هذه القضايا في بعض مؤلفاتهم(التهانوي،1:1996/ 792).

الربط الدلالي في التراث:

تناول العلماء المسلمون كثيرًا من قضايا النص، ومن بينها ما يمكن أن يُصنف ضمن الربط الدلالي تنظيرًا وإجراءً، وتستند مقاربتهم إلى اعتماد النظر اللغوي وما يتعلق به من سياق داخلي أو خارجي، وقد استطاع أولئك العلماء صياغة وصف دقيق لعناصر الربط المتعلقة بالنصوص، وأكد كثير من اللسانيين جهود العلماء المسلمين في هذا الجانب، ووضّحوا كثيرا من خصائصها، اللغوية والتداولية.

اهتم العلماء المسلمون بربط الوحدات الكبرى في النص (الفقرات) أو الفصول بمصطلحات محددة، ومن أهمها: المبدأ والخروج والنهاية وتعدّ هذه المفاهيم مجالا تبلورت فيه تصوراتهم عن مواصفات البناء الموضوعي النموذجي لنص محبوك دلاليًا، كما أنهم وقفوا على مبادئ الابتداء والتخلص والانتهاء من حيث كونها مؤشرات بنائية بخاصة في نسيج النص(العبد، 2005: 116/ 117)، ويُشير الجاحظ في هذا السياق إلى أنه:» على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى»(الجاحظ، 1998: 1/ 75)، ويندرج كثير ممّا تناولوه ضمن الأطر النظرية التي تعتمد على عملية التجريد، وهي مرحلة متقدمة في إدراك الظواهر وتصنيفها، ومن ثَمّ الإسهام في إنتاج المعرفة، ويُعتمد في استنباطها على الذهن؛ لأنها محكومة بقواعد معيّنة بسط فيها العلماء القول في كثير من مصنفاتهم، وتلك القواعد هي قواعد ذهنية، وهي غير قواعد الاستعمال اللغوي، وممّا يزيد من أهمية نظرة العلماء المسلمين، الانطلاق في تنظيرهم من الاستعمال اللغوي الواقعي إلى استنباط القاعدة المجردة في الذهن، وليس العكس، وهذا الاتجاه لا يفرض على اللغة نظامًا أو قواعد من خارجها، فنجد في منهجهم مزاوجة بين الاستدلال والخبرة(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 126)، وهذا تطوّر كبير جدا في النظر.

تنبَّه العلماء المسلمون أيضا، إلى العلاقة بين النص وطرفي الاتصال، وتوضيح الشروط اللازمة لنجاح الرسالة اللغوية ومن ثم عملية التواصل، وممّا ورد في هذا السياق قول ابن رشيق:» والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره»(ابن رشيق، 1981: 223). وما ذكره ابن رشيق يُعدّ من شروط نجاح عملية التواصل، وتضمَّن قوله إشارة مهمة، من حيث مراعاة الجوانب النفسية للمخاطب، وقد أشار بعض اللسانيين إلى هذه النقطة بمصطلح: رعاية الدور الاجتماعي للمخاطب(العبد، 2005: 119)، ويظهر الاهتمام بهذا الدور في: اختيار الغرض الملائم لوقت الخطاب، ومعرفة أحوال المخاطبين المشمولين به.

ومن بين القضايا التي أولاها العلماء المسلمون اهتمامهم، مراعاة طبقات المخاطبين في عملية التواصل، فلكل طبقة اجتماعية ما يناسبها من الخطاب؛ وحول هذه المراعاة يُشير ابن طباطبا إلى ما ينبغي على منشئ الخطاب الاعتناء به، بقوله:» ولكُلِّ طَبَقَةٍ مَا يُشَاكِلُهَا حتّى تكون الاستفادةُ من عقلهِ فِي وَضْعِهِ الكَلامَ مواضِعَهُ أكْثَرَ من الاستفَادةِ من قَوْلِه فِي تحْسِين نَسْجِهِ، وإبدَاعِ نَظْمِهِ»(ابن طباطبا، 1985: 9/ والعبد، 2005: 119 وما بعدها).

تُظهر هذه الإشارات للعلماء المسلمين عمق النظر، وتمحور حول الربط الدلالي، الأمر الذي سيتبين بوضوح في الجانب التحليلي.

اللسانيات وعلم النفس المعرفي:

تمتدّ علاقة اللسانيات بعلم النفس إلى مرحلة ما قبل دي سوسير، وقد وَظفت اللسانيات حقلَ علم النفس في كل مرحلة من مراحلها بطريقة مختلفة عن المراحل الأخرى، لكنّ المرحلة الأكثر بروزًا في الاهتمام بالدراسات النفسية في اللسانيات، كانت مع النظرية التوليدية التحويلية التي رسّخت العلاقة بين اللغة والعلوم الأحيائية، ونتج عنها اللسانيات الأحيائية، التي تعني:» الدراسات اللغوية التي تستند في تدعيم فرضياتها إلى نتائج تشريح الدماغ وتحليل مكوناته الداخلية المتصلة بالقدرة اللغوية language competence وبالأنساق المعرفية cognitive systems المرتبطة بالعمليات الذهنية المعقدة كالتفكير والإدراك وغيرهما»(الزراعي، 2016: 23).

ففرضية اللسانيات التوليدية بُنيت على أن موضوع اللغة الدماغُ وفي الدماغ، وليست شيئًا خارجًا عنه على مستوى القدرة اللغويةlanguage competence ؛ ولهذا يرى بعض علماء علم الدلالة أنه» يمكن أن يُلهم الاتجاه النظري في علم اللغة الاتجاه النفسي. ويمكن أن يستفيد علم الدلالة المعرفي من عمق منهجية البحوث النفسية ودقتها»(جيرارتس، 2013: 358)، وبدأ كثير من اللسانيين باستثمار منجزات الدراسات النفسية وصياغتها في نماذج يمكن تطبيقها إجرائيًا على الخطاب اللغوي، ووضع أولئك اللسانيون تصوُّرا للنظرية اللغوية النفسية الذهنية، ويستند تصورهم، حين تفترض تلك النظرية: أن اللغة موضوع نفسي،

وأن بناء التعابير اللغوية ليس إلا جزءًا من العمليات النفسية أو الذهنية، التي تقوم عليها مختلف القدرات المعرفية لدى الإنسان (الشمري، 2008: 87)؛ ووفق هذا الاتجاه تغيّر مفهوم اللغة عمّا كان سائدا في اللسانيات، فالعلاقة بين اللغة والعقل أصبحت تستوجب تقاربًا بين علم الدلالة المعرفي وعلم النفس، بل توسّع بعض اللسانيين في ذلك حين ربطوا بين أي نظرية تطمح إلى الواقعية المعرفية بشكل مثالي بجميع التخصصات الأخرى التي تخبرنا عن المعنى والعقل(الشمري، 2008: 87).

ممّا تقدم يتبيّن كيف تطورت العلاقة بين الدراسات اللسانية والدراسات النفسية، تلك العلاقة التي استندت إليها مقاربات لسانية مختلفة، بدءًا من اللسانيات التوليدية مع علم النفس المعرفي، وانتهاءً بالمقاربة اللسانية العرفانية.

منطلقات النظريات النفسية المعرفية وأهدافها:

اختلفت مصطلحات التفسير عند اللسانيين حول علم النفس المعرفي، ومن بين تلك المصطلحات: فهم، إدراك، تفسير إدراكي، (معرفي). (فان دايك، 2001: 257)، وتطمح الدراسات الدلالية بشكل عام إلى الفهم الأمثل للأنظمة الدلالية للغات الطبيعية؛ تحقيقًا للكشف عن آلية عمل اللغة من هذه الزاوية، وتحاول تلك النظريات الإجابة عن السؤال الجوهري في هذا السياق: كيف تتم عملية الفهم؟ وكذلك الإجابة عما يترتب عن هذا السؤال من أسئلة أخرى مرتبطة به. وقد اختلفت النظريات والمقاربات التي حاولت الإجابة عنه؛ باختلاف الأسباب الكامنة وراء تلك الإجابات، وتعدّدت مسالكهم بحسب وجهات النظر.

تنطلق النظريات النفسية الذهنية المتعلقة بدراسة اللغة، من مسلمة تفيد بأن اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني، فاللغة لا ترتبط مباشرة بالعالم الحقيقي أو الفيزيائي، فبين اللغة والعالم سيرورة بناء واسعة، حيث يوجد مستوى وسيط، وهو المستوى المعرفي، ويترتب على هذه المسلمة أن المعلومات التي تحملها اللغة مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن التجربة ولا تحيل هذه المعلومات المتحققة في اللغة على العالم الواقعي، كما كانت تذهب بعض النظريات السابقة. بل تحيل على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم المذكور(جورج لايكوف، مارك جونسن، 2009: 8)، (الشمري، 2008: 87)، وينبني على هذه الفرضية أنّ المفاهيم خاضعة لتنظيم الذهن لها، وكذلك العلاقات التي تربط بينها علاقات ذهنية.

وتهدف النظريات النفسية الذهنية إلى توضيح الكيفية التي تربط بين اللغة والعالم في الذهن البشري؛ لتبيان الصورة التي يرتبط بها التمثيل الذهني للغة والتمثيل الذهني للعالم، وهذا ما تؤكده المقاربة النظرية في التصنيف. وقد دفع تصوّر العلماء للآلية التي تعمل بها اللغة في الذهن، إلى بحثهم في هذه العلاقة، ونتج عن هذا البحث انفتاحٌ على العلوم التي تتخذ من الذهن مجالًا لها، والتي من بينها، علم النفس المعرفي وعلم التشريح، ومن النتائج المرجوّة من أبحاث العلماء في هذا المجال معرفة الكيفية التي تتشكل

بها المفاهيم في الذهن، فالوجود يتكون من عناصر وعلاقات، والعناصر لها صفات وتقع في زمان وفي مكان، ومن ثَم يُمكن القول بأنّ» المفاهيم هي اللبنات الأساسية للفكر. إنها تشاركنا بشكل حاسم عندما نفكر، ونتوصل إلى استنتاجات، ونحاول تعميم تجاربنا السابقة على مواقف جديدة. وراء كل كلمة في كل لغة يكمن مفهوم، ...، فالمفاهيم لا غنى عنها للإدراك البشري»، وقد تمحورت تساؤلات كثير من العلماء حول المفاهيم والقضايا المتعلقة بها، مثل: هل المفاهيم مجرد انعكاس للعالم في الذهن؟ أم إن الذهن هو الذي يُشكل المفاهيم ويتحكم فيها؟ وأين مكانة اللغة من هذين التصورين؟ وكيف تنبني العلاقات بين المفاهيم؟ هل تعتمد في ذلك على العلاقات اللغوية؟ أم على العلاقات في العالم الواقعي؟ أم على علاقات ذهنية تصورية؟ أم أن المفاهيم لها نظام خاص تنتظم فيه؟(Boroditsky, Lera, 2002,24). هذه الأسئلة وغيرها هي التي ناقشها العلماء والفلاسفة في عصور مختلفة، وهي التي نشأت حولها المقاربات الدلالية وما تلاها من تصورات ومقاربات لسانية.

ربْطُ المفاهيم:

تأتي أهمية ربط المفاهيم فيما بينها بعلاقات منظمة؛ لأنها تؤثر على الطريقة التي تستخدم بها ويُحتفظ بها في الذاكرة (جيرارتس، 2013: 355)،

وتُعدُّ عملية ربط المفاهيم من بين أكثر العمليات الذهنية تعقيدا، كما تبيّن من الأسئلة التي طُرحت حول هذه القضية في الأعلى. وللعلماء فرضيات حول تصوّر ارتباط المفاهيم، ومن بين تصوّراتهم أن فهم عالم النص لا يقتصر على فهم تعبيرات ظاهر النص وحده، بل تُسهم العمليات المعرفية في معرفة الحس المشترك الناجم عن توقعات المشاركين وخبراتهم بشأن تنظيم الحوادث والمواقف(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 120/ 121). فاللغة ليست وحدها المسئولة عن كيفيات ارتباط المفاهيم في النص، ومن بعده في الذهن، وإنما ينجم ذلك الارتباط وتلك العلاقات بين المفاهيم، إلى جانب عنصر اللغة، عن عناصر خارج لغوية لها مرجعيات مختلفة في سياق الخطاب.

لا تأخذ المعلومات مسارًا مباشرًا في طريقها من (الحواس) إلى (الفكر)، وإنما تمرّ بترميز في عدة مستويات وبطرائق مختلفة ومعقدة، وبعد وصول الرموز المشفرة encoded إلى الدماغ يعملُ على فكها ومطابقتها (وتثبيتها أو نفيها) مع المعلومات والتجارب المخزنة القديمة (الزراعي، 2016: 30)؛ ويعني ترميز المعلومات، صياغتها بطريقة رمزية في الذهن، وتنظيمها وفق التنظيم الذهني للتجربة، أي أنها تصبح رموزاً ذهنية لغة وتنظيمًا (جيرارتس، 2013: 355)،

وهذا ما يُفسِّر ميل مستخدمي اللغة إلى استثارة كتلة معرفية بعينها، عند استعمالهم لتعبير خاصٍ أو مواجهتهم له (دي بوجراند ودريسلر، 1992: 121)، وتمثل عملية الاستثارة عملية ربط بين المفاهيم من جهة، وبين التنظيم الذهني والتنظيم الواقعي لها.

اعتمد تصوّر المفاهيم في علم الدلالة سابقًا، على نظرية السمات، التي ركّزتْ على تجزيء المفاهيم إلى وحدات، غير أنّ هذا التصوُّر واجه صعوبة من الناحية العملية، ووجِّهت إليه كثير من الانتقادات، وبالاستعانة بتصوّرات علم النفس الإدراكي المدعّمة بالتجارب، تبنّى العلماء تصوُّرا ثانيًا، فبدلًا من عملية التجزيء، اتجه النظر إلى تجميع المفاهيم وفق تصورات ذهنية مخزّنة في الدماغ، بالاعتماد على التجارب السابقة ومعرفة العالم، وأصبح يُنظر إلى وظيفة العمليات الذهنية الإدراكية؛ على أنها تبيِّن كيف نكتسب معرفة وإدراكا من خلال معلومات نصية؟ وكيف تُختزن هذه المعرفة، ويُعثر عليها مرة أخرى، وتُستخدم من جديد؟(فان دايك، 2001: 259/ 260)؛ وبهذا التصوّر في النظر المعرفي، تغيّرت كثير من المفاهيم في تحليل النصوص، وبات النص لا يُعالج لغويًا فحسب، بل ذهنيًا أيضًا؛ للارتباط الوثيق بين اللغة والذهن. وظهرت مفاهيم جديدة تسهم في فهم النص، وسادت في هذا المجال أربعة مصطلحات، وهي: الآطر، المخطّطات، الخطط، المدوّنات(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 127)، (Lawrence and Barbara, 1999: 4) وعلى الرغم من بعض الانتقادات التي وُجّهتْ إلى هذا التصوّر، فإنَّ كثيرا من الباحثين يعتقدون نجاعته في التحليل، ويُبرّرون استخدامه بأنه يخدم الأغراض النظرية بشكل جيد(Lawrence and Barbara, 1999: 4).

يُضاف إلى ما تقدم أن العمليات الإدراكية لا تكتفي بمدّنا بالكيفية التي يتم بها استيعاب المفاهيم ومن ثم استيعاب النصوص فحسب، بل إنها تضطلع بدور آخر يتمثل في وضع الروابط بين معلومات نصية ما والمعارف والمعلومات التي نمتلكها من قبل، الأمر الذي يسهم في زيادة معارفنا أو تعديلها(فان دايك، 2001: 260).

تحليل الرسالة:

سنعتمد في تحليل الرسالة على مقاربتين، المقاربة التراثية، ومقاربة اللسانيات النفسية الذهنية، إذ يبدو أن بعض المفاهيم تتداخل بشكل كبير جدًا بينهما، وستكون وسيلتنا إلى تحقيق هذا الهدف تقطيع الرسالة وتجزيئها، فالأساس الأول في عملية إدراك النصوص، القدرة على عزل الوحدات في النص وتجزيئه فان دايك، 2001: 261) ، فهو يتكون من أغراض متعدّدة، وهي تخدم في النهاية البنية العليا فيه(النواة)؛ ويُعزى نجاح استراتيجية تقطيع النص؛ إلى أنها ستمكننا من معرفة وظيفة كل فقرة من حيث علاقتها بالفقرة التي سبقتها، للوصول إلى الهدف العام للرسالة، كما أننا سنحلل الرسالة بطريقة خطيّة، أي أننا سنسير وفق قواعد الكتابة اللغوية العربية في تحليلها، بتتبعها في كل فقرة من فقراتها، وخاصة في بدايتها، كي نستطيع رصد الكيفية التي تحقق بها الربط الدلالي في الرسالة؛ ولا يمكن رصد هذه التحققات بالطريقة الانتقائية التي تتناول أجزاء من الخطاب دون أخرى، يُضاف إلى ذلك أن الرسالة تنتمي إلى اللغة المكتوبة وليس إلى اللغة المنطوقة؛ ما يسمح بتبني فرضية قصدية منتج الخطاب، التي تظهر في مستوى استراتيجية الكتابة، وتساعد المنتج على تحقيق هدفه من الخطاب(براون ويول، 1997: 5/ 6)، ويمكن رصد مؤشرات تلك

الاستراتيجية في عملية التحليل.

أولًا: المدخل:

أُشير فيما سبق إلى أن المدخل من العناصر التي اعتنى بها العلماء المسلمون، وبالنظر في رسالة الجاحظ يتبين أن المدخل يتكون من عناصر على النحو التالي:

العنوان.

حَدَّ بعض الباحثين العنوان بأنه « مجموعة من العلاقات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده، وتدل على محتواه العام، وتُعرِّف الجمهور بقراءته»(شبل، 2007: 54). يمكن أن نستنتج من هذا التحديد بعضًا من خصائص العنوان: أنه علاقات لغوية، أنه يكون في بداية النص، أن وظيفته تحديد النص، والدلالة على محتواه، وحثّ المتلقين على الاستمرار في قراءته.

عنوان الرسالة: المعاش والمعاد.

ورد عنوانان للرسالة (المعاش والمعاد) و(الأخلاق المحمودة والمذمومة)، وسنقتصر على استخدام العنوان الأول وتحليله؛ لكونه أكثر انتشارًا، ولوقوعه بداية في الترتيب، وأن تناول العنوان الثاني إلى جانب العنوان الأول لن يُضيف جديدًا إلى البحث.

يتعدد الغرض من الرسائل بتعدد موضوعاتها، ولكن يمكن إيجاد غرض واحد ثاويًا خلف بعض الرسائل، يُكشف عنه بالتحليل اللساني، ويُلحُّ في هذا السياق السؤال التالي وهو: ما الرسائل؟ تعرَّف الرسالة الأدبية بأنها: الكلام الذي أُرسل إلى الغير، وخُصّت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية(التهانوي، 1996: 1/ 859/ 860)، فالرسالة مرسلة على الآخر، الذي قد يكون فردًا، كما في هذه الرسالة، أو فئة من فئات المجتمع، وقد يختلف تصنيف الفئات فيختلف نوع الخطاب، فيكون اجتماعيًا، أو سياسيًا، أو دينيًا، ...إلخ. ويصف بعض الباحثين الرسائل الأدبية بأنها تميل إلى التجريد، حيث يكتب منتجها عن الوداد والأخوة بصفة عامة(وهبة، 1984: 178)، ولكن يبدو أن مجال خطاب الرسائل متعدّد.

حيث توصف الرسائل، في بعض جوانبها، بأنها ذات وظائف اجتماعية، أو سياسية، أو دينية، كما مرّ بيانه،فالذييوجِّه مجال الرسالة غرض المؤلف وقصده. وهناك ارتباط بين الغرض ومجال الخطاب، فالغرض يحدّد مجال الخطاب في الرسائل(فرج، 2007: 25)، وقد يكون الخطاب في الرسالة موجها إلى مخاطب محدد.

ويترتب عليه أن منتج الخطاب يجب أن يكون أكثر تركيزًا وخطابه أكثر تماسكًا؛ لأن تعدّد المتلقين يقلّل الضغط النفسي من هذا الجانب على المنتج، ومن المسلّم به في كثير من مدارس تحليل الخطاب أن التماسك الدلالي يصنعه المتلقي، فالمنتج يبني النص، والمتلقي يفهمه، وعملية الفهم عملية قائمة على الإدراك المرتبط بالذهن، وهو ما يجعل المنتج يستعمل آليات معيّنة تسهم في فهم خطابه، وعلى المتلقي الوصول إلى تلك الآليات لتحقيق فهمه بشكل سليم.

يُشكل عنوان الرسالة ملمحًا دلاليًا يضع المخاطَب أمام مدخلٍ للنص، فالعنوان يساعد المخاطَب على اتخاذ موقف من الخطاب؛ استمرارًا بالتفاعل معه وقراءته، أو رفضًا له، وقد اهتمّت الدراسات اللغوية تراثًا وحداثة بهذه الخاصية للعناوين، وأطلق عليها، بعض الباحثين حديثًا، مصطلح(عتبات النص)؛ لتشمل العناوين الموازية وبعض عناصر النص الأخرى، وسنطلق مصطلح العتبات على أربعة عناصر: عنوان الرسالة، البسملة، الدعاء، عبارة: أمّا بعد، ويمكن توظيف قول ابن رشيق في وصف جودة أول بيت، لنستعين به في وصف افتتاح نص الرسالة، ونعني به هنا عنوان الرسالة، وذلك في قوله:» أن يكون دالًا على ما بعده»(القيرواني، 1981: 1/ 216)، فكما المفتتح في البيت الأول من القصيدة يدل على ما يليه، فكذلك العنوان، بوصفه مفتتحًا للرسالة، دال على ما بعده أيضًا، فمنتج النص يُفصح منذ البداية عن العنوان؛ رغبةً منه في وضع المخاطَب أمام الغرض العام لخطابه، وتأتي أهمية الابتداء لما ينبني عليه من دلالة في الخطاب، فالابتداء، هو الوحدة البنائية الأولى من النص. وهي وحدة سمعيّة/ بصريّة ومعنويّة تفتح للخطاب قناة الاتصال ولهذا عدّ الجاحظ دقة المدخل من أسباب وضوح المعنى(العبد، 2005: 118).

وترفع دلالة العنوان من إمكانية توقعات المخاطَب اتجاه النص فيتهيأ نفسيًا وذهنيًا لما سيعقبه، لأن العناوين تُعبّر عن جزء من البنية الكبرى للنص، وهو ما يجعل القارئ يتعرف، إلى حدّ ما، على موضوع النص، ويحفّزه على استمرارية التفاعل معه من عدمها(فان دايك، 2001: 249)، ويُفهم من الإشارات الواردة فيما سبق، نقطتان: الأولى تتعلق بانتماء العنوان إلى العنصر الدلالي التداولي في النص، والثانية دور العنوان في الربط الذهني/ النفسي، بينه وبين ما يليه في الخطاب؛ وهو ما دعا كثيرًا من العلماء إلى الاهتمام به تنظيرًا وإجراءً، ولم يغب ذلك عن منتج النص فنجد: العنوان، البسملة، الدعاء، أسلوب أما بعد. واستخدام هذه العناصر يؤشر على أن المنتج عند الكتابة يستخدم المعرفة المسبقة لأصول كتابة الرسائل التي تنتمي إلى معرفة العالم أو المعرفة الخلفية(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 120)، (خطابي، 1991: 61)، فهذه التمثيلات المفاهيمية الواردة في الرسالة ترجع إلى النظام المعرفي لمنتج النص، وهي صور إدراكية تخطيطية مستخرجة من جميع أنماط الخبرة التي اكتسبها المنتج، وتحظى وجهة النظر التجريبية بشعبية واسعة بين اللغويين المعرفيين((Lawrence and Barbara, 1999: 4).

من ناحية ثانية فإن منتج النص ينتظر من المتلقي فهم مضمون الرسالة من خلال عنوانها، وهو ما يُسهم في استمرارية عملية التواصل مع النص، بالاستعانة بالآليات نفسها التي يعتمدها منتجه، وأن تُساعده تلك الآليات على فهم نصه وملء فراغاته، وكل هذه العمليات هي عمليات إدراكية ذهنية.

يتكون عنوان الرسالة من كلمتين عن طريق العطف(المعاش والمعاد)، وورد في المعنى اللغوي لكلمة (المعاش): أنه: مَا يُعاشُ بِهِ(ابن منظور، 1300ه: 6/ 321)، ويمكن الاستنتاج بأن المقصود هنا (الدنيا)؛ لأن التقابل بين المصطلحين يسمح لنا بهذا الاستنتاج؛ فقد ورد في المعنى اللغوي لمصطلح(المعاد) أنه:

كل شيء إليه المصير، والآخرة معاد للناس(ابن منظور، 1300ه: 3/ 317)، وما دام المعاد يعني الآخرة فإن المعاش يعني ما يُقابلها وهي الدنيا، ولهذا الاستدلال اللغوي للاقتران بين المصطلحين، ما يؤيده في الرسالة بعد المقدمة، ويُعدُّ هذا الدليل خفضا رجعيًا في سرد الرسالة، ويسهم في عملية الربط السطحي، والدلالي، يقول الجاحظ في المقابلة بين المصطلحين:» واعلم أن الآداب إنما هي آلات تصلح أن تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا، وإنما وُضعت الآداب على أصول الطبائع، وإنما أصول أمور التدبير في الدنيا والدين واحدة، فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا، وكل أمر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدّين»(الجاحظ، 1964: 99)، ومن بين أهم الأدلة لاستعمال التقابل ما ورد في القرآن الكريم، وعلى هذا يتوقّع منتج الخطاب من المتلقي فهم الإطار العام للرسالة من خلال ما ورد في النص القرآني، فيتوقع المتلقي أن الرسالة ستتناول أمور الدنيا وشئونها ثمّ مآلاتها في الآخرة، وسيُثير هذا التقابل كثيرًا من المفاهيمَ التي تتعلق بعالم النص في ذهن المخاطَب، والسؤال هنا: كيف نشأت عملية التقابل؟

إن عملية التقابل بين مفهومي: المعاش والمعاد، هي علاقة ربط ذهني، وتكوّنت من خطوتين، الخطوة الأولى عبارة عن نشأة كل مفهوم منهما في الذهن، والخطوة الثانية هي عملية الربط الذهني بين المفهومين. إنّ كلًا من الكلمتين: المعاش، والمعاد، رموز لغوية اصطلاحية، وعند انتقال هذه الرموز اللغوية إلى الذهن تخضع إلى ترميز ذهني مخصوص، يمر بخطوات محدّدة في الذهن، كما مرَّ سابقا(الزراعي، 2016: 30)، فما يوجد في الذهن ليس كلمة مرتبطة بمعنى كما كان يتصوّر العلماء من قبل، وإنما توجد لغة فكرية تنتظِم هذه الكلمات، وتتحول الكلمات وفقها إلى مفاهيم ذهنية مجرُّدة تخزّن في الذاكرة، وهذه العملية تشبه إلى حدّ كبير لغة الحاسبات، فالحاسوب يرمّز لغتنا وفق أنظمته وليس وفق النظام اللغوي البشري المُعطى له. أمّا عمليات الربط بين المفاهيم فهي عملية ذهنية أخرى، وهي ناتجة عن تصنيف محدّد ناتج عن وضع الإنسان في الطبيعة، وتفاعلاته مع هذه الأوضاع، فالإنسان محكوم بتجاربه كونه بشرًا له قدرات حسية وحركية وفطرية(لايكوف وجونسن، 2009: 11).

البسملة:

يفتتح المؤلف الرسالة بالبسملة التي تضمن لمنتج الخطاب وضع المخاطَب في السياق الثقافي، وهي، في الأساس، ذات أبعاد دينية، فذكر البسملة في بداية الرسالة دليل على الالتزام بـ(الأعراف السائدة في تأليف الرسائل)، وهذه الأعراف تنتمي إلى مفهومي(معرفة العالم والخلفية المعرفية) للمؤلف، وهما من المفاهيم السياقية المهمة في استمرار عملية التواصل، إذ يؤشر الابتداء بها على أن الرسالة ابتدأت بما تعارف عليه العلماء في ذلك العصر في مؤلفاتهم، وحتى تتضح هذه المسألة:

يمكننا افتراض أن المؤلف لم يبدأ بالبسملة في رسالته؟ سيلاحظ متلقو الخطاب حينها وجود قصور في مبدأ الرسالة يحتاج إلى تعليل، ومن ثمّ تعدّ البسملة في الخطاب أداة ربط سياقي تثير مفاهيم أخرى، كما

تعمل على تهييء المخاطَب ذهنيًا بحيث يمكنه، إلى حدّ ما، ربط الخطاب بمجاله الثقافي.

الدعاء:

يعقب البسملة الدعاء، (**حفظك الله وأمتع بك**)، **والدعاء من مقتضيات الخطاب في التراث، فكل من منتج النص والمخاطَب على دراية بقواعد تأليف اللغة والخطاب، وهو ما سيسهم باستمرار عملية التواصل(فان دايك، 2001: 262)**، والمسعى التداولي لمنتج الخطاب من الدعاء، هو استمالة المخاطَب إلى الاستمرار في القراءة، فالدعاء في هذا السياق ممّا درجتْ عليه الأعراف اللغوية في عملية التخاطب،

خاصّة إذا كان الخطاب موجَّها إلى طبقة لها نفوذ، وقد أشار ابن رشيق وابن طباطبا(القيرواني، 1981: 1/ 223)، (ابن طباطبا، 1985: 9) إلى مراعاة المخاطَب، ومراعاة الطبقة التي يتوجه إليها الخطاب، فالدعاء من الروابط الدلالية في النصوص، وكما يُشير بعض علماء تحليل النص، فإنّ الدعاء من صياغات التهذيب والمجاملة التي تلائم المخاطَب، وتدفعه إلى قبول الفعل اللغوي الموجّه إليه، وممّا يزيد من قوّة الدعاء التداولية، استخدام ضمير الخطاب فيه(الكاف)، فيصبح المخاطَب في بؤرة عملية التخاطب، كما أنّ الدعاء يُسهم، كذلك، في بعض مواقف الخطاب، في التعبير عن الحالة الاجتماعية للمخاطَب(فان دايك، 2001: 253)، ويتوقع منتج النص أن يفهم المخاطَب الإشارات اللغوية الواردة فيه؛ اعتمادًا على معرفته المسبقة بالقواعد الاجتماعية في فهمه؛ لأنَّ المخاطبين يعتمدون على بعض القواعد الاجتماعية في فهم كثير من التتابعات اللغوية في الخطاب(براون ويول، 1997: 271)؛ ولهذا نرى استعمال المنتج الدعاءَ للمخاطَب في كثير من فقرات خطابه.

عبارة: أمّا بعد:

وردت بعد الدعاء عبارة: أمّا بعد(الجاحظ، 1964: 92)، وهي قول يأتي في بداية الكلام، يتكون من حرف شرط وظرف، تقال في الخطب وفي صدور الرسائل والمصنفات، ووظيفة هذا التعبير توجيه المخاطب لما سيأتي بعدها من الكلام، وتأتي في معرض الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر (الأنباري، 2004: 2/ 382)، (غباشي وزغيب، د. ت: 838)

ويُدلّل كونها للانتقال من موضوع إلى موضوع آخر على أنها من عناصر الربط الدلالي في الخطاب، وهي إيذان بافتتاح موضوع جديد، واكتسب هذا التركيب أهميته في التراث العربي في مرحلة ما قبل الإسلام لإيجازه وتواتره في كلامهم.

ممّا تقدم يتبين أن عناصر المبدأ(الافتتاح) في الرسالة اكتسبت وظائف تداولية وثقافية، واتّبعت فيها الأعراف السائدة في الكتابة النثرية المتمثلة في الرسائل، فالمؤلف اتبع استراتيجية محدّدة في كتابة المبدأ تتوافق مع ما درج عليه الكتاب في تلك المرحلة، ولم يتجاوزها إلى استخدام عناصر غير مألوفة في تأليفها، ولو افترضنا عدم وجود هذه العناصر في مبدأ الرسالة فإنها ستدلّ على نقص أو بتر فيها، الأمر الذي

قد يؤدي إلى تشويشٍ في فهمها وفي عملية التواصل. والوظيفة العامة للعناصر السابقة: الربط داخل النص وخارجه، ففي داخل النص يظهر الربط في أن العنوان يدل على المضمون الكلي للرسالة (الموضوع)، وقد بُني العنوان على التضاد، كما أسهمت العناصر السابقة على الربط الخارجي المتمثل في ربط الرسالة، من حيث بنائها وترتيبها، مع أنواع الخطاب المناظرة في سياقها الزمني الذي وردت فيه.

تنتمي(العناصر السابقة) من حيث عملية الربط الدلالي، إلى مفهوم الإطار(دي بوجراند ودريسلر، 1992: ص127) وذلك من حيث إن الرسالة، بوصفها حدثًا لغويًا، لها بناء محدّد، مركوز في ذهن منتج النص، فالمبدأ عبارة عن(حدث) في الرسالة، مثل أي حدث في عالم الواقع، ووحدات الحدث اللغوي الاتصالي، هي الوقائع التي تظهر في صورة عناصر(العنوان، البسملة، الدعاء، أمّا بعد)، فمبدأ الرسالة(الافتتاح)، يقع ضمن استراتيجية إنتاج الخطاب، وهو من حيث كونه حدثًا تكوّنه وقائع، ينتمي إلى مبدأ الأطر، وهذا المبدأ، يكون محل اتفاق بين المتخاطِبين لنجاح عملية التواصل؛ لأن طرفي الخطاب يمتلكان العمليات الذهنية ذات العلاقة بعملية التواصل، وأفادتْ التجارب إلى أنّ الأشخاص عادةً لا يستطيعون تذكر شكل النصوص السطحي، بعد عشرين ثانية أو نحوها، ويتذكرون جوهرها فقط الذي يمكن وصفه عن طريق المفاهيم الإدراكية المشار إليها سابقًا (Lawrence and Barbara, 1999:2)؛ ونعتقد أنّ مفاهيم الربط الدلالي في الرسالة تشكل المفاهيم الجوهرية لها، من حيث انبناء الرسالة على هذا الربط.

(التمهيد): علاقتا الشرط، والإجمال والتفصيل:

ينطلق تصوّرنا للرسالة من أنها تتكوّن من أربع فقرات، الفقرة الأولى، عتبات النص، والثانية: التمهيد، والثالثة: مقدمة الرسالة، والرابعة: متن الرسالة.

جاءت الفقرة الثانية من الرسالة بمثابة (التمهيد)؛ لأنها تضمّنت فكرة مجملة تبيّن ما ستتناوله الرسالة، ثم أُعقبت بتفصيل للفكرة المجملة، وعلاقة الإجمال والتفصيل في أساسها علاقة تضاد، لكن نسق تصوّرنا الذهني لهذه العلاقة على أساس أنها علاقة امتدادية.

ارتبط جزء من التمهيد بأسلوب الشرط مع عبارة(أمّا بعد)، ويبدو أن أسلوب الشرط في هذا الموقع له نمط خاص.

فبحسب ما قرّره بعض الباحثين(زروقي، 2010) حول أنماط الشرط، فإن أسلوب (أما بعد) في الرسالة لا ينتمي لأي من تلك الأنماط، إلا في حال توسيع مفهوم النمط الثاني عند الباحث، وهو المشار إليه بالتلازم، بحيث لا يكون الشرط مبنيٌ على العلاقات اللغوية النمطية، وإنما على علاقة تلازم أخرى من حيث الانتباه والأهمية للعنصر الذي سيرد عقب أسلوب(أمّا بعد)، وهي جملة الجواب في أسلوب الشرط، وبذلك تصبح العلاقة ذات شقين: توجيهية، ودلالية، وهي من هذا الجانب يمكن عدّها علاقة نمطية في النص التراثي، تحكمها علاقة وجوب ارتباط عبارتي الشرط والجواب، ويبدو لي أن هذا ما يقصده المنتج من الربط بين

العنصريْن.

وورد في افتتاح(التمهيد) النص التالي:» أ فإن جماعات أهل الحكمة قالوا: واجب على كل حكيمٍ أن يحسن الارتياد لموضع البغية، وأن يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها»(الجاحظ، 1964: 1/ 91)، تؤدي هذه الفقرة النصية وظيفتين تداوليتين، الأولى: أنها حجة، والثانية أن المؤلف سيبني عليها الكلام اللاحق، وذلك في قوله:» فإنما حُمدت العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها. وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم»(الجاحظ، 1964: 1/ 91)، فجاءت الفقرة في صورة إجمال، في قول أهل الحكمة، وتفصيل في قوله: فإنما حُمدت...، والإجمال في عرف اللغويين: مِن « أجمل الأمر، أبهم، والمجمل: وهو ما لا يوقف على المراد منه إلا ببيان من جهة المتكلم»(الكفوي، 1998: 42)، والمراد بالإبهام في قولة الحكماء، هو عدم إمكان تحديد مجال سياقها، ويمكن صوغها في السؤال التالي: لماذا ذكر منتج الخطاب هذه العبارة في مفتتح الرسالة؟ وليس المراد الإبهام من حيث فهم معناها؛ ولذلك أعقبها الجاحظ بقوله: فإنما حمدت العلماء...، حتى يُبيِّن السياق الذي يقصده منتج الخطاب، ويريد أن تفهم قولة الحكماء من خلاله، وأن السير على النهج الذي بيّنه الحكماء محمود صاحبه وتستبين فضيلته على غيره.

وتضمَّنت الفقرة نتيجة وسببا لما تقدم، على النحو التالي:

-القولة: أن يحسن الارتياد لموضع البغية، وأن يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها.

-النتيجة: أن سبب حمدَ العلماء، هو حسن التثبت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب. فالنتيجة تفصيلٌ لما ورد من إجمال في الفقرة الأولى، والإجمال والتفصيل من علاقات الربط الدلالي في النصوص.

وشملت الفقرة الثانية كذلك، إضافة سبب حمد(العلماء)، فكأنّ في الفقرة سببين، سبب يتعلق بالتركيب الأول: الحجة، وسبب يرتبط بحمد العلماء، وبُني الأسلوب، كذلك، على أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط في هذا التركيب يقع ضمن الأنماط المتعارف عليها، التي تقع ضمن علاقات السببية بين جملة الشرط وجوابها(زروقي، 2010)، وليس كما قررناه في أسلوب(أمّا بعد)، وتؤشر هذه العلاقات على آليات الربط التي يستخدمها منتج النص في خطابه، ومن البيّن أن هذه الآليات تندرج ضمن مفهوم الأُطر؛ فالمنتج والمتلقي متفقان ضمنًا على ورود هذه التراكيب، بحكم المعرفة المسبقة لكل منهما، وهذا ما يسمح بالنظر التداولي للنص اللغوي من حيث كونه حدثًا وفعلًا يُشبه الأحداث والأفعال الحسية التي نقوم بها في حياتنا، وأن للنص اللغوي عالمًا يُشبه عالم الواقع بالنسبة للأحداث، ولكل عالم من العالَمين قواعد تحكمه، وتقع القواعد ضمن معرفة مستعمليه؛ وهذا ما يمكِّن المخاطبين بواسطة اللغة من تأويلها وفق القواعد الضمنية بينهم وبين منتجي الخطابات، فالمعنى في عالم النص لا يقتصر على المعنى المقالي لتعبيرات ظاهر النص وحده، إذ تُسهم

العمليات المعرفية في معرفة الحس المشترك الناجم عن توقعات المشاركين وخبراتهم بشأن تنظيم الحوادث والمواقف، ومفهوم العمليات المعرفية ممّا استعاره اللسانيون من علم النفس المعرفي، والتي كشفت عن بعض العمليات الذهنية في استعمال اللغة وفهمها، وينتمي تنظيم الحوادث والمواقف إلى مفهوم المخطّطات(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 120/ 121)، (فان دايك، 2001: 127).

جاءت الفقرة التي تليها مؤكدة للفقرة السابقة بالضد، حيث أورد المؤلف أسباب النجاح والفضل بين العلماء وغيرهم في الفقرة السابقة، ثم أعقبه بأسباب الفشل واستلاب الفضل في هذه الفقرة بعدها، وذلك في قول المؤلف:» فأما معرفة الأمور عند تكشفها وما يظهر من خفياتها فذاك أمرٌ يعتدل فيه الفاضل والمفضول، والعالمون والجاهلون»(الجاحظ، 1964: 1/ 91)، فمدار التفضيل بين العالِمين والجاهلين يكون بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستشفافهم بعقولهم ما تجيء به العواقب.

ونستطيع إيجاز بنية التمهيد وفق العناصر التالية: الحجة(إجمال)/ توكيد وبيان(تفصيل)/ سبب التفضيل وعدم التفضيل.

وعلى المستوى الإحالي نلاحظ غياب ضمير: منتج الخطاب، والذي سيظهر في الفقرة اللاحقة، كما أن الوقائع المذكورة في النص تقع ضمن توقّعات المخاطب؛ كونها من التجارب العامة وليست من التجارب الخاصة، فهي ليست وقائع ذات تجربة فردية، تحتاج إلى فهم أو معالجة خاصة(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 124)، وكما تمّت الإشارة، فمنتج الخطاب يسير في استراتيجيات خطابه وفق الأعراف اللغوية المعهودة في المجتمع، ونلحظ أنّ الجاحظ اختار نسق التضاد، فالبناء الذهني الذي سيطر على مقدمة الرسالة اقتضت وضع المخاطَب أمام خيارين، وهذا البناء الذهني ناتج خبرة مؤلف الرسالة المستقاة من التجربة وما تشتمل عليه من دخل الحواس والحركة والفطرة، والتي ترمّزت وفق المرمِّزات الذهنية، وأصبحت بناء معرفيًا، له خصائصه وتمثلاته وصوُرنته للعناصر، وهذا المستوى المعرفي يُبنين السرد في مقدمة الجاحظ، فتظهر في صورة حجج مبنية على التضاد؛ فالصورة التي ينقل بها المؤلف تصوره لمدح المخاطَب وإقناعه بالاستمرار في التفاعل معه، وكذلك إقناع المتلقين بشكل عام بما يرد في خطابه قائمة على تصوّر الشيء ونقيضه، المبني على التضاد بين الأشياء، وعلى هذا بُنيت الرسالة من عنوانها والتمهيد والمقدمة وعناصرها، ويُسهّل هذا الإجراء المخاطَب على تأويل الرسالة في عملية التواصل ويُحافظ على استمراريتها؛ ذلك ان تشابه المعلومات المخزّنة في ذهن كل من طرفي عملية التواصل يساعد في نجاحها.

المقدّمة: الفقرة الأولى:

الإحالة، السبب والنتيجة، النتيجة والسبب:

يبدو لنا أنّ مقدمة رسالة المعاش والمعاد تبدأ من هذه الفقرة، في قول منتج النص:» وإني عرفتك»، فصرّح منتج الخطاب بضميري المخاطب والمخاطَب بشكل مباشر، ويحقّق الربط الإحالي الترابط النصي على المستويين الداخلي(النصي) والخارجي(السياقي)، وهو ما يسهم في التماسك الدلالي داخل النص وخارجه، من حيث الإحالة على ذوات خارج الخطاب، ويسهم في بناء عالم النص وربطه بالزمان والمكان.

ووُظّفت الإحالة الضميرية لتُبنى عليها وقائع نصية تالية، مهّد لها منتج الخطاب بقوله» وإني عرفتك – أكرمك الله – في أيام الحداثة»، فتشير الفقرة إلى معرفة مسبقة بين طرفي الخطاب بواسطة الرابط الزمني(أيام الحداثة) مقرونة بالإحالة الضميرية بين طرفي الاتصال، واشتملت على وصفٍ للمخاطَب وأقرانه في زمن حداثتهم؛ فغلب أسلوب الوصف على الفقرة(الخبر)، والغرض الإنجازي منه (المقارنة والتضاد)، يظهر ذلك في توجيه قول المنتج للمخاطَب:» **فاختبِرت أنت وهم ففقتهم ببسطة المقدرة وحميًا الحداثة...**»، فالنتيجة لما تقدم من وصف ومقارنة بين المخاطَب وأقرانه، تفوّق المخاطب عليهم، ونلحظ أن الخطاب انبنى على التضاد أيضًا، فالخطاب مبني على علاقة: المخاطَب/ الآخرين، وفي كل فقرة تظهر هذه العلاقة بطريقة مختلفة، وتخدم كلها الموضوع الرئيسي للخطاب.

وسيوظّف منتج الخطاب هذه الفقرة كلها لتكون نتيجة لسبب آخر سيرد في الفقرة اللاحقة، كما يظهر استعمال الدعاء بين المتلازمات اللغوية ملمحًا دلاليًا يستعين به منتج الخطاب في أداء رسالته، كما في الفقرات السابقة تلبية لاستراتيجيات منتج الخطاب لاستمالة المتلقي وحثه على الاستمرار في عملية التواصل.

وتضمنت نهاية الفقرة السبب الذي جعل المخاطّب يتفوّق على أقرانه، وذلك في قوله:» وذلك سبيل من كان ميله إلى الله تعالى أكثر من ميله إلى هواه»، فاسم الإشارة(ذلك) يرجع إلى الوقائع المتضمنة للسلوك الذي ميّز المخاطب على أقرانه، ويكون التركيب: إنّ ميلك إلى الله تعالى وابتعاد ميلك عن هواك، هو السبب الذي جعلك تتصف بهذه الصفات وجعلك تظفر بالفوز على أقرانك، ومن جهة أقرانه أن ميلك إلى الله تعالى، وليس إلى هواك، ففيها تعريض بأقرانه الذين ميلهم أكثر إلى هواهم. وكما أُشير سابقًا فإن هذا البناء خاضع لاستراتيجيات التواصل التي يستخدمها منتج الخطاب، فهل التقديم والتأخير في التركيب، يعكس تقديمًا وتأخيرًا في مرجع العبارات كذلك؟ ومن ثَم في العلاقة بين المفاهيم الواردة في النص؟ تخضع عملية التقديم والتأخير لاستراتيجيات مخزّنة في ذهن كلٍّ من طرفي التواصل، وتحكمها غالبًا، قواعد نحوية، ودور الخطاب استثارة المفاهيم في ذهن المخاطَب؛ والمقارنة والربط والفهم وفق الخلفية المعرفية لكل منهما، ثم القيام بعمليات الربط بين المفاهيم، وكل هذه العمليات عمليات ذهنية، لكنها تنعكس على اللغة وفهمها. وعند النظر في الفقرة ومكوّناتها نرى أنها احتوت على: المعرفة بين طرفي الاتصال في

زمن سابق، المقابلة بين صفات المخاطَب وصفات أقرانه، وتفوّقه عليهم بتحكيم العقل والاعتصام بالدين، وتستند هذه الفقرة إلى المعرفة المسبقة بين طرفي الخطاب، فالمنتج يتعامل مع مفاهيم، تحكمها معايير اجتماعية ودينية وأخلاقية، تعمل على تصنيف هذه المفاهيم إلى مفاهيم سلبية تقابلها مفاهيم إيجابية(التضاد والمقابلة)، والسؤال هنا: كيف بُنيت المعايير الرائزة لهذه المفاهيم؟ وأين تكمن؟ توجد دراسات عدّة حول الإجابة عن هذه الأسئلة، ومنها نظرية المؤشر الدلالي، وهي: بمثابة تمثيل يلتقط معلومات موجزة حول مجال معين. عادة، هذه التمثيلات مستمدة من المدخلات الإدراكية(Blouw et al, 2016).

فتفسر النظريةُ الآليةَ التي يتعامل بها المتلقي مع اللغة، إذ يتم التعرّف على بعض المؤشرات الدلالية التي تدلّ على أنها تنتمي إلى مجال معين، فيتعرّف على المفاهيم السالبة منها والمفاهيم الموجبة، وهو ما يُسهم في استثارة المفاهيم في الذهن وربطها بالمفاهيم الواردة في الخطاب، ويُساعد في التعرّف عليها انطلاقًا من البيئة التي تجمع طرفي الخطاب؛ وبهذا ينبني العالم النصي عند المخاطَب، وهذه التمثيلات ترجع إلى المدخلات الإدراكية، فالإدراك يعدّ المسئول عن العمليات المتعلقة بالمفاهيم الواردة في النصوص، وآليات تصنيفها وفق مجالات محدّدة؛ ويؤكد كثير من الباحثين في المجال الذهني أن العقل البشري مجهز بمجموعة متنوعة من الآليات المتطورة، كل منها متخصص لتمثيل المفاهيم في مجال معيّن(Barlev and Michael,2017). ويرتكز كثير من هذه العمليات إلى الطريقة التي تُنتج بها المفاهيم بدايةً، والتي يختلف العلماء حولها إلى فريقين: فالمفاهيم تُبنى إمّا عن طريق التفاعل مع العالم، وهو ما تتبناه هذه الدراسة، أو تُبنى بواسطة اللغة(الكلمات)، ويُصبح بناء المفاهيم في النمط الثاني: من الكلمة إلى المفهوم(Wei and Sloutsky, 2019).

ومن ناحية بناءِ منتج الخطاب لمفاهيم العالم النصي، يُشير بعض الباحثين، مثلًا، إلى دور الاهتمام ببنية التلفظ، حيث تفرض على المتكلم في أغلب الحالات "عبء تحمل محتوى التلفظ»، أي التأليف المنظم لموضوع الخطاب، وبنية المحتوى الدلالي الذي يهم كل الكلمات والملفوظات والنصوص(بنيونس، https:// ketabonline.com/ar/books/97636/read).

ويتبيّن ممّا تقدم الدور الذي تضطلع به الدراسات النفسية في محاولة فهم عمليات الإدراك وتفسيرها، وما يتبعها من عمليات ذهنية مسئولة عن الكيفية التي يتم بها إنتاج اللغة وفهمها وتأويلها، فالعمليات الذهنية عمليات عصبية تعمل على بناء المفاهيم وتصنيفها، وتعمل كذلك على استثارتها عند الاستعمال اللغوي، وتساعد بعد ذلك على عملية الفهم والتذكر، وكما يُشير بعض الباحثين واصفًا المفاهيم:» نحن نرى، ونسمع، ونفسر، ونتذكر، ونفهم، ونتحدث عن عالمنا من خلال مفاهيمنا، ولذا فإن الأمر يستحق وقتًا للتفكير لتحديد مصدر المفاهيم، وكيفية عملها، وكيف يمكن تعلمها ونشرها بشكل أفضل لتناسبها احتياجاتنا المعرفية»(ROBERT L et al, 2017).

المقدّمة: الفقرة الثانية:

وحدة الموضوع والتوكيد:

يستمر منتج الخطاب في سرد فضائل المخاطَب وتقدّمه على رفقائه، وهو ما وسمناه بالفقرة الثانية من المقدمة، والتي ترتبط عن طريق استمرار الموضوع في الفقرة السابقة، المتمثل في الصفات التي يتمتع بها المخاطَب:» فلم أزل، أبقاك الله، في أحوالك تلك كلها بفضيلتك عارفًا، ...»، الفقرة استمرارٌ وتوكيدٌ لفضائل المخاطَب، فارتبطت الفقرتان من خلال وحدة استمرار الموضوع دلاليًا، واسم الإشارة(تلك)، والربط الإحالي(الضمير)، وجاء التوكيد مقرونًا بالدعاء الذي فصل بين متلازمين في التركيب. ثم انتقل منتج الخطاب إلى غرض جديد، [التمهيد للغرض]:» أرى ظواهر أمورك المحمودة فتدعوني إلى الانقطاع إليك»(الجاحظ، 1964: 1/ 1993)، فجاء بناء الفقرة مكوَّنا من مقدمة تداولية: اشتملت على توكيد لما سبق ذكره، ثم تمهيد تضمن توكيدًا ثانيًا لصفات المخاطَب، ثم بيانًا للسبب المؤدّي إلى الغرض(القوّة الإنجازية) من الفقرة، والغرض هو: إرادةُ انقطاع منتجِ الخطاب إلى المخاطَب، والسبب: ما رآه المنتج من ظواهر محمودة للمخاطَب، وكأن الصفات المحمودة هي التي دعت المنتج إلى الانقطاع إلى المخاطَب وملازمته، فيُصبح منتج الخطاب مفعولًا به لصفات المخاطَب التي تدعوه إلى ملازمته.

وخلاصة ما تقدم، أنّ الفقرة ارتبطت بما قبلها بواسطة: استمرار الفعل الواقع في الفقرة السابقة، ثم الدعاء، والتوكيد، ثم الغرض المبني على السبب الوارد في التوكيد، فالتوكيد له غرضان: أنه أفاد التوكيد، وأنه غرضٌ إنجازيٌ، من حيث كونه: سببًا للغرض.

ويستمر منتج الخطاب في سرده ببيان النتيجة لما تقدم، وقد بناها على النحو التالي:» فلمّا حزت المؤانسة...» احتوى السرد هنا على مقدمة تضمّنت نتيجة، وورد التركيب في صيغة أسلوب الشرط؛

لأنها بيَّنت وصول المنتج إلى المؤانسة من المخاطب وهو ما عبّر عنه في الفقرة السابقة(تدعوني بالانقطاع إليك). وفي القرة إشارة ضمنية، عن طريق(الاستلزام) لأن حيازة المؤانسة دليل على تواصل طرفي الخطاب، إن عملية الاستلزام تقوم على عملية ذهنية، يُستثار فيها الذهن حسيًا عن طريق ما ورد في سطح النص؛ ثم ينتقل الذهن من المحسوس(سطح النص) إلى المستوى المعرفي التجريدي في الذهن، والذهن في هذه العملية ينتقل من مجال معرفي، معطى في النص، إلى مجال معرفي آخر، غير معطى في النص، وتقوم في الذهن علاقة مع مجال آخر يستدعيه، والناتج عملية استلزام تُوظف لملء فراغات النص، ويُرمزها العلماء لغويًا بـ(الاستدلال)(التهانوي، 1996: 1/ 790)، وقد بنى المنتج العبارة على نتيجة الفقرة السابقة من اختبار المخاطَب، والنتيجة:» ما أعرف به وبما قد بلوت من غيرك، وما قد شهدت لي به التجارب، أن ذلك منك طبع غير تكلف»

فالهدف من مؤانسة منتج الخطاب للمخاطَب تمحيص صفاته من حيث كونها طبعًا أم تكلفًا، والنتيجة: توكيد أن الصفات من طبعه وليست تكلفًا من المخاطَب، وسيترتب على النتيجة غرض آخر في الفقرة اللاحقة، والطبع والتكلّف تربطهما علاقة تضاد، فتصبح الصفات إمّا تكلُّفا وإمّا طبعا فالصفات محكومة بمجال الضد، وتكونت بنية الفقرة من: استمرار فعل القول في الفقرة السابقة واكتماله بحيازة المؤنسة، وتوكيد ان أفعال المخاطب طبع لا تكلف فيها.

المقدمة: الفقرة الثالثة:

الشكر والجزاء:

تمثل هذه الفقرة الجزء الثالث من المقدمة، حيث يُظهر منتج الخطاب موضوعًا في ابتداء الفقرة، وردت في صورة مقدمة شرطية لفعل» وكان من تمام شكري لربي وليّ كل نعمة...»، اشتملت هذه المقدمة على ربط دلالي تمثل في قوله: من تمام شكري لربي، ففيها دليل على تقدم شكر سابق؛ لما رآه منتج النص من صفات محمودة من المخاطَب بعد مؤانسته له وعشرته ومعاملته له، فذلك فعل شكر، وإن لم يُصرّح به لغةً، وهنا شكر ثانٍ يُتمّم الشكر الأول، ويقدّم منتج الخطاب الدليل النقلي والعقلي على وجوب الشكر، فأعقبها الدليل على وجوب الشكر من السنة والعقل. ممّا جاء في الحديث:» من لم يشكر لله لم يشكر للناس».

في الفقرة التالية مقدمة: ووظيفتها أنها بمثابة المقدمة لغرض، والغرض هو: بيان تقصير منتج النص في شكر المخاطَب؛ فهو تبرير لاستكمال فعل الشكر السابق، الذي رآه المنتج شكرًا غير كاف.

وتكوَّنت بنية الفقرة من: استكمال فعل الشكر، مقدمة توضح التقصير في فعل شكر المخاطب.

نلاحظ في قول منتج الخطاب:» فلما وجبتْ عليّ الحجّة بشكرك، وقطع عذري في مكافأتك، اعترفت بالتقصير عن تقصي ذلك».

أنها رُبطت دلاليًا عن طريق الربط الشرطي، فوجوب الحجة في الفقرة السابقة قام على الدليل الذي ساقه منتج النص؛ ويتبيَّن من هذه الفقرة عنصر مهم في البناء النصي للرسالة، فمنتج النص يقدّم حجة في صورة الخبر تكون واسطة ومساعدة لما يريد الوصول إليه؛ فسوقه للدليلين: النقلي والعقلي، في الفقرة السابقة؛ كان لغرض أن يبني عليهما: وجوب الشكر؛ ولهذا لا يقدّم المنتج الدليل في كل الفقرات، وهذا عنصر مهم في استراتيجية بناء النص عنده.

وأعقب غرض التقصير في الشكر في الفقرات السابقة، فقرة الاهتداء إلى باب فيه شكر للمخاطَب:» ثم رأيت أن قد بقي علي أمر من الأمور يمكنني فيه برُّك».

فقدم لذلك بمقدمة لما يمكن أن يكون فيه بر بالمخاطَب، وأعقبه بفائدة هذا النوع من البر:» ولم أزل أبقاك الله بالموضع الذي قد عرفت»، ففي قوله: ولم أزل ... بالموضع، نلحظ الربط بين الحدث المفيد للزمن(لم أزل)، فالحدث(أزل) يحتاج تركيبيًا إلى عنصر(نفي) يسبقه، وهذه القاعدة النحوية مخزونة في

ذهن كل من المنتج والمخاطَب، بحيث يعلم كل منهما أن المراد من هذا التركيب: الاستمرار الزمني لحدث ما، وليس لعنصر النفي منفردًا(لم) فاعلية دلالية في هذا التركيب، هذه القاعدة التركيبية توضّح كيفية عمل هذا المفهوم(حدث الاستمرار)، ولا يُصرّح المنتج بمثل هذه العمليات، ولكنها ممّا استقرّت في المعرفة الخلفية لطرفي التواصل، وهي في المستوى المعرفي في الذهن، ثم تأتي عملية العلاقة بين المفهوم الأول(الاستمرار) والمفهوم الثاني(المكان) المتضمّن في تركيب الجر في قوله(بالموضع)، فالعنصر اللغوي (الموضع) لا يدلّ على المكان كما استقرّ في الاستعمال، ولكنها استعيرت في هذا السياق لبيان الحالة التي عليها منتج النص، فهذا الربط بين المفهومين(الزمكاني) أنتجا مفهوم: استمرار الحالة، الذي هو نتاج العلاقات الذهنية بين المفاهيم المرمزة في الذهن، لتربط بينهما في النص وينتجا معًا مفهوم الاستمرار في الحالة، التي كان من الممكن أن تظهر في النص بأشكال تركيبية سطحية أخرى، ومفهوم استمرار الحالة في النص ممّا يجب على المخاطب أن يصل إليه؛ بالاعتماد على العلاقات: اللغوية، والاجتماعية، والتداولية، والبيئية التي تربط طرفي الاتصال.

ثم أورد حجة على فائدة اختياره تقديم كتاب في الأدب، وأنَّ هذا النوع من البر صالح للشكر، وفيه دليل على قيمة الأدب وتحصيله، وهو من الربط التداولي الذي يرتبط بسياق المرحلة التي أُنجزت فيها الرسالة، وذلك في قول المنتج:» ومعلوم أن طول دراستها[كتب الأدب] إنما هو تصفح عقول العالمين...»، ونلاحظ أن مجيء(الدعاء) للمخاطَب يفصل بين عنصرين تركيبيين متلازمين، كما في بعض الفقرات السابقة، حيث ورد الدعاء فاصلًا بين الفعل ومتعلقه، وتستمر المقدمة حتى يصل المنتج إلى الغرض الأساسي، الذي جاء في قوله:» فرأيت أن أجمع لك كتابًا من الأدب،...»؛ فبيّن السبب العام لهذا الاختيار، لكونه نوعًا من البر بالمخاطِب، ثم عدّد الأسباب الخاصة لذلك، وهي كالآتي:

أ. السبب الأول:» ما رأيتُ الله قسم لك من الفهم والعقل».

ب. السبب الثاني:» وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب»، والمقصود بالعقل المكتسب، الأدب الذي يروم المنتج تأليف كتاب للمخاطَب فيه، ثم أعقب ذلك بمثال يتضمن حجة لتقوية وجهة نظره:» ومثلوا ذلك بالنار والحطب، والمِصباح والدُّهن...».

ج. السبب الثالث:» ورأيت كثيرًا من واضعي الأدب قبلي،...، أكثر ما رسموا من ذلك فروعًا لم يبيّنوا عللها، وصفاتٍ حسنةٍ لم يكشفوا أسبابها، وأموراً محمودة لم يدلّوا على أصولها».

د. سبب قصور العلماء قبله في التأليف:» فإن كان ما فعلوا من ذلك روايات رووها عن أسلافهم،...، ولم يبلغوا فضيلة من استنبط...»

هـ. الحجة أو الدليل على القصور:» ولن تجدوا وصايا أنبياء الله أبدًا إلا مبيّنة الأسباب، مكشوفة العلل، مضروبة معها الأمثال».

يتضح ممّا تقدم أن فقرات الرسالة ترتبط ببعضها وفق استراتيجية وضعها منتج النص للوصول إلى أهدافه من تأليفها، وكما لاحظنا فإن الرسالة ارتبطت براوبط دلالية تداولية، يحكمها البناء الذهني للمفاهيم وللربط وللعلاقات بين المفاهيم، فالمنتج لا يُصرّح بالعلاقات ولا تظهر لها مسميات في خطابه؛ فهي مفاهيم مجرّدة مخزّنة في ذاكرة مستعملي اللغة طويلة الأمد، لها قواعدها وأنظمتها، يستثيرها الخطاب اللغوي في عملية التواصل(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 124)، وعند تتبع مقاطع الرسالة نلاحظ أن هذه الروابط متمثلة في: التضاد(المقابلة)، ونذهب إلى أنها البنية المسيطرة على سرد الرسالة، المقدّمات، الإجمال والتفصيل، الشرط، السبب والنتيجة، الغرض، الحجة، الدعاء، ومفتاحها (معرفة العالم أو المعرفة الخلفية)، أمّا آلياتها فهي: الأطر، المخططات، والاستراتيجيات، وتسهم العناصر المذكورة في ربط فقرات النص، ويمكن ان يُوظّف هذا النوع من التحليل في تحليل النصوص الأدبية في التراث؛ حيث تقوم تلك النصوص على خصائص تركيبية يجب مراعاتها عند التحليل، ونلاحظ كذلك أن المكوّنات الأساسية للمفاهيم المستخدمة في الرسالة ذات طبيعة تعيينية وليست ذات طبيعة عرضية(دي بوجراند ودريسلر، 1992: 122)؛ بمعنى أن المفاهيم الواردة واضحة الدلالة وتشمل ما تحيل عليه من عناصر، الأمر الذي يُسهّل عملية التواصل ويُسهم في فهم المخاطب للرسالة.

الخاتمة:

في ختام البحث نسجل بعض الملاحظات التي تجمل بعض النقاط ذات الأهمية، فقد ظهر من البحث قوّة العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي والذكاء الاصطناعي، والتي كشفت عن تفسير كثير من الظواهر الذهنية المتعلقة باللغة، وبيّنت الكيفية التي تتكون بها المفاهيم، وتتحول إلى ترميز في المستوى المعرفي في الذهن، وكيف ترتبط المفاهيم ببعضها عند إنتاجها وتلقيها، كما أظهرت بعض هذه المقاربات تغيُّرا في فهم العلاقة بين الذهن البشري واللغة والعالم، وكيف تُخزّن المعارف في الذهن، ومن شأن فهم الآليات التي تعمل بها هذه العناصر الثلاثة أن تسهم في فهم النصوص اللغوية بشكل أفضل، وتبيّن الاستراتيجيات التي تُبنى بها النصوص واستراتيجيات فهمها، وسينعكس ذلك على برامج تعلم اللغات وتعليمها، وبالإمكان أن يوليَ الباحثون في مجال اللسانيات في الجامعات الليبية للدراسات البينية كثيرًا من الاهتمام، وأن تتكاثف الجهود في التخصصات المختلفة خدمةً للسانيات نظرًا وإجراءً.

وبالله التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع:

1.الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: د. حاتم الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 3، 2004.

2.التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د. علي دحروج، ترجمها إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996م.

3.ج . ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، تر: د. محمد لطفي الزليطني. د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1997م.

4.الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، تح: د. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998.

5.الجاحظ، أبو عثمان، الرسائل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964.

6.جيرارتس، ديرك، نظريات علم الدلالة المعجمي. تر: أ. د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2013.

7.خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط 1، 1991م.

8.دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط 1، 2001.

9.دي بوجراند، روبرت، ودريسلر، مدخل إلى علم لغة النص. تر: إلهام أبو غزالة. على خليل حمد. 1992.

10.الزراعي، حسين، اللسانيات وأدواتها المعرفية، دار الانتشار العربي، لبنان، 2016.

11.شبل، عزة محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2007م.

12.العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط 1، 2005.

13.العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجمعة، ج 3، دار طيبة، ط1، 2005.

14.العلوي، ابن طباطبا، عيار الشعر، تح د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم، المملكة العربية السعودية، د. ط،1985.

15. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2007.

16. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط 5، 1981م.

17. الكفوي، أبو البقاء، الكليات، أعده للطبع. د. عدنان درويش. محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 2، 1998م.

18. لايكوف، جورج و جونسن، مارك، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2، 2009.

19.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1300 ه.

20.وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان، بيروت، ط2/ 1984.

الدوريات العربية:

1. أ. زروقي، أبو بكر، دلالات الارتباط في أسلوب الشرط دراسة في نصوص من صحيح البخاري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 6، جانفي، 2010م.

2. الشمري، غسان إبراهيم، عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس - معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 2008.

3. غباشي، أيمن، وزغيب، محمود. أسلوب(أمّا بعد) دراسة نحوية، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج3/ ع 31، 2015.

الدوريات الأجنبية:

1." Comparison and the development of knowledge", Boroditsky, Lera

2.Journal Proceedings of the Annual Meeting of the Cognitive Science Society, 242002

3.Concepts as Semantic Pointers: A Framework and Computational Model Cognitive Science 40 (2016) ،Cognitive Science Society ،Center for Theoretical Neuroscience, University of Waterloo.

4.How the mind builds evolutionarily new concepts, Barlev , Michael, UC Santa Barbara dissertations and electronic dissertations, 2017

5.Wei (Sophia) Deng & Vladimir M. Sloutsky , Language, Cognition and Neuroscience

6.Volume 34, 2019 - Issue 10: Abstraction and Concepts

7.ROBERT L. GOLDSTONE, ALAN KERSTEN, AND PAULO F. CARVALHO, Language and Thought, Vol3, 2017 Categorization and Concepts,

مقالات على الإنترنت:

1.التطورات الجديدة في الحجاج اللساني نظرية الكتل الدلالية، مقال على الإنترنت، رابط المقال:

https//:ketabonline.com/ar/books/97636/read?part&1=page&10=index4260570=

تاريخ الاطلاع: 10/ 8/ 2023.

قضايا اللسانيات الاجتماعية بين التراث واللسانيات الحديثة

د. محمود عادل عبد الحليم الفقي*

* مدرس بالمعهد العالي الدولي للغات والترجمة الفورية- بالتجمع الخامس، وزارة التعليم العالي- جمهورية مصر العربية

الملخص:
لم تكن الدراسات اللغوية القديمة دراسات سطحية، بل أبدع اللغويون القدامى في بحوثهم واستقصائهم للغة من جوانب عديدة، فخلفوا لنا تراثًا لغويًا على درجة كبيرة من الدقة العلمية والمنهجية يضاهي من حيث القيمة والمكانة الدرس اللساني الغربي، إلا أن الحاجة للربط بين البحث اللغوي القديم واللسانيات الحديثة صار مطلبًا أساسيا لتكملة الجوانب الناقصة في الدرس اللساني، فالفكر العربي وحده يظل منقوصًا، لأنه لم يُنظم في نظريات، وإنما جاء في آراء مشتتة لا يجمعها جامع، أما الجانب اللساني الغربي فقد نجح في تنظيم فكره في نظريات معينة، لكن هذه النظريات ربما لم تصل بعد إلى مستوى التفكير اللغوي القديم، وجاء هذا البحث للتعريف باللسانيات الاجتماعية مصطلحًا ومفهومًا بوصفها فرعًا من اللسانيات الحديثة، والكشف عن أهم قضاياها التي تطرّق إليها الفكر العربي القديم، وعقد الصلة بين نتائجه ومعطيات اللسانيات الحديثة للتوفيق بينهما، وإخراجه في حلة جديدة في محاولة لاسترداد بريق هذا التراث، وقد انطلق البحث من إشكالية مفادها: هل كانت قضايا اللسانيات الاجتماعية تدخل في صلب اهتمام اللغويين القدامى؟ وما مدى عمق دراستهم ومعالجتهم لتلك القضايا؟ وهل يوجد تقارب بين تناول العرب القدامى وتناول النظريات اللسانية الحديثة؟
الكلمات المفتاحية: النظريات اللسانية الحديثة، الاتجاه اللساني الغربي، علم اللغة الاجتماعي، لسانيات التراث، علم الاجتماع اللغوي.

Sociolinguistics issues between heritage and modern linguistics

Dr. Mahmoud Adel Abd AL-Halim AL-Feky *

* Assistant Professor at The International Institute for Languages and Translation

Abstract:
Ancient linguistic studies were not superficial; rather, ancient linguists excelled in their research and exploration of language from various aspects, leaving us with a linguistic heritage of high scientific and methodological accuracy that rivals the value and status of Western linguistic studies. However, the need to link ancient linguistic research with modern linguistics has become a fundamental requirement to complete the missing aspects of linguistic studies. Arab thought remains incomplete because it has not been organized into theories, for it came only in scattered opinions that have no unifying factor. As for the Western linguistic side, it has succeeded in organizing its ideas into certain theories, but these theories may not have yet reached the level of ancient linguistic thought. This research aims to introduce social linguistics as a term and a concept within modern linguistics, also aims to reveal the most important issues addressed by ancient Arab linguistic, thought to establish a connection between its results and modern linguistic data and present it in a new form to restore the splendor of this heritage. The research started with the problem: Did social linguistic issues fall within the realm of interest of ancient linguists? To what extent did they study and address these issues? Is there a convergence between the approach of ancient Arabs and modern linguistic theories?
Keywords: Modern linguistic theories, Western linguistic orientation, Sociolinguistics, Heritage linguistics, Linguistic sociology.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كثير نعمائه وجزيل عطاياه، ثم الصلاة والسلام تترى على نبينا الهادي الأمين، إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين، وشفيعنا يوم الدين، وبعد.

فإن العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة وثيقة؛ إذ لا يمكن تصور لغة بلا مجتمع، فلكي توجد اللغة لا بد لها من مجموعة ناطقة بها، وهي -اللغة- وأيًّا كانت لحظتها، فلا توجد خارج الواقعة الاجتماعية، ولا يتحقق وجودها إلا بفضل نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة، بدليل أن الإنسان ليس مفصولاً عن العالم الذي يعيش فيه (كوراني، 2013م، الصفحات 8-7)، كما لا يمكن تصور مجتمع بلا لغة فهي جزء من كيانه، حيث تشكل الوسيلة الأساسية والأداة الرئيسة لتحقيق التواصل والتفاعل ونقل الأفكار والمشاعر وتبادل المعلومات وتوصيل القيم والمعتقدات وتنظيم الحياة الاجتماعية وتعزيز سبل التعاون والتفاهم بين أفراد هذا المجتمع، وهو ما عبَّر عنه ابن جني في تعريفه اللغة بقوله: «أصوات يعبّر بها القوم عن أغراضهم» (ابن جني، د.ت، صفحة 2/360).

إذن فاللغة ليست مجرد مجموعة من الكلمات والقواعد النحوية، بل هي مظهر حضاري وثقافي يحيا في أحضان المجتمع ويعكس هويته، وقيمه، وتقاليده (فندريس، د.ت، صفحة 35)، ويستمد كيانه منه فيتطور بتطور هذا المجتمع، ويرقى برقيه، وكذلك ينحط بانحطاطه، كما يتأثر بالعادات والتقاليد، والنظام الاجتماعي، وسلوك أفراده في زمان ومكان معينين، منذ أن وجدت اللغة، ووجدت الحياة الاجتماعية.

وهي من هذا المنظور كائن حي يتطور ويتغير ويتأثر بطبيعة المجتمع الذي تنمو فيه، فهي تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وتتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وتخضع لما يخضع له في نشأته ونموه تطوره.

كما يتشكل نظامها ويتطور بناءً على احتياجات المجتمع وتطوره الاجتماعي والثقافي (حمداوي، 2002م، صفحة 9)؛ إذ لا يمكن أن يتم ذلك بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 18)، كتطور اللغة المعبِّر عن المفاهيم والتكنولوجيا الجديدة التي تظهر في المجتمع، وقد تستدعي الظروف الطارئة على المجتمع تطوير مصطلحات جديدة أو تغيير معانٍ للكلمات المستخدمة، إضافة إلى أن اللغة تعكس هيكل المجتمع وطبقاته الاجتماعية. حيث تكون هناك اختلافات في استخدام اللغة بين الفئات الاجتماعية المختلفة فتكون بعض الكلمات أو العبارات مقصورة على فئة معينة من المجتمع. كلهجات أو لغات خاصة بالطبقات الاجتماعية المحددة أو المجتمعات العرقية.

وكذلك تؤثر اللغة أيضًا في تشكيل الهوية الفردية والانتماء الاجتماعي. حيث يستخدم الأفراد اللغة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتبادل المعلومات مع أفراد المجتمع. ومن خلال استخدامهم للغة، يعبّرون عن هويتهم الشخصية ويشعرون بالانتماء إلى مجموعات اجتماعية وثقافية معينة (نهر، علم اللغة

الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 26).

وبذلك تكون اللغة والمجتمع في علاقة تأثير وتأثُّر، وتتشابك هذه العلاقة في سياقات متعددة مثل التعليم والسياسة، والإعلام، والأدب، والفن. فهي تشكل جوانب أساسية من حياة البشر وتعكس تاريخهم وتطورهم الاجتماعي والثقافي.

وقد أدت هذه العلاقة في نهاية المطاف إلى بلورة مصطلح اللسانيات الاجتماعية، أو علم اللغة الاجتماعي، وتعد اللسانيات الاجتماعية توسعًا لمجال الدراسات اللغوية التقليدية، التي كانت تركز بشكل رئيس على تحليل اللغة كنظام عبارات وقواعد. وبدلاً من ذلك، تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي وكيفية استخدامها للتفاعل والتواصل بين الأفراد والمجتمعات.

والنظر في هذه العلاقات قديمٌ لا ريب فيه؛ حيث لم تخل منه دراسات اللغويين القدامى، بل كانت مطروحة بطريقة تعكس فهمهم لتأثر اللغة على ألسنة أبنائها بالمجتمع المحيط بها، غير أنه لم يدرس كما يجب أن يكون كمًّا ونوعًا وتنظيرًا ومنهجًا، إلا في عصرنا الحالي في ظل هذا الفرع اللساني الجديد (وافي ع.، 2004م، صفحة 13)، وجاء هذا البحث ليلقي الضوء على بعض هذه القضايا التي تناولتها دراسات القدامى وبيان عمق تناولهم ومعالجتهم مقارنة بما توصلت إليه دراسات المحدثين.

ويهدف البحث إلى التعريف باللسانيات الاجتماعية مصطلحًا ومفهومًا بوصفها فرعًا من اللسانيات الحديثة، والكشف عن اتجاهات البحث الحديثة فيه، وأهم قضاياها التي تطرق إليها الفكر العربي القديم، ومحاولة التقريب بين نتائجه ومعطيات اللسانيات الحديثة للتوفيق بينهما.

وتنبع أهمية البحث من كون الموضوع له تعلق باتجاه من الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة، وهو اللسانيات الاجتماعية الذي يحاول أن يكشف القوانين والمعايير الاجتماعية التي تنظم سلوك اللغة وتوضحه وتنظم سلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع، وكذلك تتمثل في إضافة لبنة جديدة لهذا الموضوع من منطلق ربط ما توصل إليه القدامى العرب بموضوعات الدراسات الحديثة من خلال ما توصل إليه البحث.

ومشكلة البحث تدور هنا حول الإجابة عن: هل كان لدى العرب القدامى معرفة بطبيعة العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع؟ وما هو الفارق بين ما توصل إليه العرب القدامى وما توصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة؟

-أما عن الأسئلة التي يطرحها البحث فهي:

-هل كانت قضايا اللسانيات الاجتماعية تدخل في صلب اهتمام اللغويين العرب القدامى؟

-وما مدى عمق دراستهم ومعالجتهم لتلك القضايا؟

-وهل يوجد تقارب بين تناول العرب القدامى وتناول النظريات اللسانية الحديثة لقضايا اللسانيات الاجتماعية؟

وأما المنهج المتبع فإن المنهج الوصفي يعد أنسب تلك المناهج لمباحث الدراسة التي تستهدف التعريف باللسانيات الاجتماعية ونشأتها وتطورها، واستكشاف جهود القدامى العرب في مجال اللسانيات الاجتماعية في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الحديثة.

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث تليها خاتمة فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم ثبت المصادر والمراجع، والمقدمة جاء فيها بين العلاقة الجدلية بين اللغة المجتمع، وذكر أهداف الدراسة، وأهميتها، ومشكلتها، وأسئلتها، ومنهجها، وهيكلها، والتمهيد جاء عن اللسانيات الاجتماعية المفهوم والنشأة والتطور، وبيان الفارق بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي، والمبحث الأول جاء بعنوان: قضايا اللسانيات الاجتماعية في ضوء اللسانيات الحديثة، والمبحث الثاني جاء بعنوان: قضايا اللسانيات الاجتماعية في ضوء التراث العربي، والمبحث الثالث جاء بعنوان: أوجه التقارب بين قضايا التراث العربي واللسانيات الحديثة في اللسانيات الاجتماعية.

وبعد فهذه محاولة جادة مني طالبا بها وجه الله تعالى، فإن وفقت فيها بمنة وفضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فحسبي الاجتهاد، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، والله أسأل أن يجنبني الزلل، وعليه الاستعانة والتكلان.

تمهيد: اللسانيات الاجتماعية المفهوم والنشأة والتطور

مفهوم اللسانيات الاجتماعية:

يمكن أن تعرف اللسانيات الاجتماعية بأنها «العلم الذي يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع على اعتبار أن وظيفة اللغة الأساسية تحقيق التواصل بين الأفراد» (بشر، 1997م، صفحة 41)، (ياقوت، 2002م، صفحة 161)، (حمداوي، 2002م، صفحة 10)، ويمكن أن تعرف بأنها: «فرع من علم اللغة التطبيقي يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية واللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي، والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع (الخولي، 1982م، صفحة 261)، وكذلك تعرف بأنها: العلم الذي يحاول أن يكشف القوانين والمعايير الاجتماعية التي تنظم سلوك اللغة وتوضحه وتنظم سلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع (هدسون، 1990م، صفحة 12) (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 25)، وأيضا تعرف بأنها: «دراسة اللغة كما يستعملها متحدثون حقيقيون في سياقات اجتماعية وحالية موضعية» (كولينج، 2001م، صفحة 2/487)، وهي كذلك تعرف بأنها: «دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معانٍ اجتماعية وثقافية مألوفة أو غير مألوفة، من خلال النهر المتدفق للتبادل الاجتماعي» (الراجحي، 2012م، الصفحات 11-10)، وربما التعريف الأدق لها أنها: «دراسة لكيفية اختلاف اللغات طبقا للسياقات الاجتماعية ومدى فاعلية المواقف الاجتماعية المختلفة في تعيين أشكال الكلام والسمات المميزة له» (شتا، 1996م، صفحة 24)، (حمداوي، 2002م، صفحة 10)، في مجموعات من الناس تتراوح ما بين بضع مئات إلى أمم بأكملها (فاسود، 2000م،

صفحة 1). وبذلك فإنها بمثابة دراسة لخصائص التنوعات اللغوية، وخصائص وظائفها، وخصائص المتكلمين بها مادامت الأطراف الثلاثة تتفاعل باستمرار وتغير كل منها الآخر (شتا، 1996م، صفحة 25).

مصطلحات اللسانيات الاجتماعية:

قد ظهرت مصطلحات كثيرة عند الغرب تشير إلى تطور هذا العلم منذ بداية اتصال اللغة بعلوم المجتمع في القرن التاسع عشر وصولًا إلى المصطلحات الحالية، وتلك المصطلحات تفيد في الكشف عن منهج علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية في صورته الحالية (الراجحي، 2012م، الصفحات 9-8):

1.منذ منتصف القرن التاسع عشر عرفت ثلاثة مصطلحات هي: (الفيلولوجيا الإثنوجرافية Ethnographic Philol-ogy، والإثنولوجيا الفيلولوجية Philological Ethnology، والأنثربولوجيا اللغوية Anthropology Linguistic).

2.ثم ظهرت مصطلحات أخرى أوائل القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الثانية، وهي مصطلحات نلحظ فيها استخدام العطف، أو الإضافة، أو الصفة، وهي: (علم اللغة والإثنولوجيا Linguistics and Ethnology، وسوسيولوجية اللغة Sociology of language، وعلم اللغة السوسيولوجي Sociological Linguistics)

3.وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت ثلاث مصطلحات أخرى هي: (علم اللغة الإثنولوجي Ethnology Linguis-tics، علم اللغة النفسي Psycholinguistics، وعلم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية Sociolingus-tics)، وهذا الأخير هو ما يعتمده البحث في الترجمة لشهرته وانتشاره الحالي في المؤلفات الأجنبية.

وقد نتج عن هذا التعدد في المصطلح الغربي تعدد في الترجمة العربية له، فاستخدم اللغويون العرب مصطلح مثل: علم اللغة الاجتماعي (بشر، 1997م، صفحة 23)، (هدسون، 1990م، صفحة 22)، وعلم الاجتماع اللغوي (الراجحي، 2012م، صفحة 8)، (شتا، 1996م، صفحة 23)، واللسانيات الاجتماعية (حمداوي، 2002م، صفحة 9)، (بو قربة، 2003م، صفحة 1)، وسوسيولوجية اللغة (وافي ع.، 2004م، صفحة 59)، وعلم اللغة الأنثربولوجي، والأنثربولوجيا اللغوية، وعلم اللغة الإثني، وإثنوجرافيا التواصل (هلبش، 2007م، صفحة 357)، (بشر، 1997م، صفحة 41)، إلى جانب مصطلحات أخرى مثل: اللسانة الاجتماعية، واللسانة الإناسية، واجتماعيات اللغة، والجغرافيا اللسانية (بو قربة، 2003م، صفحة 1).

وهذا التعدد والتطور في المصطلح على الرغم مما فيه من غموض واضطراب وتفرع، وما ينتج عنه من صعوبة في تحديد نطاق المادة الموضوعية والمنطلقات المنهجية، فإنه «يرتبط بنزعة مهمة، وهي نزعة تكامل المعرفة اللغوية واتساعها موضوعًا ومنهجًا» (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 36)، (الراجحي، 2012م، صفحة 8).

وقد حسم جرهارد هلبش(Gerhard Helbig) الجدل بين هذه المصطلحات فصنفها وحقولها العلمية بالنسبة لعلاقاتها مع اللسانيات الاجتماعية إلى صنفين، أحدهما مصطلحات مرادفة لمصطلح اللسانيات الاجتماعية، والآخر مصطلحات لحقول علمية مجاورة وجدت قبلها وأصبحت الآن كأنها أصل لهذا الفرع اللغوي،

والقاسم المشترك بين كل هذه الاتجاهات العلمية الجمع بين ما هو اجتماعي وما هو لغوي (هلبش، 2007م، الصفحات 358-357).

الفرق بين مصطلح علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي:

أما عن المصطلحين (علم اللغة الاجتماعي/ اللسانيات الاجتماعية) و(علم الاجتماع اللغوي) فقد كانا مدار جدل بين الباحثين، فمنهم من رأى أنهما يدلان على مفهوم واحد مثل هلبش (Helbig) (هلبش، 2007م، صفحة 365)، ومنهم من يرى أنهما مختلفان، فعلم اللغة الاجتماعي يتجه إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، أما علم الاجتماع اللغوي فإنه يدرس المجتمع في علاقته باللغة (ياقوت، 2002م، الصفحات 161-162)، وهذا الاختلاف ليس اختلافا في العناصر، إنما هو اختلاف في محور الاهتمام (هدسون، 1990م، صفحة 17).

حيث ذهب بعض اللغويين إلى القول إن علم الاجتماع اللغوي أشمل من علم اللغة الاجتماعي، فعلم الاجتماع اللغوي يهتم بالنطاق الواسع من القضايا مثل القضايا المجتمعية الكبرى وتأثير اللغة فيها، مثل التنمية الاجتماعية، والاقتصادية بالمجتمع، وأثر التعدد اللغوي فيها، والسياسات اللغوية الواجب اتباعها وقضايا التغير الاجتماعي، والصراع اللغوي المصاحب لظاهرة الهجرة، وغير ذلك، فهو يركز على دراسة اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية أكثر من تركيزه على دراسة اللغة في حد ذاتها (عفيفي، 1995م، الصفحات 54-55).

أما علم اللغة الاجتماعي فيتناول الفهم العلمي للظاهرة اللغوية، بالنظر إلى اللغة وعملياتها في ضوء منظور التفاعلية الرمزية للغة مع المجتمع من قبيل المجتمع اللغوي، والموقف اللغوي، والمحادثة اللغوية، فهو يبدأ بوصف اللغة كموضوع رئيس له مع الإشارة لعلاقتها بالمجتمع (شتا، 1996م، الصفحات 38-37).

وهذا الاضطراب الحاصل في المصطلحين جزء منه مردُّه إلى التكوين العلمي لهذا الاتجاه المنطلق من قاعدة يشترك فيها علمان رئيسان: علم اللغة وعلم الاجتماع ويوازيهما نمطان من علماء كل علم، والجزء الآخر هو الناحية المُتصَوَّرة في هذا العلم، فمنهم من فهم أنه توسيع للعلمين الأصليين (اللغة والاجتماع) ومنهم من تصور أنه فرع جديد متداخل الاختصاصات (هلبش، 2007م، الصفحات 363-362).

نشأة اللسانيات الاجتماعية وتطورها:

طرأ في العقود الأخيرة من القرن العشرين تطور في فرع من اللسانيات عرف باللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics)، حيث أخذت الهوة ما بين علم الاجتماع وعلم اللغة تضيق إلى حد بعيد. فأصبح اللغويون يهتمون بالتكيف الاجتماعي للظواهر اللغوية، كما أصبح بعض علماء الاجتماع أكثر إدراكًا للطبيعة الاجتماعية للغة، فظهر هذا الفرع تأكيدًا على هذا التقارب (محسب، 1991م، صفحة 44)، ويقوم على تصور دراسة

الظاهرة اللغوية في بعدها الاجتماعي، أي وهي مستعملة متفاعلة بين المتكلمين في سياق تفاعلي ومقامي معين.

وقد كان هذا الفرع من اللسانيات رد فعل على ظهور اللسانيات التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي (Naom Chomsky) التي تنادي بنحو كلي كوني عالمي، مشيدة بدور الفرد المتكلم، ومعتمدة في ذلك على قواعد مثالية مجردة افتراضية وصورية بعيدًا عن الواقع والسياق التواصلي، فاللغة عند تشومسكي ذات طبيعة عقلية وفردية وراثية في حين أن اللغة في مفهوم اللسانيات الاجتماعية ظاهرة اجتماعية مكتسبة (حمداوي، 2002م، صفحة 19).

وظهرت في عام 1978م دوريتان باللغة الإنجليزية متخصصتان في نشر الأبحاث والدراسات الخاصة بعلم اللغة الاجتماعي، وهما اللغة في المجتمع Language in Society، والدورية الدولية لعلم اجتماع اللغة International Journal of the Sociology of Language، كما ظهرت عدد من المؤلفات والكتب التي ظهرت في ذلك الوقت لتعرّف بهذا العلم، أو بعلاقة اللغة بالمجتمع، ومن أصحابها بريلنج Burling 1970، وبرايد Pride 1971، وفيشمان Fishman 1972، وغيرهم (هدسون، 1990م، صفحة 12).

وبالتدريج صار لعلم اللغة الاجتماعي موقع في الجامعات التي تختص بدراسة علم اللغة، حيث يلقي مزيدًا من الضوء على واقعية اللغة وطبيعة المجتمع (فوزي، 2009م، صفحة 122).

وليس معنى ذلك أن دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع من ابتكار تلك الحقبة الزمنية، بل كانت هناك إرهاصات غربية قديمة مهدت لظهور هذا العلم، منها جهود المدرسة الاجتماعية المؤسسة على يد (دور كايم Durkheim) التي أكدت على وثاقة العلاقة بين اللغة والمجتمع، وقد كانت سببًا في ظهور المدرسة اللغوية الاجتماعية الفرنسية التي انضم إليها كثير من علماء اللغة في فرنسا وسويسرا وألمانيا وغيرها (ياقوت، 2002م، صفحة 160)، وحاولوا أن يطبقوا نظريات علم الاجتماع العام، ويبينوا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة على الظواهر اللغوية باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي أولا وقبل كل شيء؛ ولذلك كانت اللغة كائنًا حيًا كالإنسان سواء بسواء لأنها ألصق الظواهر الاجتماعية به (عبد التواب، 1997، صفحة 126)، (دوركايم، 1988م، الصفحات 69-50).

وكذلك رؤية دو سوسور (de Saussure) في تحديد اللغة كواقع اجتماعي فالفرد لا يستطيع أن يتكلم إلا من خلال المجتمع المحيط به، بالإضافة إلى كونه لا يشعر بالحاجة إلى استعمال جهازه الكلامي إلا في إطار علاقاته مع المجتمع، فهو مرتبط ارتباطًا كاملًا بالمجتمع (دوبيكير، 2015م، صفحة 198) فاللغة بالنسبة له موروث اجتماعي وظهر ذلك جليًا في إطار التفرقة التي وضعها بين اللسان واللغة الكلام.

ونظرة فيرث (Firth) الاجتماعية إلى اللغة بقوله: «لنبدأ بأن نعتبر الإنسان ليس مفصولًا عن العالم الذي يعيش فيه، إنه ليس إلا جزءًا منه، إنه ليس موجودًا ليفكر فيه فقط، لكن ليعمل ما يناسب.....، فكلامك

ليس مجرد تحريك للسان، أو اهتزاز في الحنجرة أو إصغاء، إنه أكثر من ذلك نتيجة لعمل العقل في تأدية وظيفته كمدير العلاقات لتحفظ عليك سيرك في المحيط الذي تعيش فيه» (نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، 2009م، صفحة 9).

ومقال بول لافارج (Paul Lafargue) الذي أكد على العلاقة الجامعة بين اللغة والمجتمع، وكان بعنوان «اللغة الفرنسية قبل الثورة وبعدها» «La langue Français avant et après la Révolution» وقد تحدث فيه عن أثر الحدث التاريخي والسياسي والاجتماعي على المعجم الفرنسي، فوضح أن الثورة الفرنسية التي قامت عام 1789م ساهمت في تغيير المعجم اللغوي الفرنسي، كما أنه سجل مجموعة من الكلمات الجديدة التي دخلت حقل اللغة الفرنسية (بو قربة، 2003م، صفحة 3).

كما أسهم مايه (Melliet) إسهامًا كبيرًا لاستنباط نظرية اجتماعية في دراسة اللغة تؤمن بمجموعة من الأفكار من بينها (إفيتش، 2000م، صفحة 133):

-أن اللغة ظاهرة بسيطة؛ إذ إنها بنية مركبة من طبقات (أساليب مختلفة) تكتسب شكلها من بيئة اجتماعية معينة (لغة التجار، والشارع، ....)، ولا تتأثر عملية التشكيل بالمستوى الثقافي وطريقة الحياة في محيط اجتماعي خاص، ولكن التأثير الأكبر هو للنشاط الاقتصادي والتقني للبشر.

-يقوم الاقتراض الاجتماعي بالدور الأساسي في تغيير معنى الكلمات، فالكلمات تنتقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى، ويؤدي إلى اكتساب أشكال جديدة في المعنى، فالكلمة العامة يمكن أن تتخصص والعكس صحيح، وينشأ التطور الدلالي من تطبيق قاعدتين متجادلتين التعميم والتخصيص.

هذه الإرهاصات إلى جانب أخرى من جهود من أمثال (هاليداي، Halliday ومالينوفسكي Ma-linowski، ويسبرسن Jespersen، وفلمور Fillmore) وغيرهم مما يضيق المقام عن ذكرها ساهمت في حصول ذلك العلم الجديد الذي يربط بين علم اللغة وعلم الاجتماع، وأدت إلى ظهور اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 23)، (نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، 2009م، صفحة 13).

ويعد المؤسس العملي لهذا العلم هو ويليام لابوف (William Labov)، وذلك في عام 1966م حينما طبع كتابه: التراتبية الاجتماعية أو التدرج الاجتماعي في إنجليزية نيويورك (The Social Stratification of English in New York City) (حمداوي، 2002م، صفحة 20)، ثم ألف كتابًا أسماه علم الاجتماع اللغوي عام 1976م، ترجم للفرنسية باسم (Sociolinguistique)، وتعد دراسته المهمة عن جزيرة مارثاز فينيارد(Martha's Vineyard) الواقعة بمدينة ماساشوستس (Massachusetts) من أهم الدراسات التي مهدت الطريق لقيام اللسانيات الاجتماعية، فتلك الجزيرة فيها أربع مجموعات اجتماعية فرعية: أحفاد سلالة الإنجليز منذ القرن 17، والمهاجرون من أصل برتغالي، والهنود، ومجموعات متنوعة من (الفرس، والألمان، والبولنديين)، وتناول فيها

طريقة نطق بعض الحروف المتحركة مثل (ay, aw) عند سكان الجزيرة الأصليين، وتميزت هذه الدراسة أنها أخذت بعين الاعتبار العوامل الاجتماعية بالإضافة إلى القيود اللغوية في تفسير وجود هذا التغير الملحوظ في نطق الحرف المتحرك المدروس، كما تضمنت بعض المتغيرات الاجتماعية مثل أثر المنطقة، والمهنة، والعمر، وشعور المواطنين تجاه حياتهم في الجزيرة، وخلص لتبني المقاربة اللسانية الاجتماعية القائمة على مجموعة من المتغيرات تتمثل في المكان الجغرافي، والعمر والجنس، والاصل الاجتماعي، وسياقات استعمال اللغة، وأثبت أنه من الصعوبة بمكان فصل اللغة عن المكون الاجتماعي الأساسي فيها (زيان، 2018م، صفحة 381)

وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإن اللسانيات ذات بعد اجتماعي (حمداوي، 2002م، صفحة 16)، وأكد على «ضرورة البحث عن تفسير عدم انتظام التغييرات اللغوية في تقلبات التشكيلة الاجتماعية اللغوية» (كالفي، 2006م، صفحة 24).

المبحث الأول: قضايا اللسانيات الاجتماعية في ضوء اللسانيات الحديثة

انطلاقاً من تعريفات اللسانيات الاجتماعية المجتمعة على دراسة اختلاف اللغات طبقا للسياقات الاجتماعية والفاعلية الاجتماعية في تعيين أشكال الكلام، وبيان تفسيرات لهذه العمليات التفاعلية للظواهر اللغوية وما يطرأ لها من تغييرات وتطورات، فقد أشار العلماء والباحثون إلى مجموعة من القضايا التي يمكن أن تدخل في نطاق دراسة اللسانيات الاجتماعية، ومنها على النحو الآتي (ياقوت، 2002م، الصفحات 163-162)، (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، الصفحات 25-24)، (بوفرة، 2015م، صفحة 16)، (المجيول، 2007م، الصفحات 29-28):

-تأثير التركيب الاجتماعي للأسرة في اكتساب الأطفال اللغة.

-تطور اللغة عند الطفل ومراحل اكتسابها.

-السن التي يدرك فيها الأطفال الدلالة الاجتماعية لمختلف الصيغ الكلامية.

-استعمال اللغة لدى الأفراد وصلته بالمكانة أو المنزلة الاجتماعية.

-دور اللغة في سيطرة أحد الأفراد على المجموعة.

-الغزو اللغوي الذي يتمثل في تبني أحد الشعوب للغة ما، وترك لغته الأم، وصلة ذلك بالظروف الاجتماعية.

-دور العوامل الاجتماعية في التغيير الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي الذي يصيب اللغة.

-بيان الجانب الاجتماعي في «لغة المحادثة» والاهتمام بما يدور حين يلتقي شخصان لكل منهما لغة تختلف عن الآخرين.

-النتائج الاجتماعية المترتبة على الأحكام المتصلة بالصحيح نحويًا وغير الصحيح نحويًا.

-تغيير نطق بعض الكلمات عند البنات دون الأولاد، أو العكس، واتصاله بالجانب الاجتماعي.

-تعدد للهجات داخل المجتمع الواحد، ووجود ما يسمى باللغات الخاصة، وإيضاح طبيعة كل لغة والخصائص

التي تحددها (الأسس الاجتماعية للثنائية والتعددية اللغوية).

-دور اللغة في تعزيز هوية الجماعة.

-التواصل اللغوي بين الشعوب أو الجماعات التي لها لغات مختلفة، وما يعتري هذا التواصل من مشكلات.

-اللغة والمجتمع والتواصل الحضاري.

-علاقة اللغة بالثقافة، ودور اللغة في البناء الثقافي، وأثر الثقافة في البناء اللغوي.

-المعايير أو العوامل التي تتحكم في اختيار أحد الشعوب المستعمرة لغة أو لغات وطنية.

-أثر التشابه اللغوي في إذكاء روح الوطنية.

-الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية (طريقة الكلام وأسلوبه).

-علم اللهجات الاجتماعي (المتنوعات غير المعيارية).

-الازدواجية اللغوية والتخطيط اللغوي وتعدد اللهجات.

-التخطيط والتنمية اللغوية.

-اللسانيات الاجتماعية والتربية.

-اللسانيات العرفية (الإثنو منهجية).

-النظرية اللغوية والنظام اللغوي.

-تقعيد اللغة، وجودتها، وأمانها، وتصحيحها، واحتكاكها بغيرها.

-الدخيل والتداخل والخلط اللغوي.

-الميول الاجتماعية للغة.

-الهوية اللغوية للجماعات الاجتماعية.

-الأشكال اللغوية النموذجية وغير النموذجية.

تحليل الخطاب السياسي، أو الأدبي، أو الديني، أو الإعلامي... إلخ، مع الاعتماد على (سوسيولوجيا) ظاهرة الكلام التي لا تتعرض للمعطيات اللسانية إلا كوسيلة اجتماعية.

ويلاحظ من خلال ذكر القضايا السابقة أن فيها حضورًا لعناصر عدة منسجمة هي: اللغات والأفراد والمجتمعات والمؤسسات، وهذا التداخل المتعدد والمركب هو الذي يفسر ارتباط علم اللغة الاجتماعي بمجموعة من المجالات. لذا يبدو أن علم اللغة الاجتماعي وكأنه يتخذ أشكالًا مختلفة؛ لأن ينطلق من علاقة جدلية تربط اللغة بالمجتمع، والمجتمع باللغة (بوفرة، 2015م، صفحة 18).

كما يظهر أن اللسانيات الاجتماعية بصفتها علمًا تنقسم إلى جزأين أو ركنين أساسيين، وهما جزء نظري وجزء تطبيقي، وهذا الأخير يعني «بالخروج إلى الميدان لجمع المادة العلمية» (هدسون، 1990م، صفحة 13)؛ أي الخروج إلى الواقع اللغوي والبحث فيه وتجميع الحقائق اللغوية الموجودة داخله (فوزي،

2009م، صفحة 122)، فيعالج الظواهر اللغوية والعمليات الاجتماعية المرتبطة بها على مستوى النشأة والتطور والانتشار والتشعب إلى لهجات، إضافة إلى دراسة عمليات الصراع والتفاعل اللغوي بين اللغات المختلفة، والموضوعات التي تهتم بالتغيرات اللغوية على المستوى الجغرافي والاجتماعي والثقافي للغات المختلفة، ومشكلات الاتصال اللغوي، وموقف المتكلم والمخاطب واللهجات المحلية، وعلاقة كل ذلك بالواقع الاجتماعي وحضارته ونظمه وبيئته الاجتماعية (شتا، 1996م، صفحة 26) (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 24)، أما الجزء النظري فهو «النظر في الحقائق المتجمعة والمتوصل إليها من الميدان والتفكير فيها تمحيصها» (هدسون، 1990م، صفحة 13)؛ وذلك بوضع المادة اللغوية قيد الدراسة والشروع في وصفها ومحاولة تفسيرها وتحليلها للوصول إلى النتائج مع التأكيد على ربط الحقائق بالواقع اللغوي الموجودة فيه، كالوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وما يعتورها من شئون الحياة، وما تحمله هذه اللغة من طوابع الحياة التي يحياها المتكلمون وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان من المجتمع (نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، 1988م، صفحة 25).

من قضايا اللسانيات الاجتماعية:

وانطلاقًا من هذا التفاعل المتبادل بين اللغة والمجتمع، ظهرت مشكلات لغوية عدة سعت إلى دراستها اللسانيات الاجتماعية، ومن الصعوبة بمكان أن نعرض لكل تلك القضايا، وتبيان بعضها على النحو الآتي:

1.قضية الازدواجية اللغوية:

إن استعمال أكثر من لغة في المجتمع الواحد ظاهرة منتشرة في أغلب المجتمعات، وهو ما اصطلح عليه بالازدواج اللغوي، وهذا المصطلح ظهر على يد فرجسون Ferguson عام 1959م (السيد، 1995م، صفحة 149)، فلكل إنسان لغة يتكلم بها، ويتحكم في كل أساليب تلك اللغة، وإذا أراد أن يطور ملكته اللغوية ضمن لغة ثانية يصبح من مزدوجي اللغة، وعرفها فرجسون Ferguson بأنها: «حالة ثابتة نسبياً يكون فيها- بالإضافة إلى لهجات اللغة الأساسية- نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع» ، أي أن مزدوج اللغة بالإضافة إلى امتلاكه للغته الأساسية، فإنه لديه لهجة أخرى تختلف تماماً عن لغته الأصلية.

بالإضافة إلى أن اللغة الواحدة لها لهجتان، لهجة عليا ولهجة دنيا، فالأولى هي التي تستخدم للمحادثة الرسمية، أي لغة الأدب المكتوب الذي يحظى باحترام أفراد المجتمع، والثانية هي لهجة المحادثة العادية (فاسود، 2000م، صفحة 65)، فالطفل حينما ينشأ في وسط عائلة تتكلم بلغة معينة، فهو يتلقى اللهجة الدنيا من اللغة ويتعلمها بواسطة والديه فهي التي يستعملها في الحياة اليومية، وعندما يذهب إلى المدرسة ويتعلم فإنه يتلقى اللهجة العليا لهجة الأدب والعلم ويصبح مستعملا للهجتين معا، وللازدواجية اللغوية نوعان هما:

2.الازدواجية الفردية:

وتعني «قدرة الفرد وتمكنه من استعمال نظامين لغويين مختلفين» (بكال، 2004م، صفحة 132) والمهم أن يكون الفرد متمكنًا من لغتين وتكونا مختلفتين، وإن استعمال نظامين لغويين مختلفين يتوقف على عوامل أهمها (بكال، 2004م، صفحة 132): طريقة اكتساب الفرد للغتين، ودرجة إتقانه لهما.

3.الازدواجية اللغوية الاجتماعية:

وتعني «وجود لغتين مختلفتين تترتبان حسب الطبقات الاجتماعية (بكال، 2004م، صفحة 133) مثلما هو الأمر مع اللهجة الدنيا واللهجة العليا التي سبق العرض لها، فهذه اللهجات تستعمل عند الحاجة إليها، وكل لهجة تستعمل في محلها، وازدواجية اللغة بنوعيها من موضوعات اللسانيات الاجتماعية، فإن توظيف بعض اللهجات في خدمة غايات مختلفة في المجتمع ما هو إلا سلوك لغوي اجتماعي (فاسود، 2000م، صفحة 92).

4.قضية التحول الكلامي:

لا يوجد مجتمع كذلك يتكلم بأسلوب لغوي واحد، فإما أن تكون هناك لغات عدة أو لهجات عدة، ومن ثم يكون الفرد ملزما بأن ينتقل من لغة إلى أخرى، أو من لهجة إلى أخرى، وهو ما يسمى بالتحول الكلامي (الراجحي، 2012م، صفحة 11)، أو تبديل الشفرة أو مزج الشفرة، حيث تستخدم أجزاء من اللغة الأولى أثناء استخدام اللغة الثانية من طرف المتكلم وتسمى بالاقتراض، وعادة ما تكون هذه القطع عبارة عن كلمات، أو تكون عبارات لغوية أكبر (الراجحي، 2012م، صفحة 12)، وهذا التحول يكون لعوامل غدة من بينها: الموقف، والموضوع، والمشاركون في الحديث، والجنس، وغير ذلك، والغرض إما أن يكون شرح موضوع ما، أو قصد الاندماج الاجتماعي.

5.قضية التداخل اللغوي:

من ضمن القضايا المهمة التي تتناولها اللسانيات الاجتماعية، قضية التداخل اللغوي الذي هو نتاج الاحتكاك اللغوي ما بين اللغات واللهجات الموجودة في المجتمع، ويكون ذلك نتيجة تأثير اللغة الأولى المكتسبة في المجتمع في اللغة الثانية المتعلمة، وهذا التداخل حاصل في جميع المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية (بلعيد، 2001م، الصفحات 129-124)، والفارق ما بين التداخل اللغوي والتحول اللغوي، أن التداخل غير مرغوب فيه ويحدث على جميع المستويات اللغوية، أما التحول فهو مرغوب ويحدث في مستوى المفردات أو الجمل الطويلة، كما أن التداخل لا يتطلب متكلماً يعرف اللغتين، أما التحول فيشترط معرفة اللغتين لدى المتكلم والسامع (بلعيد، 2001م، الصفحات 130-129).

6.قضية الحدث الكلامي:

وتعد قضية الحدث الكلامي من الاهتمامات الأساسية لقضايا اللسانيات الاجتماعي حيث تتخطى اللسانيات الاجتماعية حدود الكلمة والجملة، وتركز في شأن تتابع الجمل، والتبادل الكلامي بين الأطراف المشاركة بطريقة مباشرة، وفهم التركيبات الكلامية كما تظهر في مواقفها، وبتحديد الخلفيات الاجتماعية والظروف الثقافية وماهيات المتحدثين، وهذا ما يسمى بالحدث الكلامي (الراجحي، 2012م، صفحة 11).

7.قضية اللهجات الاجتماعية:

الاختلافات اللغوية لا تستند إلى اختلافات إقليمية، فالعامل الجغرافي ليس هو الوحيد المؤثر في اختلاف اللهجات، فهناك عوامل أخرى منها عامل السن، والجنس، والطبقة الاجتماعية، والمستوى الاقتصادي والمستوى الثقافي كلها تؤثر في حصول الاختلاف اللغوي، ويطلق عليه مصطلح اللهجات الاجتماعية ، ومن ضمن اللهجات الاجتماعية «اللهجة الحرفية، حيث نجد عند كل مجموعة حرفية مجموعة من التعبيرات اللغوية الخاصة بهم كالنجارين والصيادين والمزارعين (هدسون، 1990م، صفحة 72)، كذلك اللهجة الخاصة بجنس النساء والرجال، فتوجد فوارق في الأداء اللغوي بين الذكر والأنثى (وافي ع.، 1983م، صفحة 131)، كما توجد أساليب معينة تختص بجنس دون آخر كأسلوب الندبة الذي تستعمله النساء ويستهجن من الرجال (العناتي، 2010م، صفحة 77)، كذلك اللهجة المستعملة مع الأطفال من قبل الكبار لهجة لا تستعمل في المواقف الاجتماعية الأخرى، وتدرسها اللسانيات الاجتماعية من حيث الخصائص اللغوية ودلالتها على المستويات الاجتماعية وتوزيعها داخل المجتمع.

8.قضية التعدد اللغوي:

ويعرف التعدد اللغوي بأنه: «وضعية لسانية تمتاز بتعايش لغات وطنية متباينة، أو وطنية وأجنبية في البلد الواحد إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة، وإما على سبيل التفاضل إذا وجدت لغة عالمة بجانب أخرى عامية» (الأوراغي، 2002م، صفحة 50)، ومن النادر وجود أمة أحادية اللغة بالرغم من استعمال عدة مجهودات لتطبيق سياسة لغوية رامية لتأسيس مبدأ أحادية اللغة، فأغلبية الدول لها أكثر من لغة متداولة بين عدد من سكانها كان كبيرًا أو صغيرًا، «ولا يمكن أن نمحي لغة أو ثقافة ببساطة» (بكال، 2004م، صفحة 131)، وتدخل هذه القضية من ضمن اهتمامات اللسانيات الاجتماعية وبخاصة في المجتمعات التي تتميز بالتعدد اللغوي لهدف المحافظة على اللغة الرسمية، وظاهرة التعدد اللغوي لها أسباب عدة لعل من أهمها (صبولسكي، 2010م، صفحة 134):

-الهجرة (الإرادية أو اللاإرادية): وهي إحدى مسببات هذه الظاهرة، نتيجة تنقل أشخاص يتكلمون بلغة معينة إلى منطقة أناس يتكلمون بلغة أخرى.

-التجارة: حيث أدت إلى تنقل عدد كبير من لغات منطقة معينة إلى منطقة أخرى وتكوين العديد من اللغات

الهجينة.

-النزوح الريفي: فالانتقال من الريف إلى المدن الكبرى يؤدي إلى تشكيل مدن مجاورة لها نمط لغوي يتسم بالتعقيد أكثر من التعدد اللغوي.

-الغزوات والفتوحات التاريخية: حيث إن حملات الغزو والفتح للدول غير الناطقة بلغة أهل الفاتحين أو الغازين يؤدي إلى استعمال لغة الفاتحين إلى جنب لغة أهل البلاد الأصلية، كما حدث مع الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى استخدام العربية بين دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (صبولسكي، 2010م، صفحة 136).

-الائتلاف: وهو اتحاد مجموعات عرقية مختلفة تحت سيطرة سياسة لدولة واحدة إما طوعًا أو إجبارًا (فاسود، 2000م، صفحة 17).

9.قضية التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية:

من ضمن القضايا التي اهتمت بها اللسانيات الاجتماعية اهتماماً بالغاً هي قضية التخطيط اللغوي التي يقصد بها تطبيق السياسة اللغوية التي اختيرت من طرف الدولة أو الجهات الرسمية أو الخاصة، وذلك للمحافظة على اللغة الرسمية، وقتل المشاكل اللغوية التي تعاني منها الدول، ومحاربة حالات التعدد والازدواج اللغوي وغيرها من الظواهر المختلفة التي تعاني منها بعض البلدان (عياد و جريس، 1997م، صفحة 77)، بهدف تيسير التواصل بين البشر وجعله سهلًا ميسورًا، وجعل الوسائل الإعلامية والتعليمية المختلفة تتكامل في عملها في إطار خطة لغوية موحدة (حجازي، 1994م، صفحة 124).

وكثيرا ما يقع الخلط بين مصطلح التخطيط والسياسة اللغوية، فكل واحد منهما يدل على معنى مختلف فالسياسة اللغوية هي المرحلة النظرية التي يتم من خلالها ربط الواقع الاجتماعي باللغة، وتنجز فيها إجراءات عدة مثل تحديد لغة التعليم، والإدارة، والإعلام وغيرها (بورنان، 2004م، صفحة 162)، في حين أن التخطيط اللغوي هو الجانب التطبيقي من هذه السياسة اللغوية.

وهذه السياسة اللغوية لا توضع من فراغ، بل تبنى على أساس وقواعد ثابتة تنطلق من عناصر أساسية وجب احترامها والتقيد بها تتمثل في تاريخ الأمة وعقيدتها وكيانها الوطني (بورنان، 2004م، صفحة 162)، والتخطيط يكون مسطرًا لتنفيذ قرارات السياسة اللغوية التي توضع من طرف الدولة انطلاقًا من الواقع الاجتماعي الذي تعرفه البلاد (زكريا، 1993م، صفحة 11).

كما تسعى السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي إلى إيجاد حلول للمشكلات اللغوية المنتشرة في الدول من خلال اتخاذ القرارات المناسبة وتسطير الأهداف البديلة والمرجوة لوضع حد لهذه المشكلات، وهذه المشكلات كثيرة متنوعة لعل منها القضايا الآتية (زكريا، 1993م، صفحة 11):

-مقاييس الكتابة الصحيحة والكلام الجيد.

-ملاءمة اللغة بصفتها وسيلة للتعبير المستعمل من قبل الجمهور.

-كيفية جعل اللغة أداة للإبداع الفكري والعلمي.

-كيفية تحسين التواصل والتفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة داخل نطاق الدولة.

-اختيار لغة التعليم.

- اختيار اللغة الثانية في التعليم.

- ترجمة الأعمال الأدبية اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي.

- القيود الموضوعة على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات التنافس بين اللهجات والارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية.

-المحافظة على التوازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد في المجال اللغوي.

وتلك المشكلات كثيرة متنوعة والسلطة وحدها لا يمكن أن تكون كافية في عملية التخطيط، ولذلك قدم جيرنود Gernod قائمة لمن يقوم بعملية التخطيط بالإضافة إلى الحكومات وتتمثل في (فاسود، 2000م، صفحة 446): (الوكالات الوطنية غير الحكومية- الوكالات غير الوطنية وغير الحكومية- وظائف تنقيح الصحف اليومية ومراجعتها المؤلف المستقل أو كاتب الرسائل أو الخطيب المتحدث وغيرهم).

أما عن كيفية التخطيط اللغوي، فإن هناك مراحل عدة تكون عليها عملية التخطيط، وقد أوجز روبن Roben هذه الخطوات الأربعة على النحو الآتي (فاسود، 2000م، صفحة 448):

-تقصي الحقائق: حيث يجب أن تتوافر كمية كبيرة من المعلومات قبل أن يتخذ أي قرار تخطيطي في الشأن.

-التخطيط: وهنا تتخذ القرارات الفعلية.

-التنفيذ: وهي مرحلة تطبيق قرارات التخطيط.

-ردود الفعل: في هذه المرحلة يكشف المخطط مدى نجاح تنفيذ الخطة من عدمها.

وهذه الأهداف لابد أن تكون واضحة وتنفذ بطريقة سليمة وصحيحة؛ لذلك لابد أن تكون منطلقة من الواقع اللغوي والاجتماعي الذي تعرفه البلاد في أبعاده المختلفة مع الاستفادة من الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المسطرة والنتائج المنشودة المنتظرة (حجازي، 1994م، صفحة 124).

المبحث الثاني: قضايا اللسانيات الاجتماعية في ضوء التراث العربي

وقد كان للعرب نصيب وافر في التعرض لقضايا لسانية لها علاقة بالمجتمع، فهم لم يقتصروا على دراسة اللغة في إطار بعيد عن الاستعمال، ولم يقتصروا على دراسة ظواهر اللغة العربية فحسب، بل كانت دراستهم دراسة لسانية شمولية بالمنظور اللساني العام، وهي قضايا يضيق المقام عن ذكرها ونقتصر في الحديث على تلك الظواهر اللسانية المرتبطة بالمجتمع، ومنها على النحو الآتي:

1.أثر الجغرافيا في فصاحة لهجة قريش:

ففي بحوث علماء اللغة العرب عن فصاحة لهجة قريش وصفائها قد أرجعوا جانبًا كبيرًا منها إلى مكانها فقريش من جميع بين العرب سكنت جوار الحرم، وقامت على ولايته وخدمته وسقيا وفوده، وقد كانت العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة المكرمة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، ومع فصاحة قريش وحسن لغتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم وفود من العرب تخيروا من كلامهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات لسلائقهم التي طبعوا عليها؛ فصاروا بذلك أفصح العرب، فلا ترى في لهجتهم ولا كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة (السيوطي، 1986م، صفحة 1/210)، فللمكان الذي تمتعت به قريش تأثير على فصاحتها.

2.أثر الجغرافيا في السلامة اللغوية:

وقد كان لعلماء اللغة الذين تولوا جمع اللغة من اللسان العربي بعض المعايير، ومنها معيار المكان، فقد نظروا إلى جغرافيا المكان الذي يأخذون عنه اللغة، وربطوا بين المكان ومدى تأثر لغة أهله بمن حوله، فكانوا لا يأخذون من سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم؛ فإنهم لم يأخذوا من لخم ولا جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين اليونان؛ ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزدعمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة (السيوطي، 1986م، صفحة 1/212)، وما ذلك إلا لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم بمخالطتهم غيرهم من الأمم، مما أدى إلى فساد ألسنتهم وتأثرها بلغات الأماكن المجاورة لهم.

3.أثر التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي على ظهور اللحن وتطور اللغة:

حيث أجمع اللغويون القدامى على أن السبب في تسرب اللحن أو الخطأ إلى اللغة العربية يعود إلى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى، وعبّر عن ذلك الزُبيدي بقوله: «لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان؛ فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا أرسالا (أي طوائف)، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في

اللغة العربية ، واستبان منه ي الإعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه» (الزبيدي، 1984م، صفحة 1/11)؛ ولذلك اهتم القدامى من علماء اللغة بالتأليف في اللحن منذ المراحل الأولى من حياة الدرس اللغوي ومن هذه المؤلفات (ما تلحن فيه العوام للكسائي، البهاء فيما تلحن فيه العامة للفراء، ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة، ما خالفت فيه العامة لغات العرب، لابن سلام، ما يلحن فيه العامة للباهلي، وإصلاح المنطق للسكيت، ما يلحن فيه العامة للمازني، ما يلحن فيه العامة للسجستاني، النحو ومن كان يلحن من النحويين لابن شبة، أدب الكاتب لابن قتيبة، لحن العامة للدينوري، والفصيح لثعلب، وتقويم اللسان لابن دريد، ولحن العامة للزُبيدي، وإصلاح غلط المحدثين للبُستي، ولحن الخاصة لأبي هلال العسكري، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي، ودرة الغواص في أوهام الخواص للحريري، وغيرها).

والمجالات التي تتطرق إليها القدامى في مؤلفات اللحن يضيق المقام عن ذكرها، لكنها مقسمة على أبواب لديهم، مثل كتاب تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي الذي قسم أبواب اللحن على خمسين بابا.

4.أثر الإسلام على اللغة في استحداث ألفاظ إسلامية جديدة:

حيث ورث العرب في جاهليتها لغتها من آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، ولما جاء الإسلام حالت الأحوال، وبطلت أمور، ونسخت ديانات، ونقلت ألفاظ كانت لها دلالات معينة إلى دلالات أخرى جديدة مكتسبة، فكان مما جاء في الإسلام ذكر ألفاظ مثل: المؤمن، والكافر، والجنة، والنار، والثواب والعقاب، والصلاة، والزكاة، والرسول، والملائكة، الرسالة، القرآن، وغير ذلك مما يلاحظ فيه أثر الإسلام في استحداث ألفاظ وتغيير دلالات الكلمات في لغة المجتمع العربي.

«فالعرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، والمنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع» (ابن فارس، د.ت، الصفحات 84-83)، وغير ذلك من المستحدثات اللفظية.

5.أثر المولدين في استحداث ألفاظ جديدة في اللغة:

وإلى جانب ظهور اللحن بسبب دخول شعوب غير عربية في الإسلام، فإن هناك ألفاظًا أحدثها المولودون، وهم أبناء تلك الشعوب التي دخلت الإسلام من غير العرب، وقد تنبه العلماء العرب إلى تلك الظاهرة الاجتماعية فكتبوا عنها، ولم يقبلوا تلك الألفاظ في جمعهم للغة، ومن تلك الألفاظ مثلا (النحرير والمجانسة، والتجنيس، والعُجَّة، والفطرة، والتشويش، والجبرية، والقدرية، وحوائج (جمع حاجة)، وتبغدد (فعل

مشتق من بغداد)، والقلنسوة، والحواميم) (السيوطي، 1986م، صفحة 1/304)، وغير ذلك من الألفاظ التي نشأت من تفاعل تلك الشعوب مع اللغة العربية في مجتمعهم واستخراجهم لألفاظ لم يكن لها أصل في كلام العرب.

6.قضية التخطيط اللغوي عند القدامى:

تطرّق ابن خلدون لقضية التخطيط اللغوي في فصل عقده بعنوان «في لغات أهل الأمصار»، وتناول حديثه عن اللغة المسيطرة والمهيمنة، وهي لغة المجتمع المسيطر، فقال: «اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها» (ابن خلدون، 2001م، صفحة 1/474) فلغات أهل الأمصار الإسلامية هي اللغة العربية لغة السلطان ولغة الدين الإسلامي أو لغة الغالبين (فالغلبة تكون بالملك أو الدين)؛ لذلك كان من الطبيعي أن تفرض الأمة الإسلامية سياستها التخطيطية اللغوية، لما «وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم والدين والملة صورة للوجود والملك، ....، ولما أن النبي عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها» (ابن خلدون، 2001م، صفحة 1/475)، وغير ذلك من مواضع تؤكد وعي ابن خلدون بحقيقة الصراع بين اللغة والسلطة فقد أدرك صلة اللغة بالدولة.

7.قضية الاكتساب اللغوي عند القدامى:

وقد تفطن ابن خلدون إلى أن اكتساب اللغة الأولى وليدة المجتمع أي ناشئة من تفاعل الفرد مع بيئة المجتمع الذي يعيش فيه ويتعامل معه، كما في اللغة العربية أو غيرها، حيث يقول: «المتكلم من العرب حيث كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم... كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فليلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلمها العجم والأطفال» (ابن خلدون، 2001م، صفحة 1/765). فهو بذلك يعد اللغة ظاهرة اجتماعية ضرورية يخضع لها أفراد هذا المجتمع.

8.الواقع الاجتماعي وأثره على السياسة اللغوية عند القدامى:

يرى ابن خلدون أن العلم والتعليم يزدهران بازدهار الحضارة والعمران؛ لأن العلم من جملة الصنائع المتعلقة بها، فكلما ازدهرت الحضارة كان طبيعيا أن تزدهر الصنائع؛ لأن «الصنائع إنما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة» (ابن خلدون، 2001م، صفحة 1/548)، فاللغة العربية هي التي سيطرت زمنا على لغة العلم والتعليم بفضل ازدهار عمرانها وتقدم العلوم لديها، وهذه السيطرة وصلت إلى الغرب المتخلف آنذاك فتعلم بلغة العرب تلك العلوم، وتأثر بلغتهم في إلقاء بعض الكلمات مما تعلمها في بعض المناسبات.

وعقد ابن خلدون مقارنة ما بين ما بلغته بلاد المشرق من التقدم في المجال العلمي والتعليمي والحضاري بصفة عامة وما آلت إليه بلاد المغرب بعدما أصابها من انتشار للآفات الاجتماعية والتدني في المستوى المعيشي، حتى أنه «ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأشد نباهة وأعظم كيسا بفطرتهم الأولى» (ابن خلدون، 2001م، صفحة 1/546). واختصارا فاللغة تتأثر بالتقدم الحضاري والعلمي وتؤثر فيه كذلك، فالعلم والتعليم صناعتان تزدهران بازدهار العمران وتتراجع بتراجعهما.

المبحث الثالث: أوجه التقارب بين قضايا التراث العربي واللسانيات الحديثة في اللسانيات الاجتماعية

وعلى الرغم من الاختلافات في المنهجيات والتركيزات، فإن هناك تقارباً بين القدامى اللغويين والمحدثين في تحقيق أهداف مشتركة. فكلا الاتجاهين يسعيان لفهم كيفية تأثير اللغة، واستخدامها في الحياة الاجتماعية، وكذلك التغيرات التي تطرأ على اللغة بمرور الوقت. وقد يتعاون الباحثون المحدثون من العرب في تقريبهم التراث العربي مع مجهودات الغرب في دراسات مشتركة لتحقيق أهداف مشتركة وتعزيز فهمنا للعلاقة بين اللغة والمجتمع، فجهود المحدثين الغربيين بحاجة إلى ربطها باتجاهات القدامى من أجل تكامل جوانب النقص التي تعتريها، وهذا ما يقع على عاتق علماء العرب المحدثين في إبراز تلك القضايا المهمة من خلال إجراء مزيد بحثهم التراثي وربطها بالجديد في هذا المجال من جهد المحدثين في محاولة تكميل جوانب هذا المجال المعرفي، ولعل من أهم ما توصلت إليه الدراسة في بيان أوجه التقارب بين قضايا التراث العربي واللسانيات الحديثة ما يلي:

-اللغة أساس حصول التواصل الاجتماعي: فالعرب القدامى رأوا أن اللغة هي أساس للتواصل والتفاهم الاجتماعي. وكانوا يدركون أهميتها في تحقيق التواصل بين الناس والأفراد في المجتمع. وكذلك يعد علماء اللغة المحدثون في اللسانيات الاجتماعية أن اللغة تشكل العلاقات الاجتماعية، وتحقق التواصل وتمثل هوية المجتمع.

-الدراسة اللغوية وصفية في المقام الأول: فسواء أكان ذلك في التراث العربي أو في العصر الحديث، فإن علماء اللغة اهتموا بدراسة اللغة بناءً على الوصف والتحليل. فهم يسعون لفهم هياكل اللغة، وقواعدها وأنماطها، وكيفية استخدامها في العملية التواصلية في جميع المستويات اللغوية: الصوتية، والصرفية والنحوية، والدلالية.

-الاهتمام بالتغير اللغوي: ففي التراث العربي رصد العلماء تغيرات اللغة مع مرور الزمن، وتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية عليها. وبالمثل، يدرس علماء اللغة المحدثون التغير اللغوي في اللغات المعاصرة وكيف يتأثر بالتطورات الاجتماعية، والتكنولوجية، والثقافية.

التعدد اللغوي واستحداث ألفاظ جديدة: فقد تنبه العلماء العرب إلى تلك الظاهرة الاجتماعية فكتبوا عنها ولم يقبلوا من المولدين تلك الألفاظ التي دخلت إلى العربية نتيجة التأثير والتأثر بين لغة المولدين الأصلية واللغة العربية، وهي من ضمن القضايا المهمة التي تتناولها اللسانيات الاجتماعية حيث رأى علماء اللغة المحدثون أنها نتاج الاحتكاك اللغوي ما بين اللغات واللهجات الموجودة في المجتمع.

العلاقة بين اللغة والهوية: فاللغة لا تقتصر على التواصل، بل تحمل أيضًا قيمًا اجتماعية وثقافية ودينية والعرب القدماء كانوا يعتبرون اللغة جزءًا أساسيًا من الهوية، والثقافة، وبعض الألفاظ لديهم أهملت لأنها دالة على الفترة الجاهلية، واستخدموا ألفاظا جديدة مستحدثة من هوية الدين الجديد، وهذا يتطابق مع نهج اللسانيات الاجتماعية الحديثة التي تدرس اللغة في سياقها الاجتماعي وتحلل العلاقة بين اللغة، والهوية.

الدراسة اللغوية للطبقة الاجتماعية: كان العرب يلاحظون أن طريقة الكلام واستخدام اللغة يمكن أن يكشف عن الطبقة الاجتماعية للشخص. وهذا يتوافق مع اهتمام علماء اللغة المحدثين بدراسة اللهجات والمتغيرات اللغوية التي ترتبط بالطبقة الاجتماعية، والمجتمعية.

اللغة وجغرافيا المكان: ففي بحوث علماء اللغة العرب عن فصاحة لهجة قريش وصفائها قد أرجعوا جانبًا كبيرًا منها إلى مكانها، ولم يقبلوا أخذ اللغة عن بعض القبائل لمجاورتها الأعاجم وحدوث تبادل معرفي وثقافي ولغوي نتيجة للتبادل التجاري بينهما، وهذا قريب من دراسة لابوف في كتابه (التراتبية الاجتماعية في إنجليزية نيويورك)، وتلك المدينة بالتحديد بعد الثورة الأمريكية بدأت فيها ظهور المراكز الصناعية الجديدة حتى صارت عاصمة البلاد صناعيًا وماليًا، وأصبحت كذلك مركزًا ثقافيًا. وأغرت فرص التوظيف التي توافرت فيها موجات المهاجرين ليحطوا رحالهم في ربوعها، مما دفع لابوف لاتخاذها نموذجا لدراسة لغة أهلها.

العلاقة بين اللغة والسلطة والسياسة: كان للعرب فهم عميق للتأثير المتبادل بين اللغة والسلطة والسياسة. فكلما قويت السلطة وزادت هيمنتها زادت معها قوة لغتها وهيمنتها، وهذا يتوافق مع اهتمام علماء اللغة المحدثين بدراسة التخطيط اللغوي وتأثير السلطة على استخدام لغة وتنحية أخرى، بل تطرقوا إلى تحليل كيفية استخدام اللغة لتحقيق السلطة.

الاكتساب اللغوي: حيث رأى العرب القدامى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ضرورية يخضع لها أفراد هذا المجتمع فيكتسبونها من الاستماع والممارسة لها وكذلك يكتسب الطفل لغته بفضل الاستماع المتكرر قبلما يبدأ في تكرار ما سمعه، وهذا لم يبتعد عنه علماء اللغة المحدثون مما يؤكد على تقارب الاتجاهات في الدراسة.

أثر التركيب الاجتماعي في تطور اللغة: حيث أجمع اللغويون القدامى على أن السبب في تسرب اللحن أو الخطأ إلى اللغة العربية يعود إلى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى مما أدى إلى تطور مفردات لغوية لم تكن موجودة قبل، وعند علماء اللسانيات المحدثين فإن تجربة لابوف عن جزيرة مارثاز فينيارد تؤكد على حصول تطور في اللغة نتيجة اجتماع جنسيات مختلفة في الجزيرة.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة التي جمعت بين جهود اللسانيات الحديثة في دراسة قضايا اللسانيات الاجتماعية والتراث الذي خلفه لنا القدامى، فقد آن وضع بعض النتائج المستخلصة من خلال البحث لعل من أهمها:

-عدم استقرار مصطلح اللسانيات الاجتماعية حيث تداخلت المصطلحات فيما بينها، ولا يقف الأمر عند المصطلح إنما كذلك في مواضيعه ومجالاته، ويعود ذلك لسبب **أنه يشترك فيها علمان رئيسان: علم اللغة وعلم الاجتماع ويوازيهما نمطان من علماء كل علم**، وكذلك تصور بعض الباحثين أنه توسيع لهذين العلمين.

-مرور اللسانيات الاجتماعية بإرهاصات مهدت لظهور اسم المصطلح في أواخر سنوات القرن الماضي، فلم يكون وليد هذا العصر.

-قضايا اللسانيات الاجتماعية يلمح فيها تداخل التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع، فالقضايا جزء منها يتعلق بدراسة أثر اللغة في المجتمع والجزء الآخر دراسة أثر المجتمع في اللغة.

-اللسانيات الحديثة قد وضعت أطرًا ومعايير للقضايا التي يمكن أن تدرس في نطاق اللسانيات الاجتماعية بشكل أكثر تفصيلًا وأكثر ترتيبًا ووعيًا.

-جهود القدامى في مجال اللسانيات الاجتماعية تفصح عن فهم ودراية للتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع وهي قريبة مما درسها المعاصرون إن لم تكن أكثر دقة في أبوابها.

قائمة المصادر والمراجع:

1.إفيتش، ميلكا. (2000م). اتجاهات البحث اللساني (ط2). (ترجمة: سعد مصلوح، ووفاء كامل) القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

2.الأوراغي، محمد. (2002م). التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. الرياض: منشورات كلية الآداب.

3.بشر، كمال. (1997م). علم اللغة الاجتماعي. القاهرة: دار غريب.

4.بكال، صونية. (2004م). الازدواجية اللغوية. تأليف صالح بلعيد، اللغة الأم. الجزائر: دار هومة.

5.بلعيد، صالح. (2001م). دروس في اللسانيات التطبيقية. الجزائر: دار هومة.

6.بورنان، عمر. (2004م). تخطيط السياسة اللغوية. تأليف صالح بلعيد، اللغة الأم. الجزائر: دار هومة.

7.بوفرة، عبد الكريم. (9 سبتمبر, 2015م). علم اللغة الاجتماعي، شبكة الألوكة الإلكترونية:

https://www.alukah.net/literature_language/0/91410/%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%85%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A-word/

8.بو قربة، لطفي. (2003م). محاضرات في اللسانيات الاجتماعية. الجزائر: مركز جامعة بشار.

9.ابن جني أبو الفتح عثمان. (د.ت). الخصائص. (تحقيق: محمد علي النجار)، القاهرة: المكتبة العلمية.

10.حجازي، محمود فهمي. (1994م). البحث اللغوي. القاهرة: دار غريب.

11.حمداوي، جميل. (2002م). اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي (ط2). تطوان: دار الريف.

12.ابن خلدون، عبد الرحمن. (2001م). تاريخ ابن خلدون المسمى العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. (تحقيق: خليل شحادة)، بيروت: دار الفكر.

13.الخولي، محمد علي. (1982م). معجم علم اللغة النظري. بيروت: مكتبة لبنان.

14.دوبيكير، لويك. (2015م). فهم فريديناند دو سوسور وفقا لمخطوطاته. (ترجمة: ريما بركة) بيروت: المنظمة العربية للنشر.

15.دوركايم إميل. (1988م). قواعد المنهج في علم الاجتماع (ط2). (ترجمة: محمود قاسم) الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

16.الراجحي، عبده. (2012م). اللغة وعلوم المجتمع. طنطا: دار الصحابة للتراث.

17.الزبيدي، محمد بن الحسن الأندلسي. (1984م). مقدمة طبقات النحويين واللغويين. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) القاهرة: دار المعارف.

18.زكريا، ميشال. (1993م). قضايا ألسنية تطبيقية دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية. بيروت: دار العلم للملايين.

19.زيان، محمد. (2018م). إسهامات أنطوان ماييه ووليام لابوف في علم الاجتماع اللغوي. المجلة العربية في علوم الإنسانية والاجتماعية، مج 10، (ع 4)، الصفحات 383-374.

20.السيد، صبري إبراهيم. (1995م). علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

21.السيوطي، جلال الدين. (1986م). المزهر في علوم اللغة. (تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين)، بيروت: المكتبة العصرية.

22.شتا، السيد علي. (1996م). علم الاجتماع اللغوي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

23.صبولسكي، برنار. (2010م). علم الاجتماع اللغوي. (ترجمة: سنقادي عبد القادر) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

24.عبد التواب، رمضان. (1997). المدخل إلى علم اللغة (ط3). القاهرة: مكتبة الخانجي.

25.عفيفي، السيد. (1995م). علم الاجتماع اللغوي. القاهرة: دار الفكر العربي.

26.العناتي، وليد. (2010م). نهاد الموسى وتعليم اللغة العربية رؤى منهجية. عمان: دار جرير.

27.عياد، سامي، وجريس، نجيب. (1997م). معجم اللسانيات الحديثة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

28.ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (د.ت). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. (تحقيق: السيد أحمد صقر)، القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي.

29.فاسود، رالف. (2000م). علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. (ترجمة: إبراهيم الفلاي) الرياض: جامعة الملك سعود.

30.فندريس، جوزيف. (د.ت). اللغة. (ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

31.فوزي، مها. (2009م). الأنثربولوجيا اللغوية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

32.كالفي، لويس جان. (2006م). علم الاجتماع اللغوي. (ترجمة: محمد يحياتن) الجزائر: دار القصبة.

33.كوراني، أليس. (2013م). اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجًا). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

34.كولينج، نيفيل. (2001م). الموسوعة اللغوية. (ترجمة: محيي الدين حميدي، وعبد الله الحميدان) الرياض: مطبوعات جامعة الملك سعود.

35.المجيول، سلطان. (2007م). نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين. رسالة ماجستير. الرياض: جامعة الملك سعود.

36.محسب، محيى الدين عثمان. (1991م). علم الاجتماع اللغوي. مجلة الفيصل (ع178)، الصفحات 45-44.

37.نهر، هادي. (1988م). علم اللغة الاجتماعي عند العرب. بغداد: مطبوعات الجامعة المستنصرية.

38.نهر، هادي. (2009م). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. إربد: عالم الكتب.

39.هدسون، ريتشارد. (1990م). علم اللغة الاجتماعي. (ترجمة: محمود عياد) القاهرة: عالم الكتب.

40.هلبش، جرهارد. (2007م). تطور علم اللغة منذ عام 1970. (ترجمة: سعيد بحيري) القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

41.وافي، على عبد الواحد. (1983م). اللغة والمجتمع. جدة: مكتبات عكاظ.

42.وافي، علي عبد الواحد. (2004م). علم اللغة (ط9). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

43.ياقوت، محمود سليمان. (2002م). منهج البحث اللغوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية

أ. فدوى إبراهيم ثابت*

*محاضر بكلية الآداب والعلوم قمينس- جامعة بنغازي

ملخص

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير من اصطفى وأرسل ، بلسان عربي معجز مبين وبعد
فهذا ملخص لدراسة بعنوان :
(محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية)
أهداف الدراسة:
ترصد الدراسة المحاولات الجادّة التي قام بها النقاد المحدثون للتقريب بين البلاغة والأسلوبية، مما يُنتج البلاغة في صورتها الجديدة التي طمح النقاد في العصر الحديث إليها؛ لتكون بديلا عن الأسلوبية الغربية؛ وعلما مضا هيا لها ذا مرجعية عربية، و منهجاً صالحا لمقاربة النصوص الأدبية العربية.
مشكلة البحث :
يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الآتية
-متى بدأت محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية ؟
-علام ارتكزت تلك المحاولات؟
-ما نتائج تلك المحاولات؟
الدراسات السابقة:
كثيرة ومتنوعة أذكر منها :
-البلاغة والأسلوبية ،محمد عبد المطلب .
-البلاغة الجديدة ،محمد العمري.
-اللغة بين البلاغة والأسلوبية ،مصطفى ناصف.
-البلاغة والأسلوبية ، يوسف أبو العدوس.
و غيرها كثير.
هيكل الدراسة:
جاءت الدراسة في خمسة مطالب هذا بيانها :
التمهيد : وفيه عرض للدعوات الأولى للتجديد في الدرس البلاغي .
المطلب الأول : محاولة عبد السلام المسدي.
المطلب الثاني : محاولة تمام حسان.
المطلب الثالث : محاولة حمادي صمود .
المطلب الرابع : محاولتا شكري عياد ومحمد عبد المطلب.
المطلب الخامس : محاولة محمد العمري.
ثم خاتمة جملت نتائج الدراسة لحقتها قائمة بمصادر الدراسة ومراجعها .
واتبعت الدراسة المنهج الوصفي المقارن.
الكلمات المفتاحية :الجديدة، الحديثة، الاتفاق الاختلاف ،علم الأسلوب ،علم النص.

Attempts to bring rhetoric and stylistics closer together

Ms. Fadwa Ibrahim Thabet *

* Lecturer in Faculty of Arts and Sciences - Qemnes -University of Benghazi

Summary

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful, and peace and blessings be upon the best of those chosen and sent, with an eloquent and miraculous Arabic tongue.

This is a summary of a study titled:

"Attempts to Bridge Rhetoric and Stylistics"

Study Objectives:

The study examines the serious attempts made by modern critics to bridge the gap between rhetoric and stylistics. These efforts aim to present rhetoric in its renewed form, envisioned by contemporary critics as an alternative to Western stylistics and as an equivalent science with an Arabic reference, providing a suitable methodology for analyzing Arabic literary texts.

Research Problem:

-The research problem can be framed in the following question:

-Can the new rhetoric, as defined by modern Arab researchers and critics, replace stylistics?

Previous Studies:

There are numerous previous studies, including:

-"Rhetoric and Stylistics" by Mohammed Abdel-Muttalib.

-"New Rhetoric" by Mohammed Al-Omari.

-"Language Between Rhetoric and Stylistics" by Mustafa Nassif.

-"Rhetoric and Stylistics" by Youssef Abu Al-Adous.

-And many others.

Study Structure:

The study is organized into five main sections:

-Introduction: An overview of the initial calls for renewal in rhetorical studies.

-First Section: The attempt of Abdel Salam Al-Masdi.

-Second Section: The attempt of Tammam Hassan.

-Third Section: The attempt of Hammadi Sammoud.

-Fourth Section: The attempts of Shukri Ayad and Mohammed Abdel-Muttalib.

-Fifth Section: The attempt of Mohammed Al-Omari.

-The study concludes with a summary of the findings, followed by a list of sources and references.

-The study adopted the descriptive comparative approach.

Keywords: new, modern, agreement and difference, Stylistics ,text science

محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية

تمهيد

تتوقف الدراسة عند المحاولات المبكرة المبدئية التي تنبهت إلى قصور البلاغة العربية القديمة عن الإحاطة بالنص الأدبي من جميع جوانبه.

فبعد أن تكاملت البلاغة على يد السكاكي وشرّاح المفتاح تلخيصا وتوضيحا وإضافة وتنظيما ،فبلغت شأنا لا يستهان به وظلت المثال الذي يحتذى؛ فدارت الدراسات في فلكها على مدار ستة قرون لا تكاد تتزحزح عنه قيد أنملة، لكن مع بداية البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي من مصر إلى أوروبا ،مما أتاح للمبتعثين من العرب الاطلاع على الآداب الأوروبية وما حدث من تطور وتجديد في المناهج النقدية الأوروبية نتيجة للثورة على المناهج القديمة في أوروبا ،التي تتناول النصوص الإبداعية ومنها البلاغة ،تغيرت النظرة إلى البلاغة العربية القديمة، وبدأت الإشارة ممن اطلعوا على المناهج النقدية الجديدة في أوروبا إلى قصور البلاغة العربية القديمة، وذلك يعود إلى النظرة الجزئية التي تنظر منها إلى الآثار الأدبية.

لقد وصلت بعض مؤثرات تلك الثورة مع بداية القرن العشرين حيث وفدت إلى البلاد العربية تلك اللمحات التجديدية وتعدد المنادون بها ومع تعددها إلا أنها ظلت محدودة الأثر « ،و لعلّ أوّل دعوة لتجديد البلاغة العربية كانت من لدن الأديب السوري جبر ضومط (ت 1930 م) في كتابه (الخواطر الحسان في المعاني و البيان) الذي أصدره سنة 1896 م , و فيه دعوة صريحة إلى نظرة بلاغية شمولية تهم النص الأدبي بدل الاقتصار على بلاغة الجملة ، ثم ألف كتابا آخر هو فلسفة البلاغة سنة 1898 م , بيّن فيه الطرق التي تساعد على جعل اللغة آلة لنقل الأفكار بطريقة سهلة مبنية على الاقتصاد على انتباه السامع» (لطروش ، 2016 : 107)

ولعل من العلامات الفارقة في تلك المحاولات التجديدية المبكرة محاولة أحمد الشايب في كتابه « الأسلوب « ،لقد نظر إلى النتاج الأدبي على أنه كل متكامل أي أسلوب فتجاوز بنظرته هذه من سبقه من المجددين ورأى أن هناك مناهج نقدية وبلاغية جديدة وجديرة بالدراسة والتطبيق، وذلك في كتابه الذي ألّفه في وقت مبكر من القرن العشرين وتحديدا في عام1939 م، حيث أشار في مقدمته وتحديدا في مقدمتي الطبعتين الأولى والرابعة إلى طبيعة تلك المناهج، فدعا إلى الانفتاح على المناهج الأوروبية وما طرأ عليها من تغيير لمواكبة التجديد عندهم وعند العرب، وبخاصة بعد أن أصبحت البلاغة القديمة قاصرة عن الإحاطة بالأدب العربي، الذي أخذت تتسع مشاربه فضلا عن قصورها عن الإحاطة بالأدب العربي القديم «ويقوم هذا المنهج على ملاحظة أنّ الدراسة النظرية للبلاغة العربية انتهت عند المتقدمين إلى علوم المعاني والبيان والبديع ،يدرسون في الأول الجملة منفصلة أو متصلة ،ويدرسون في الأخيرين الصورة البسيطة أو المركبة من تشبيه ومجاز وكناية ،وحسن تعليل مع توابع أخرى في علم البديع وهذه الدراسات على خطرها لا تستوعب

أصول البلاغة كما يجب أن تكون، لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه» (الشايب ،1991 : 3،4)

ومن هذا المنطلق جاء عرضه لمادة كتابه بطريقة جديدة لقد حمل الكتاب دعوة تجديدية ،سواء من حيث طريقة العرض أم من حيث الدعوة الصريحة لجيل الشباب أن يتصدوا لهذه الدعوة التجديدية التي دعا إليها مبكراً ،ونبعت من إحساس بقصور البلاغة التقليدية عن مسايرة أصناف الإبداع الأدبي ،ولكن هذه المحاولة على أهميتها ظلت محاولة لم تشهد تطورا فعليا.

وتتالت دعوات التجديد ومن أهمها دعوة أمين الخولي «و يرى النقاد أن الخولي خطا في هذا الكتاب بالبلاغة العربية خطوة تالية لخطوات السابقين، فقد درس الصلة بين البلاغة و الفنون الجمالية الأخرى ،و دعا إلى تنسيق العناصر الأدبية تنسيقاً يؤلف منها مجموعة متحدة متناسقة محاولا إقامة الدرس البلاغي على أساس وجداني ذوقي إذا فهي درجة من درجات التجديد بالالتفات إلى التذوق (السابق :108،109)

ولا تكاد محاولة دكتور شوقي ضيف تذكر في مجال التجديد ،فهي لم تتعد التأريخ الأدبي للبلاغة العربية ،البدايات والمؤلفات ، وإن شابتها بعض النصائح المنثورة بضرورة التجديد، فكتابه الذي يحمل عنوان «البلاغة تطور وتجديد « لم يشهد من التجديد سوى الدعوة وظل في مجمله تتبعاً لتطور البلاغة العربية من البذور والنشأة ، وحتى كتاب «المفتاح « و ما دار في فلكه، وقد جاءت هذه الدعوة في تعقيب جعله بعد خاتمة كتابه الذي أصدره عام 1965 م ،حيث دعا إلى تطوير البلاغة بما يتلاءم مع التطور الذي شهده الأدب العربي في العصر الحديث إذ يقول:» وهذا التطور الواسع لأدبنا في شكله و مضمونه و أساليبه و فنونه حريٌّ أن يقابله تطور في بلاغتنا بحيث تصور فنوننا الشعرية و النثرية و أساليبها المتنوعة , و بحيث تكون صورة صادقة لحياتنا الأدبية الحديثة . و ليس معنى ذلك أن نهمل تراثنا البلاغي القديم , إنما نهمل منه الأصداف العاطلة عن الدلالة و خاصة في فنون البديع ...» .(ضيف ، 1995 : 278)

المطلب الأول: محاولة عبد السلام المسدي :

مع ظهور المناهج النقدية الحديثة في النقد الغربي وعلى رأسها الأسلوبية ووصولها إلى ساحات النقد العربي،أخذت النقاشات تدور حول البلاغة وعلاقتها بالأسلوبية ومن الدراسات المبكرة في هذا الشأن دراسة عبد السلام المسدي، « الأسلوبية والأسلوب «التي صدرت طبعتها الأولى عام 1977 م وناقش فيه من ضمن ما ناقش العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبية الغربية؟

والكتاب يحمل نظرة ثاقبة إلى هذا الوافد الجديد، فهو يرى أن الأسلوبية اكتشفت منهجا مستحدثا ،تتناول به المادة تناولاً جديدا (المسدي ، 1982 : 6،7)

حيث أشار في أكثر من موضع من كتابه إلى تلك الآراء التي تقرر أنّ الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، ولكن من دون تسليم أو رفض، فهو يطرح نقاط الاتفاق والالتقاء، بموضوعية منطقية، ويقرر اتفاقهما في :

-القاعدة الأولية التي تخص الظاهرة اللغوية، فالبلاغة تلتقي مع الأسلوبية في التفكير الإنساني عامة ،وحدودها لا تستقيم إلا إذا سلمت بسعي الإنسان لإدراك التبليغ الأكمل ،بعد أن سلب القدرة على الكلام المعجز(السابق :37)

- بينهما تقاطع لا يستهان به فيما اصطلح على تسميته «مستويات التحليل الأسلوبي"، أو الجانب الإجرائي الذي تتفقان في مادته (اللغة) إذ تنطلق كل تلك المستويات من لغة النص مما يجعل من الأسلوبية وغيرها من اللسانيات «تمثل محورين متعامدين، طولاً وعرضاً ،ويأتي علم النحو ليحسم فيخرق حقول التداخل والتباعد ،ليصبح مركز ثقل يستقطب جاذبية الأسلوبية على نوع ما من التناظر «(السابق :53)

وبهذا فنحن أمام نوع من التساوي و التقارب، اتفاق في القاعدة الأولية التي تخص الظاهرة اللغوية، التي هي حصيلة نوعين من الضغوط هما:

-الاستجابة لضغط الدلالة وهذا عدته رصيد معجمي.

-الاستجابة لضغط الإبلاغ وهنا يبرز دور قوانين النحو، التي تنظم العلاقة بين مقاطع الكلام ،وهذا ما تقوم عليه الأسلوبية (السابق : 56)

-ولكن نقاط الاختلاف موجودة فعلا وهي تتجاوز العلم ومادته إلى محيطه وقد بلغت دراسة المسدي مبلغا من النضج في الجانب النظري جعلته يرصد مظاهر ذلك الاختلاف الذي تتضح في:

-المنطلقات: فالبلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، ويسعى إلى تعليم مادته، وموضوعه علم البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية ولا تسعى إلى غاية تعليمية (السابق : 52،53)

-الأهداف: البلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية، فهي تضع المقاييس قبل وجود العمل والأسلوبية تسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية، بعد أن يتقرر وجودها فهي تتجه اتجاهاً اختيارياً، فتنظر إلى الآثار من خلال وجودها، فالأثر الفني يعبِّر عن تجربة فنية معيشة فرديا في المقاربة الأسلوبية . (السابق : 53،54)

-التطبيق أو الإجراء: البلاغة تفصل بين الشكل والمضمون، في الخطاب اللساني، بينما تنأى الأسلوبية بنفسها عن الفصل بين الشكل والمضمون أي الدال والمدلول فهي تنفذ من خلال الدال، الشكل أي اللغة إلى المدلول . (السابق : 53)

و يتخذ المسدي في دراسته، موقفاً وسطاً بينهما وإن كان أميل إلى الأسلوبية منه إلى البلاغة التقليدية بوصفها ذات أصول معرفية راسخة، و أكثر قربا من العمل الإبداعي، كما أنه أخذ على بعض النقاد العرب، عدم الفصل بينهما مع محاولة إخضاع البلاغة للأسلوبية، وصرح في منطقية واضحة، أنّ البلاغة والأسلوبية وإن كانت مادتهما واحدة ،وأدواتهما كذلك، إلا أنه لا يصح أن تحل إحداهما محل الأخرى، فهما

تتقاطعان، ففي الأسلوبية ما ليس في البلاغة وفي البلاغة ما ليس في الأسلوبية، وغاية علم النص منهج متكامل (السابق:53-50)

المطلب الثاني: محاولة تمام حسان.

موقف عبد السلام المسدي لم يؤد إلى توقف الدعوات إلى وجود بلاغة جديدة تضاهي الأسلوبية الغربية، ومن تلك الدعوات التي تصدرت المشهد النقدي دعوة تمام حسان، وهي من المحاولات الرائدة المتزنة وجاءت في مقالة نشرها عام 1984 م بعنوان:» المصطلح البلاغي القديم، في ضوء البلاغة الحديثة «.

والعنوان يشير صراحة إلى الإحساس بإشكالية التجديد في البلاغة وقد حاول من خلال المقالة أن يجمع بين التراث والمعاصرة فيما أطلق عليه البلاغة الحديثة، وكأنه يستقي من التراث بلاغة حديثة يريدها أن تكون بديلاً عن البلاغة القديمة وفي الوقت نفسه مواكبة للمناهج البلاغية الوافدة، فعرض البدايات الأولى للبلاغة العربية فكانت على» يد المشتغلين بتحديد الفصاحة، وأصحاب القول في إعجاز القرآن الكريم ،والمشتغلين بالمجاز في القرآن الكريم ،والمعتنين بقواعد الشعر، وأصحاب الأما لي وبعض الموسوعيين من أعلام الأدب وأصحاب القول في البديع « (حسان ، 2006 : 141/2)

إذا فأصول البلاغة عنده شاملة عامة لا يتفلت منها أصل من أصول علوم العربية، ولكنه عندما يتحدث عن منهجها لا يخلو حديثه من لهجة منتقدة، لمنهج البلاغة الذي لا يتعدى النص ولا يبيح الخروج على القواعد ،مما جعلها» منهجا تعليميا معياريا ،لا علميا وصفيا « (السابق : 142)

وهذا الانتقاد يتضح أكثر في حديثه عن الدراسات اللغوية الحديثة وربطها اللغة بالعلوم الإنسانية، مما هيأ لظهور دراسات أسلوبية تختلف تماما عن معيارية البلاغة القديمة، حيث تبنى نتائجها على دراسة الوقائع الأسلوبية في النص، ومن هنا أعطاها استحقاق أن تسمى «البلاغة الحديثة « (السابق: 142) وهو لا ينادي بأن تكون وريثة للبلاغة القديمة، وإنما يرى أن تكون علماً جديداً صالحاً لدراسة الأسلوب وأطلق عليها البلاغة الحديثة.

وبعد أن عرض لحدود علم الأسلوب الحديث استعرض المصطلحات البلاغية المعروفة من الفصاحة والبلاغة وأقسام البلاغة، فقام بعرض النشأة والمفهوم وبعض التطبيقات الموافقة لما يرمي إليه من الإشارة إلى القاعدة المشتركة بين البلاغة وعلم الأسلوب . (السابق:154،155)

ومن ذلك عرضه فكرة الانحراف في علم الأسلوب، أو التوسع أو الترخص أو الضرورة، والعدول ومراعاة حال المخاطب عند علماء البلاغة، وهكذا يمضي إلى عرض المصطلحات رابطا بينها، وبين تقنيات الأسلوبية ،(السابق: 160،161)

وفي آخر المقال يصرح بالبعد بين البلاغة والأسلوبية، عندما يعقب على بيت المتنبي:

ويمشي به العكاز في الدير تائباً وقد كان يأتي مشي أشقر أجردا (المتنبي ،2007 :294)

« فعناصر الصورة، هي ملك الروم والعكاز والمشي و الدير و التوبة، التي تدل على ضعف بعد قوة... ولما كان الإيقاع والتنغيم والتصوير مسرحاً محتملاً للاختيار والانحراف، كان على البلاغة أن تتأمل تأثير هذه الأمور، حين تتحول إلى مؤشرات أسلوبية، ولكن البلاغة عربية وغير عربية لم تصادف دراسة علمية حاضرة لهذه الحقول « . (حسان :181)

وكما اتضح من بداية المقال فما يصلح لدراسة النص هو علم الأسلوب أو البلاغة الحديثة، وهي من وجهة نظره البديل النموذجي للبلاغة القديمة، لمقاربة النصوص وقد تتبع ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح البلاغة الحديثة في التراث البلاغي القديم .

المطلب الثالث: محاولة حمادي صمود.

تعد رؤية حمادي صمود من المحاولات التأصيلية لإيجاد بلاغة جديدة تحتوي القديم وتضيف إليه متجاوزة نواقصه وعيوبه، وتلك المحاولة رؤية رائدة لهذا التجديد، حملت وعيا بالإشكالية القائمة ،فقد تنبه إلى أن كل المحاولات السابقة اهتمت بدراسة التراث البلاغي تاريخيا دون النظر إلى التطور الذي وصلت إليه البلاغة في الغرب ،لذلك توجهت دراسته هذه إلى التطور التاريخي للأفكار البلاغية إلى جانب الرصد التاريخي للمؤلفات وما فيها من قضايا مطروحة، دراسة تؤسس للانطلاق لوضع منهج جديد لدراسة الأدب، وذلك لقصور البلاغة عن دراسته ،في عصر شهد تطور العلوم ومنها علم النص على حد تعبيره، فالمؤلفات البلاغية قبله «غاب عنها ما يعرف بجدلية التراث والحداثة فكان تصديها لدراسة التفكير البلاغي في الغالب من منظور أحادي البعد،لا يرتقي إلى مستوى النقاش الجوهري المطروح في أغلب التيارات النقدية الحديثة ،والدائر حول إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللسانيات أو عدم إمكانية ذلك، وبالتالي الإقرار بموت البلاغة وقيام الأسلوبية بديلا عنها.»(صمود ،1981 : 11)

ومن هنا جاءت قراءته للتراث، من منطلق التفاعل بينه وبن الحداثة، قصد فهمه، ومقاربته لمظاهر المعاصرة وهو- كما يرى- أمر محفوف بالمخاطر فالمعاصرة التي يحاول الاقتراب منها تختلف في «منابتها وتياراتها الأيديلوجية عما هو في البلاغة العربية « (السابق :ص11)

وهذا ما يمكن أن يسمى منطلقات، فمنطلقات الأسلوبية المعاصرة اللغة ثم اللغة ،أما البلاغة فمنطلقاتها إرث غزير من اللفظ والمعنى وما يندرج تحتهما من العلاقات ،لذلك «فكل تراث له خصوصيته ومن هنا يجب التزام الحذر عند الحديث في العلاقة بينهما» (السابق :12)

والكتاب بهذا التصور رؤية شاملة عميقة فاحصة ،لمؤلفات البلاغة القديمة، رؤية واعية تتجاوز التأريخ للتأليف البلاغي، إلى تاريخ البلاغة وتطور قضاياها فيسلط الضوء على المؤلفات البلاغية، ويلتقط منها

ما يتقاطع مع المناهج الحديثة، فهو مثلا عند حديثه عن نص من كتاب الكامل يتحدث فيه المبرد عن التشبيه فيتعمق في تحليله ،وينفذ إلى عمق لم يسبق إليه وفيه تتبدى الوحدة المعنوية للتشبيه مع تعدد الدلالات للتشبيه الواحد مما يتيح تعدد طرائق الفهم ويطلق على هذا الأمر مصطلح المُعنَم وهو بعد أن ينقله يعقب عليه بقوله : « والمتتبع للحركة اللغوية المعاصرة ،يلاحظ أن فكرة «المعنم «كانت من أهم مكتسبات علم المعاني البنيوي، لأنه مدّ الباحثين بمفهوم إجرائي، يسمح بتدارك المسافة الفاصلة، بين علم المعاني ،وعلم الأصوات، ووظائف الأصوات التي اهتدت منذ وقت مبكر إلى الأجزاء المكونة للكلمة انطلاقاً من السمة المميزة، وقد تبنت حركات الإحياء البلاغي في أوروبا هذه المفاهيم وفي الكامل من هذه الشيء الكثير « (السابق :364،365)

لقد أحاط حمادي صمود بالمؤلفات البلاغية القديمة إحاطة جعلت دراسته تتعمق نقاط الالتقاء بين البلاغة والأسلوبية ، فتلتقط تلك الإشارات وتسلط الضوء عليها الأمر الذي جعل من دراسته مرتكزا للدراسات التي تلته فكانت من اللبنات التي وضعت في صرح البلاغة الجديدة .

المطلب الرابع: محاولتا شكري عياد ومحمد عبد المطلب.

هذا المطلب جمع بين محاولتين متشابهتين وهما محاولتان عجولتان لم تتأنيا في الوقوف عند نقاط الالتقاء و الاختلاف بين البلاغة و الأسلوبية ،كما لم تتعدّيا التقديم لبعض النصوص التي تناولاها بالتحليل الأسلوبي و منها ما كان موجها لطلاب المرحلة الجامعية .

الأولى :محاولة شكري عياد ففي بدايات العقد الأخير من القرن العشرين تأتي دراسة شكري عياد وهي دراسة عابرة لم تتتبع نقاط التقارب والتباعد بعمق وإنما حاول في عجالة الربط بين البلاغة والأسلوبية من حيث الهدف أو الغاية ، فالأسلوبية تسعى لتقديم صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وهذا نفسه ما يصفه علم البلاغة وقبل ذلك أشار إلى ما يعرف بمقتضى الحال (الموقف)، ولكنه عاد ليفرق بينهما وفي عجالة أيضا . (عياد ،1993 :43)

الأخرى: محاولة محمد عبد المطلب، وفيها حاول أن يتلمس بعض تقنيات الأسلوبية في التراث البلاغي العربي، وبخاصة عند عبد القاهر الجرجاني، فأخذ يلاحق مستوياتها من خلال نظرية النظم، وكذلك عند السكاكي من خلال علم المعاني، وما فيه من عناية بالمتلقي، وتنوع طرائق إلقاء المعنى بأشكال مختلفة. (عبد المطلب ،1994 :258)

المطلب الخامس: محاولة محمد العمري.

أما تجربة العمري فتجربة عميقة متفردة و يأتي تفردها من تنوعها فقد بدأت بالترجمة المتفحصة لكتاب «البلاغة والأسلوبية» ل»هنريش بيليت «ثم من تأليفه لكتاب «البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها « وبعد ذلك مؤلفه «البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول».

و في تقديمه لترجمة كتاب « البلاغة والأسلوبية «وهي ترجمة نُشرت عام 1999م ولكن في أصلها الفرنسي نُشرت عام 1981م ظهر ميله لما ينادي به مؤلف الكتاب من حديث عن البلاغة الغربية القديمة، حيث وقف منها موقفا محايدا، فعارضها وقاربها بالأسلوبية ثم حاول أن ينفي منها مالا يتوافق مع الأسلوبية التي استمد عناصرها من البلاغة الغربية القديمة، مع محاولة لجمع المتفرق، ودمج المجزأ ليخرج بنموذج هو أقرب إلى علم النص ،حيث يتحدث عن ذلك فيقول:» فالبلاغة التي يسهم المؤلف في بنائها هي علم النص بمعناه الحديث « (بيليت ،1999 : 16)

وهذا ما عبّر عنه فان ديك بقوله :» إن علم النص بناء على ذلك يلتقي مع البلاغة، ويمكن القول :بأنه أصبح ممثلا معاصرا لها» (السابق : 16)

وبهذا المعنى فالبلاغة عنده لا تقف عاجزة أمام أي نص من النصوص القديمة والحديثة ،بل هي قادرة على مقاربتها وتلمس مواطن الإبداع فيها دون تسلط أو تعسف أو أحكام مسبقة (السابق : 23،24)

ثم يبين ملامح مؤلَّفه بقوله:»ينضوي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة، تستوعب إنجازات البلاغة القديمة، وتستفيد من اجتهادات الأسلوبية الحديثة، محاولة تجاوز جوانب النقص فيهما باقتراح نموذج سيميائي يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول (السابق :11)

وبذلك فالنموذج الذي استلهمه هنريش هو نموذج ش موريس الذي ميز فيه بين:

1.انزياح في التركيب (العلاقة بين البدائل)

2.انزياح في التداول (العلاقة بين الرسالة والمرسل والمتلقي).

3. انزياح في الدلالة (العلاقة بين الدليل والواقع) (السابق: 13،14)

وهو النموذج الذي قدمه هنريش بيليت بديلا عن البلاغة القديمة، وميزته أنه:

-يستوعب جميع صور البلاغة المعروفة.

-يتيح فرصة الكشف عن صور جديدة.

-البعد التداولي له يبعده عن انتقادات عدم الملاءمة وعدم الاستيعاب اللذين أخذا على الشعرية البنيوية (السابق : 14،15) ثم جاءت تجربة العمري الخاصة ، في دراسته التي بعنوان :»البلاغة العربية أصولها وامتداداتها «.

وكانت أكثر وعياً بالمشكلة القائمة بين القديم والجديد في البلاغة وقد ذكر أن ما دعاه إلى التأليف:

-داعٍ عام واقعي تاريخي، يتصل بقلة ما أنجز من دراسات في هذا المجال، وأنّ ما أنجز في مجال تاريخ البلاغة بالتحديد دراسات جزئية تتناول ظواهر أو قضايا ولكنها مجزأة، وتحتاج إلى جمع في قاعدة تمثل بناء يلم شتاتها . (العمري ،1999 :7)

-أما الداعي الخاص القرائي، فهو منهاجي صرف «ذلك أن تغير المعطيات التي نمتلكها والإمكانيات التي نسخرها، وتغير الأسئلة المطروحة على الأدب، يجعل من اللازم إعادة الكتابة كلما تغيرت شروط القراءة وظروفها « (السابق:7)

وهما إيماءة ألقاها في مقدمة كتابه بنى عليها غرض الدراسة، رام منه أهدافا يحققها، وفيما يبدو هي أغراض الأسلوبية ذاتها، وهذا العرض جمع فيه أطراف المشاريع والمنجزات البلاغية والنقدية التي رأى وجوب تكاملها، لتكون قادرة على القيام بمهمتها الجديدة وهي: بديلة الأسلوبية.

لقد حاول من خلال عرض محايد للمؤلفات البلاغية القديمة، بيان ميزاتها ،وما شرعت فيه ،وما أنجزته فعليا ،حتى يصل في ختام الكتاب إلى ما أطلق عليه البلاغة المعضودة بالمنطق والنحو ،وأشار إلى أنّ لفظ (معضودة) هو لفظ حازم القرطاجني (القرطاجني ،2008م : 263) ،حيث جاء في نهاية كتابه، وهنا تلمح محاولة من العمري ،لجعل كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) بما اختزنه من مرجعيات ،مشروعاً متكاملاً لبلاغة جديدة تضاهي الأسلوبية، مشروعا طمح إليه في بداية كتابه، فقد حاول إيجاد القسم الأول من كتاب المنهاج ، وكأنه بهذا الصنيع يتوقف عند تجربة هنريش بليث، التي سبق وترجمها وطرحها وقدم لها يؤازره في ذلك قناعة « بأن البلاغة العربية، وسع بكثير من هذا اللباس الضيق الذي حشرناها فيه عندما حكّمنا فيه قراءة واحدة هي قراءة السكاكي ثم المراغي « (السابق :6)

لقد برر تجاهل حازم القرطاجني ابن رشد والجرجاني بأن هدفه :»استنباط قوانين كلية، تستوعب الشعرية في الشعر العربي ،ولهذا لا ينبغي أن نطلب لديه الخوض في التفاصيل الجزئية « (السابق :499)

كما انحاز للتراث ولكن وفق رؤيته الخاصة «إن عمل اللغويين القدماء الذين ألفوا في مجال مجاز القرآن ،وضرورة الشعر داخل إطار التوسع في اللغة ،يلتقي مع عمل الشعريين والأسلوبيين المحدثين ،في قيامه على استكشاف مالم يستوعبه النحو وما لم تستوعبه المعايير المنطقية الصغرى « (السابق : 22)

ومن هنا أشاد العمري بالسبق البلاغي الذي حققه عبد القاهر الجرجاني في مجالات عدة من خلال كتابيه :الدلائل والأسرار، حيث تجاوز زمنه، إلى الزمن الحاضر بتحليله وتفسيره الذي تخطى فيه مستوى المفردة والجملة إلى مستوى النص . (السابق: 31 ،32)

وعندما تحدث عن مشروع السكاكي عارضا تناوله المتعمق للصور البلاغية، ووعيه المبكر بما حول النص قال :»الأدب يساوي عنده في نظرنا ،الخطاب السليم الناجع ،من هذا المفهوم يتحدث السكاكي عن علم الأدب ،الذي نراه تصورا مبكراً لما يسمى حالياً علم النص»(السابق :481)

كما ترددت عند العمري مصطلحات علم الأسلوب من مثل العدول والانحراف والانزياح وذلك أثناء حديثه عن المحاولات المبكرة لبناء بلاغة عامة مشيراً إلى أن عمل الأسلوبيين كان مقصوداً موجهاً وكان لكل مصطلح معناه الواضح المحدد الأبعاد، أما القدماء فقد كانت تلك المصطلحات لا تزال في طور الاتساع اللغوي

وإن بدت مؤلفاتهم غنية بما يمكن أن يقارب علم الأسوب الحديث. (السابق)

ومع كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول تبرز عبارة « المجاز المكون الجوهري للبلاغة» (العمري ،2012: 6) حيث ناقش قضية المجاز وعلاقته بالاتساع ولم يتكلف التوفيق بين وجهات النظر المتعارضة بل تركها تعبّر عن نفسها دون بتر أو تكييف، والكتاب سعي حثيث لبناء نموذج بلاغي حي يتفاعل فيه القديم والجديد والنموذج الذي ارتضاه هو «البلاغة الجديدة» أي المدارس اللسانية الحداثية ، كالحجاج والخطابية و... غيرها» (السابق :7،8)

وكأنه بذلك يترجم فكرة أن البلاغة الجديدة هي البلاغة القائمة على المجاز بمعناه الواسع «الاتساع» ،الذي يتكيف بحسب النص الذي يقاربه فيصفه دون أن يصدر عليه حكما بالجودة أو الرداءة ،وهو بهذا المفهوم يعد مرادفا للأسلوبية في أرقى صورها ،و ليس له صفة محدودة تقيده ،وإنما هو تجاوز على مستويات عدة هي مستويات الأسلوبية اللسانية.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1.محاولات التقريب بين البلاغة والأسلوبية شكّلت إدراكا لضرورة الخروج من بوتقة القديم والانطلاق في رحاب الدراسات اللسانية الحديثة بما تحمله من إمكانيات متطورة في مقاربة النص.

2.البلاغة الجديدة أو الحديثة اسم تداوله نقاد هذا العصر في محاولة التقريب بين البلاغة العربية القديمة «بلاغة السكاكي ومن سبقه « وبين الأسلوبية، بوصفها علما جديدا انفتحت عليه الثقافة العربية في منتصف القرن العشرين تقريبا.

3.محاولات التقريب تلك، بدأت بالدعوة إلى تطوير الدرس البلاغي، ثم تلتها أخرى بقراءة للتراث البلاغي العربي، قراءة مستكشفة، فاحصة ممعنة ومقربة بينه وبين الأسلوبية ،عن طريق تلمس ما يمكن أن يكون رابطا بينهما.

4.البلاغة الجديدة والأسلوبية تتقاطعان وتختلفان في الوقت نفسه ،فمادتهما واحدة وكذلك أدواتهما، لكن منطلقاتهما وأهدافهما مختلفة ،فبذور الأسلوبية مبثوثة في التراث اللغوي والنقدي عند العرب، هذا التراث الذي استند عليه البلاغيون قديما وحديثا.

المصادر والمراجع

أولا الكتب:

1.بيليت ،هنريش ،البلاغة والأسلوبية ،نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،ترجمة وتقديم وتعليق :محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1999 م

2.حسان، تمام، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مقالات في اللغة والأدب، ج2،عالم الكتب ،القاهرة ،2006 .

3.الشايب، أحمد، الأسلوب، «دراسة بلاغية تحليلية لأصول الدراسة الأدبية «، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثامنة،1991 م .

4.صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،1981 م.

5.ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة ،1995 م.

6.عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية، بيروت، الجيزة ،1994 م.

7.العمري، محمد وقيدي، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ،مكتبة الأدب المغربي، أفريقيا الشرق، المغرب،2012 م.

8.البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،1999 م .

9.عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة، الجيزة ،1993 م.

10.القرطاجني، حازم ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس ،2008.

11.المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، الديوان، تحقيق: إسماعيل العقباوي، دار الحرم للتراث، القاهرة ،2007.

12. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة،1982م.

ثانيا : المقالات

1.لطروش، الشارف، قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 16،2016 م .

الواقعيَّة والاسميّة في مشروع محمد محمد يونس اللساني

م.م سعد رفعت سرحت*

* مديرية تربية صلاح الدين

الملخص

الواقعية والاسميّة مذهبان أنطولوجيان يتعلقان بالكليّات، فقد شغلت مشكلة الكليّات الفلاسفة قديمًا، لأنها تتعلق بالتصورات والأفكار وتنعكس على المعرفة، فالوجود الحقيقي في نظر الواقعيين هو الكلي الذي له وجودٌ واقعيّ، وهو وجود مفارقٌ سامٍ أسمى من الجزئي. أمّا الاسميون فعلى العكس يرون أنّ الكليّ مجرد لفظ لا يتشكّل الا بتحقيقاته في الواقع، فالوجود الحقيقي لديهم هو الجزئيّ، وما بين هذين المذهبين يتوسط المذهب التصوري.

يُعدّ الدكتور محمد محمد يونس عليّ أحد أهم مستقبلي اللسانيات الحديثة في العالم العربي، لا سيّما في حقل التداولية، أو كما يسميها هو بـ»علم التخاطب»، إذ تعدّ دراساته في هذا المجال من أهم الجهود الرائدة التي سعت إلى تأصيل الفكر التداولي في التراث الإسلامي، فهو أحد أولئك الذين مع طروحاتهم أخذ الباحثون يتطلعون _بثقة_ إلى وجود «علم تخاطب إسلامي» في تراثنا.

تنطلق هذه الدراسة من منطلق حضور ثنائية «الاسمية والواقعية «في مشروع محمد محمد يونس علي، بالنظر إلى أنّ كلتا النزعتين له أثر على طبيعة الفكر اللساني عامة والفكر التخاطبي خاصة. إنّ هذه الثنائية تشكّل في رأيه مفتاحا للدخول إلى النظرية اللغوية، فليس هناك توجه لساني إلّا وهو مستند إلى موقف أنطولوجي يتحكم في مساره، سواء أكان هذا التوجّه يتعلق بنظام اللغة كما عند سوسير وخلفائه، أم يتعلق باللغة في حال الاستعمال كما عند الفلاسفة التحليليين ومن بعدهم التداوليين.

ولعلّ هذه الثنائية كانت حاضرة في منظومة التراث الإسلامي، إذ كانت قراءات الدكتور يونس للتراث الإسلامي تنطلق من هذا المنطلق ذاته، بالنظر إلى كون «الموقف الكليات» مفتاحًا للدخول إلى النظرية اللغوية عند أسلافنا، وهنا يظهر جدوى هذا المنطلق الذي يجعل من ثنائية (الاسمية والواقعية) مدخلًا لمعرفة مدى قرب النظرية اللغوية في التراث الإسلامي من النظريات اللغوية المعاصرة في الغرب. لذا كانت قراءته قراءة حصيفة من شأنها أن تؤكّد أصالة النظرية اللغوية عند العرب من جهة، فضلًا عن قدرتها على إزالة اللبس عن أشياء كثيرة في تراثنا الزاخر.

Realism and nominalism in the project of Muhammad Muhammad Yunus al-Linguani.

Saad Rifaat Sarhat *

* Directorate Education of Salah Al-din

Abstract:

Realism and nominalism are two ontological doctrines related to universals. The problem of universals preoccupied philosophers in the past، because it relates to perceptions and ideas and is reflected in knowledge.

In the eyes of the realists، it is the totality that has a realistic existence، and it is the existence of a sublime difference that is higher than the particular. As for the nominalists، on the contrary، they see that the total is just a word that is formed only by its realizations in reality. For them، the real existence is the partial، and between these two doctrines the conceptual doctrine mediates.

Dr. Muhammad Muhammad Yunus Ali is considered one of the most important futurists of modern linguistics in the Arab world، especially in the field of pragmatics، or as he calls it the "science of communication"، as his studies in this field are among the most important pioneering efforts that sought to root pragmatic thought in the Islamic heritage. With his theses، the researchers began to look forward - with confidence - to the presence of an "Islamic rhetoric" in our heritage.

This study proceeds from the standpoint of the presence of the duality of "nominalism and realism" in Muhammad Muhammad Yunus Ali's project، given that both tendencies have an impact on the nature of linguistic thought in general and discourse thought in particular. It is based on an ontological position that controls its path، whether this orientation is related to the language system، as with Saussure and his successors، or related to language in the case of use، as with the analytical philosophers and after them the pragmatics.

Perhaps this duality was present in the system of Islamic heritage، as Dr. Yunus's readings of the Islamic heritage were based on this premise، as the "collegial position" constitutes a key to entering into the linguistic theory of our ancestors. In the Islamic heritage of linguistic theories in the West، and for this reason it was a prudent reading to confirm the authenticity of the linguistic theory of the Arabs، as well as its ability to remove confusion from many things in our rich heritage.

المقدمة

الحمدُ للّه، والصلاة والسلام على رسول اللّه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد

فإنّ للمرجعية الثقافية، والأصول الأنطولوجية والمعرفيَّة، أثرا في توجيه الدراسة اللسانيّة، فليس هناك توجّه لساني مبتوت الصلة بالمرجعيات الفلسفية، ولعلّ «مشكلة الكليّات «تشغل حيِّزا مهمًا في طبيعة المقاربة اللسانيّة، مع أنّها في الأساس مشكلة فلسفية تتعلق بموقف الفلاسفة من الكليات: أ لها وجود واقعي أم هي مجرد ألفاظ؟ أهي سابقة على الجزئيات أم الجزئيات هي التي تسبقها؟

شغلت هذه القضية فلاسفة اليونان قديمًا، فقد ذهب أفلاطون إلى واقعية الكليات حتى أفرط في إثبات وجهته، على حين ذهب تلميذه أرسطو إلى التخفيف من تلك النظرة، فبدلًا من أنْ تكون للكليات وجودًا مفارقًا في عالم آخر ذهب إلى إثباتها في الذهن فعُرِف مذهبه بالمذهب التصوري. على أنّ فلاسفة العصر الوسيط بالغوا في إنكار المثل الأفلاطونية فظهرت على أيديهم مذهب ينكر وجود الكليات ويجعل منها مجرد ألفاظ بولغ في مكانتها، حتّى سمّي مذهبهم بالمذهب الاسمي. نحن، إذن،

إزاء ثلاثة مذاهب غير أنّ الشائع في الأدبيات القديمة والحديثة هو دمج الثلاثة في ثنائية (الاسميّة والواقعيّة) وهذا ما يسوِّغ مجيء عنوان هذه الدراسة مشتملا على هذه الثنائية.

وعلى الرغم من أنّ الموقف من الكليات لم يعد بتلك الحدّة والقوة في العالم الحديث، ولكن ظلتْ آثارها بيّنة في الفلسفة المعاصرة تلقي بظلالها على الحقول المعرفية الأخرى، وليست اللسانيات بدعًا من هذه الحقول المعرفية.

إنّ الموقف من الكليات يعدّ أحد المداخل المهمة للدراسة اللسانية ولكيفية التعاطي مع نظرياتها وتوجهاتها ومدارسها وخطابات أعلامها، إذ يبدو لهذه الثنائية حضورٌ في النظرية اللسانيّة الحديثة، سواء المتعلق منها بنظام اللغة أم المتعلق منها بدراسة اللغة في حال الاستعمال، فموقف اللسانيين من اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي ومدى مطابقتها الوجود، إنما هو بطريقة أو بأخرى انعكاس لمواقفهم إزاء الكليات.

تكمن أهمية الدراسة في أنّها تحاول الوقوف عند خطاب أحد مستقبلي اللسانيات في العالم العربي، لا سيّما في حقل التداولية، أو كما يسميها هو بـ «علم التخاطب» إذ تعدّ دراسات الدكتور محمد محمد يونس علي في هذا المجال من أهم الجهود الرائدة التي سعتْ إلى تأصيل الفكر التداولي في التراث الإسلاميّ، فهو أحد أولئك الذين مع طروحاتهم أخذ الباحثون يتطلعون _بثقة_ إلى وجود «علم تخاطب إسلامي» في تراثنا.

تنطلق الدراسة من منطلق حضور «ثنائية «الواقعية والاسمية» في مشروع يونس اللسانيّ، بالنظر إلى أنّ كلتا النزعتين لهما أثر بيّن على طبيعة الفكر اللساني عامة والفكر التخاطبي وبخاصّة، إذ يشكّلان

مفتاحًا للدخول إلى النظرية اللغوية، فليس هناك توجه لساني إلّا وهو مستند إلى موقف أنطولوجي يتحكم في مساره، سواء أكان هذا التوجّه يتعلق بنظام اللغة كما عند سوسير وخلفائه، أم يتعلق باللغة في حال الاستعمال كما عند الفلاسفة التحليليين ومن بعدهم التداوليين.

ولعلّ هذه الثنائية كانت حاضرة في منظومة التراث الإسلامي، إذ كشفت قراءات يونس عن الحضور اللافت للموقف الأنطولوجي المنعكس على النظرية اللغوية في التراث، إذ يشكّل «الموقف الكليات» مفتاحا للدخول إلى النظرية اللغوية عند أسلافنا، ومن هنا يظهر جدوى هذا المنطلق الذي يجعل من ثنائية (الواقعية والاسمية) مدخلًا لمعرفة مدى قرب النظرية اللغوية في التراث الإسلامي من النظريات اللغوية المعاصرة في الغرب.

جاءت الدراسة على ثلاثة مطالب:

-جعلنا المطلب الأول (الكليات والجزئيات في متناول الواقعية والتصورية والاسمية) مدخلًا نظريًا نهيئ فيه المفاهيم، ونعرّف بالمذاهب الثلاثة.

-أمّا المطلب الثاني (لسانيات النظام في مشروع محمد يونس علي) فخصّص لرصد مواقف يونس من لسانيات النظام، ولكن بالتركيز على موقفه من نظرية شومسكي.

-وأمّا المطلب الثالث (لسانيات الاستعمال في مشروع محمد يونس علي من خلال قراءته لنظرية الاستعمال عند ابن تيمية) فقد جاء مخصّصا لنظرية الاستعمال اللغوي عند ابن تيمية.

بقي أن نشير إلى أنّ مشروع يونس اللساني فيه من السعة والعمق ما يجعلنا مقرّين بقصور ما نقدّمه في هذه الورقة، فما تناولناه ليس إلّا أشياء مقتضبة في حاجة الى التوسيع، غير أنّه على قصوره يقف عند جانب ذي أهمّية في مشروع يونس، لأنّ هذا الجانب يعدّ مدخلا مهمّا من مداخل الدراسة اللسانية.

المطلب الأول:(الكليات والجزئيات في متناول الواقعية والتصورية والاسمية)

إنّ قراءة مشروع محمد يونس علي يدفعنا إلى ضرورة الاهتمام بهذه الثنائية، فلكي نفهم التوجهات اللسانية ينبغي العودة الى جذور المشكلة في الخطاب الفلسفي، ولكن قبل الولوج في الحديث عن مذاهب الواقعية والتصورية والاسمية ينبغي التعريف بجملة المفاهيم التي تدور حولها هذه المذاهب الثلاثة، إذ تدور هذه المذاهب حول الكليات والجزئيات والوجود والماهية، والتجريد والتمثل الذهني وغير ذلك، وهنا نحاول المرور على كلّ منها عبر هذه الفقرات:

مفهوم الكليات

الكليّة-في اللغة -من مادة(كلل)التي فيها ثلاثة أصول صِحاح، الأول يدل على خلاف الحدة، والثاني يدلّ على إطافة الشيء بالشيء، والثالث يدلّ على عضو من أعضاء الجسم. على أنّ الذي يهمنا في دراستنا الدلالة الثانية، أي: الإطافة بالشيء والإحاطة به. ف «كلّ» اسم موضوع للإحاطة (ينظر: بن زكريا، 2008: 870)

حتى قيل في تأثيله: ((لفظ دال على الإحاطة بالشيء، وكأنه من لفظ الإكليل)) (بدائع الفوائد: 1/ 156).

أمّا ما يميّز كلّ عن (الجمع) فهو أنّ الكلّ أعمُّ وأشمل من الجمع، فهو اسم يجمع الأجزاء، يُستعمل بمعنى الاستغراق ويراد به التناهي (ينظر: لسان العرب كذلك: المصباح النير مادة (كلل)).

وهكذا تدور مادة(كلّ)الوضعية حول الإطافة بالشيء، والاحاطة به، واستغراقه، فضلا عن دلالتي العموم والتناهي، إذ ليس في كلام العرب كلمة أعمّ منها (ينظر: الزركشي الشافعي، 2000م: 2/ 292) ومن هنا صِيغ منها مصطلح(الكليّة)الدال على انتظام الأجزاء التي تدخل فيها والحكم على الأفراد المندرجة تحتها.

أمّا الكلية-اصطلاحًا-فينبغي بدءًا التعريف بمصطلحين من لفظها يثيران اللبس، ألا وهما (الكلّيّ والكلّ) وقد تصدى أسلافنا من مناطقة وأصوليين لإزالة هذا اللبس الحاصل بينها، فالكلّي هو المعنى الذي يشترك فيه كثيرون، كالعلم والجهل والإنسان والحيوان وقسيمه الجزئيّ (ينظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول:297)، إذ الكليّ مفهوم شامل لجميع الأفراد الداخلين في صنف معين، أو هو المفهوم الذي لا يمنع تصوره من أنْ يشترك فيه كثيرون. (ينظر: المعجم الفلسفي: 2/ 238)

أمّا الكلّ فهو مجموع من حيث هو مجموع يدلّ على الأفراد بالتضمن، وذلك كأسماء الأعداد، فإذا ورد في النفي أو النهي صدق البعض وانتفى فيه مدلول المجموع، إذ لا يلزم من نفيه نفي جميع الأفراد. (ينظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: 279 – 298)

وأمّا الكليّة، فهي ثبوت الحكم لكلّ واحد بطريق الالتزام بحيث لا يبقى فرد من الأفراد الداخلة فيه (ينظر: المصدر نفسه:298) وهكذا، فبينما يدلّ الكلّي على وجوده في كل واحد من أجزائه، كمفهوم الحيوان الحاضر في الإنسان والفرس، ولا تبطل صورته إذا رفع أحدهما، فإنّ الكلّ غير موجود في كلّ من أجزائه، كمفهوم العشرة غير الموجود في الثلاثة والسبعة، فإذا رفع أحد أجزائه بطلت صورة الكلّ (ينظر: أبو حيان التوحيدي،1986: 195)

وإزاء كلا الاثنين تدلّ الكليّة على الحكم العام الواقع على الأجناس لا على المعيّنات، إذ الكليّة هي تلك المعاني والتصورات والموضوعات الكليّة التي جرّدها العقل عن المعيّنات (ينظر: الحراني، 2005: 303) فالكليات هي موضوعات التفكير، من قبيل الكيفيات والعلاقات والأعداد، وكلّ أولئك أشياء لا يمكن أن تعيّن في المكان والزمان تعيينا واضحًا (ينظر: كامل وآخران، 1983: 346).

وإزاء ما تقدّم يأتي الجزئيُّ، وهو ((ما يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه)) (ابن تيمية الحراني،2005: 43) على أنّ الموقف من الجزئيات لم يكن مثار جدل كما كان الموقف من الكليات، فثمة اتفاق على وجود الجزئي في الخارج وفي الذهن، أمّا وجود الكلي فهو مبعث الخلاف (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م :298) ومن ثمّ فإنّ الموقف من الكليات هو موقف أنطولوجي ينعكس على رؤية صاحبه ويتحكم في مواقفه

العلمية وقناعات وآرائه.

مفهوم التجريد:

من مادة (جرد) الدالة على بَدُو ظاهرِ الشيء حيث لا يستره ساتر، يقال تجرّد الرجل من ثيابه يتجرّد تجرُّدا (ينظر: بن زكريا، 2008: ،مادة جرد: 196)أي أزال ما عليه من ثياب أو نزعها عن جلده، ومن ذلك أيضًا الجريدة التي هي سعف النخيل، تسمُّى بذلك إذا جرُّد عنها خوصها. (ينظر: الفيومي، د.ت: 109)

ومن معاني النزع والإزالة أخذ التجريد صبغته الاصطلاحية للدلالة على نزع المتعلقات المادية عن الشيء ليخلص إلى الذهن، أو نزع صورة ذهنية خالصة عن شيء ما بعد أن يُزال عنه آثاره المادية.

إذ التجريد –اصطلاحًا- عمليةٌ تتعلّق بالجانب الخاص من الإدراك حين يُعنى بعزل خصائص الشيء الجوهرية أو العلاقات بين خصائصه لتميزه عن الأشياء الأخرى (ينظر: لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين، 1980: 112) فبهذه العملية يحصل العقل على الكليّ من الجزئي (ينظر: مبادئ الفلسفة الإسلامية د. عبد الجبار الرفاعي:2/ 8) وإلّا فإنُّ الكليات ناتجة عن((عملية تجريد ذهني يعزل فيها عن عوارضه المخصصة)) (ينظر: محمد يونس،1437 -2016: 299)) فبدون هذه العملية ((يستحيل الكشف عن جوهر الشيء أو النفاذ إلى أغواره، فعزل جوانب الشيء الجوهرية وتحليلها الشامل في صورتها الخالصة إنما ينجمان عن العمل الذهني التجريدي)) (ينظر: لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين، 1980: 112) يقول ابن سينا:((إنّ الحسّ ينال الموجود الخارجي من حيث هو مغمور في العوارض التي تلحقه بسبب المادة التي خُلق منها ،لا يجرّده عنها ولا يناله إلا بعلاقة وضعية بين حسّه ومادته، أمّا العقل فيقتدر على تجديد الماهية المكنوفة باللواحق الغريبة، مستثبتًا إيَّاها كأنه عمل بالمحسوس عملا جعله معقولًا)). (الإشارات والتنبيهات: 2/ 396- 397)

وهكذا تتميز الكليات بقابليتها على أن تنطبق على ماصدقات كثيرة ولو بالفرض، ولهذا تأخذ عند المتكلمين والمناطقة صفة الشمول والإطلاق، فهي عندهم مطلقات مجرّدة شاملة لأمور كثيرة ((يعبر عنها المتكلمون بالوجوه والأحوال والأحكام، ويعبر عنها المنطقيون بالقضايا الكلية المجردة، ويزعمون أنها موجودة في الأذهان لا في الأعيان)). (محكّ النظر، للإمام الغزالي: 78)

بين التجريد والتمّثل الذهني

وهنا ينبغي التمييز بين التجريد والتمثل الذهني، فمن خلال هذا التميز يتحدد لدينا وظيفة الكليات وحدودها: ما إذا كانت الغاية منها تمثيل الواقع أم شيء زائد على تمثيل الواقع، كأنْ تنتهي عملية التجريد إلى جواهر تأخذ طابعا أفلاطونيا، وقد لخص الدكتور يونس هذه المسألة حين رأى أنّ التجريد عملية عقلية تنزع فيها عوارض الشيء أو خصائصه مع الاحتفاظ على الحدّ الأدنى من المقومات التي تحدد ماهيته. على حين يتعلق التمثّل باستحضار صورة ذهنية لما هو موجود في الواقع على حقيقته الخارجة كما هي في الواقع مقيدة بتلك العوارض والسياقات المخصصة له. (ينظر: محمد يونس، 1437ه- 2016م : 300- 301)

إنّ هذا التمييز يحمل أهمية كبيرة لا في ميدان الدراسات اللغوية فحسب، بل في ميدان العلوم الإنسانية عامة، لأنّ غاية هذه العلوم هو التعبير الصادق عن العالم وما يجري فيه على وجه الحقيقة، وهي بذلك في حاجة إلى التمثل الذهني بدلًا من اللجوء الى التضليل والى صياغات عقلية مفترضة أو متخيلة تتجاوز التمثيل الذهني الصادق للواقع إلى التجريد المحض.

الواقعية والاسمية والتصورية:

أثارت الكليات في تاريخ الفلسفة صراعًا فكريًا ساخنًا حول ما إذا كانت الكليات موضوعية واقعية ذات وجود حقيقيّ مطلق، أم هي مجرد أسماء، أم هي موضوعات تصورية لا تتعدى الصورة التي يأخذها الإنسان عن الأشياء المتشابهة والمتناظرة؟ ومن جهة أخرى ما إذا كانت موجودة قبل الأشياء أم في الأشياء أم بعد الأشياء في صورة بناءات عقلية؟ (ينظر: بدوي، 1962م: المقدمة. كذلك: لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، 1980: 292) وعلى أيٍّ، فنحن أمام ثلاثة مواقف من الكليات.

أ: الواقعية:

يتجلّى موقف أفلاطون من الكليّات في نظريته الشهيرة (المثل) (ينظر: قصة الكهف في الجمهورية: 184. كذلك: التكريتي،1982م: 55) وهو يرى أنّ المعرفة لا تصدر عن المحسوس بل عن «تذكّر» النفس العلمَ الأبدي الذي كان لها قبل اتصالها بالجسد، فهو يرى أنّ فوق هذا العالم المحسوس عالم آخر هو عالم الصور المجردة، فالعالم الذي نحن فيه إنما هو شبح لعالم الأصل الحقيقي الخالد الذي لا يتبدل ولا يتغير، وفي المقابل فإنّ العالم الذي نعيش فيه ليس إلّا صورة من ذلك الأصل أو المثال، لأن عالمنا كما نراه كوناً متغيراً وهو كل يوم على حال، فعالم المثل عالم مفارق وهو مبدأ كلّ المعارف ومصدرها، لأن العلم لا يقوم على المحسوس وما هو ظلّ للأصل.(ينظر: صليبا، د.ت:27- 28- 29)

حين نمعن الفكر في مذهب أفلاطون الواقعيّ نلحظ أنّ موقفه من الكليات، بوصفها كيانات مفارقة، سينعكس على موقفه من(المعنى) فإذا كان للمثل وجود واقعي مفارق في عالم فوق عالمنا، فإنّ المعاني كذلك تتصل بالمثل ولها مقابل في عالمنا، فلكلّ مثال شيء يقابله، والشيء الذي ليس له مثال يعني أنه عديم المعنى، فالمثل هي مصدر الكليات والمعاني، فهي من هنا مبادئ المعرفة الموزعة على النفوس والمتحيزة في العقول، وإلّا فكيف نسمّي الأشياء ونحكم عليها إنْ لم تكن هذه المثل موزعة علينا ومستقرة في نفوسنا (ينظر: كرم، د.ت: 73) ومن ثمّ فإنَّ للكليات وجودا واقعيًا أسمى من الوجود الذي للجزئيات والأفراد، فكلمة (إنسان) يشير إلى شيء حقيقي قائم بذاته يأخذ صورة الكلي المجرد، فهو كيان كليّ أحق في الوجود من زيد وبكر وعمرو(ينظر: بدوي،1962م: مقدمة الكتاب: ي.) الذين هم أفراد ليسوا إلّا كالظلّ بالنسبة للإنسان الكليّ. وهكذا يكون تفسير المعنى وفق هذه الواقعية المتطرفة بناء على الإيمان بوجودها الخارجي المفارق (ينظر: محمد يونس،1437- 2016م: 325)

وكما يبدو فإنّ النزعة الواقعية تتلاءم مع التوجهات التي تجهد الى توكيد التطابق بين العقل والنقل، ففي العصور الوسطى تلقفها أصحاب النزعة الافلاطونية المحدثة والمذاهب التي تستولي عليهم تقوى حادّة تصل حدّ الهيام والتصوف العالي والروحانية المحلقة في الآفاق (ينظر: بدوي، 1962 م: المقدمة: ي.)

يرى الدكتور أبو يعرب المرزوقي أنّ من مساوئ الواقعية أنّها من شأنها أن تترك آثارا سلبية كثيرة على الفكر، فمن مقتضيات القول بواقعية الكليات تأليه المُثل والقيم والقواعد من جهة، وإلى الجمود الميتافزيقي من جهة أخرى (ينظر: المرزوقي، 2020م: 67-65) وهذا ما يبدو أكثر وضوحًا في موقف اللغويين من القواعد وكليات اللغة، فاللغوي المتزمت، وإنْ لم يعي موقفه من الكليّات تمام الوعي، فإنّه بتمجيده للقواعد وبجعلها أكثر واقعية من اللغة يكون قد دخل حيّز الواقعية.

ب: التصورية

التصورية هي موقف أرسطو إزاء الكليّات، فمن خلالها يسعى أرسطو الى التخفيف من غلواء واقعية أستاذه، لأنُّ الجزئي في رأيه يدرك بالذات، والكلي يُدرك بالعرض (ينظر: أرسطو، 2009م: 28، د. أحمد فؤاد الاهواني، 2009م. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م :325) وهو بهذا ((سعى إلى تنسيب شكل العلم في صدامه مع أفلاطون (الاكتساب والتجربة ضد التذكر والفطرة)مع الابقاء على إطلاق المضمون(واقعية الكلي)) (المرزوقي،1995م: 37)

فالكليات، عند أرسطو، هي تصورات في الذهن يقابلها الوجود الجزئي في الواقع، فعنده أنْ لا حاجة لوجود المثل المفارقة، لأنّ موضع هذه المثل في الذهن، فبدلا من أن تكون الأشياء انعكاسا له ويكون هو معناها، صار هو انعكاسا للأشياء وأصبحت هي معناه، فالكليّ هو مجرد ما يتبقى من المميزات التي يتصف بها كل فرد في المجموعة، ومن ثمّ فمن غير اللازم أنْ نمنح وجودًا مستقلًا جوهريًا لأفكارنا ومفاهيمنا العامة كأن نسقطها خارج عقولنا (ينظر، د. منذر الكوثراني:61 - 62)

وإلى هذا تبدو تصورية أرسطو أكثر حكمة وجدوى وأقرب الى المنطق العقلي قياسًا بمذهب أستاذه، إذ ترتكز التصورية على الأمور المحددة العينية، بدلًا من الارتكاز على كيانات مفارقة. (ينظر: بدوي، 1962 م: المقدمة: ي).

فالكلي أو الجواهر الثانية ما هي إلّا صياغة ذهنية مجردة لما هو موجود في الخارج بالاحتكام الى علاقة التشابه التي يلحظها الذهن في الموجود الخارجي، وبناء عليه يفسّر المعنى بالرجوع الى الصورة الذهنية التي يشكلها الذهن لما هو في الخارج (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م: 326) لا بالرجوع الى عالم المثل كما يزعم فيثاغورس وأفلاطون.

ت: الاسمية:

ولدت الاسمية من رحم تصورية أرسطو، ولكنها نحتّ منحى مبالغًا فيه، وذهبتّ إلى أنّ الكليات ليست إلّا أسماء، فالأجناس والانواع والصور والمثل لا تعدو أن تكون أسماء وأصواتًا، ليست لها معانٍ أكثر من انطباقها على مجموعة أشياء، وليس لها وجود خارج الذهن. (ينظر: د. يحيى هويدي:21- 22) كذلك: خليفي، 2010م: 41) وعلى هذا سار الرواقيون والأبيقوريون (ينظر: الكوثر،2004م: 63).

برزت الاسمية في العصور الوسطى بقوة لافتة عند روسلان إلى الحدّ الذي قال فيه إن المعنى عبارة عن مجرد صوت في الهواء، ومن بعد روسلان يظهر وليم أوكام الذي لقّب بمبتدع الاسمية أو بملك الاسميين وحامل لوائهم، فقد كانت اسميته مقننة تتسم بالمنطقية إذا ما قورن بسابقه(ينظر: يوسف كرم، د.ت: 191) فعنده أنّ المعرفة في عمومها تتوقف على البيّنة، ومن هنا أكد على أن الأشياء الفردية أو الجزئية هي التي تمثل الحقيقة، ومن هنا ينتهي إلى المبدأ الشهير الذي عرف ب»شفرة أونصل أوكام» ومفادها: (ينبغي لنا أنْ لا نكثر من الموجودات بغير مسوّغ) وهو يريد بذلك عدم الحاجة لتضخيم الجهاز المفاهيمي ولا لتلك الحمولة المعرفية التي تفوق المطلوب، فإذا قمنا بتحليل الألفاظ وجدنا أنّها تعبر عن ثلاثة اتجاهات: أمّا الأول فتعبير عن الألفاظ بالألفاظ، وأما الثاني فتعبير بالألفاظ عن الأشياء، وأما الثالث فتعبير بالألفاظ عن الأفكار. ولكي يتسم التحليل بالدقة ينبغي نبذ الاتجاه الأول والتركيز على الاتجاهين الآخرين، لأنّ التعبير عن الألفاظ بالألفاظ لا قيمة له من الناحية العلمية، بخلاف التعبير عن الأشياء والأفكار. (ينظر: جميل صليبا، د.ت: 2/ 469. كذلك: خليفي، 2010م: 42)

وبناء على ذلك يفسر الاسميون المعنى بالرجوع الى الصوت، فحينما أقول:(إنسان) فإننا بذلك نقصد شخصًا واحدًا بعينه، وبذا يُحكم على معارفنا أنْ تأتي فردية جزئية، لأنّ كلمة الإنسان لا تتشكل في ذهني مجردًا إلّا بواسطة ما نعينه في الواقع (ينظر: خليفي، 2010م: 40. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م :376).

المطلب الثاني:(لسانيات النظام في مشروع محمد يونس علي)

يبدأ يونس من دعوى ((أن الأصول الفلسفية للنظريات اللغوية هي الموجهة للاتجاهات المذهبية أو المدرسية)) (محمد يونس، 2004م: 52) وذلك لأنّ المنطلق الأنطولوجي والإبستمولوجي يتحكم إلى حدّ كبير في تشكيل الاتجاهات اللسانية، فكثيرًا ما يعود الاختلاف المنهجي بين اللسانيين إلى موقفهم من هذه الأصول، وعندئذٍ فبدون معرفة المنطلق الأنطولوجي يصعب فهم مسار هذه الاتجاهات. وهكذا فإنّ فهم مواقف اللسانيين من الكليات والجزئيات يعدّ أحد المداخل الجوهرية للكشف عن الخلفيات الثقافية للنظرية اللسانية ومآلاتها، فقد كان موقف اللسانيين من الكليات والجزئيات مبدأ مؤثرا في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة على حدّ سواء (ينظر: المصدر نفسه: 41- 42).

إنَّ النظر إلى اللغة من زاوية كونها نظاما، يختلف عن النظر إليها بوصفها إنجازًا أو استعمالًا، فاللغة بوصفها نظامًا نظريًّا مجرَّدا كيان منفصل عن تاريخه وعن الواقع الخارجي غير أنّ هذا النظام يمكن أن يُجتلى ويتحقق في الواقع الفعلي حين ننقله من حيّز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل عن طريق الكلام أو الاستعمال (ينظر، محمد يونس، 2004م: 66) وهنا يتبيّن أنّ المدارس والتوجهات اللسانية المتمركزة حول النسق تنحو بطريقة وبأخرى منحى كليًّا إزاء نظام اللغة، بخلاف التوجهات اللسانية التي تصرف همّها لدراسة اللغة في حالة استعمال. والى هذا فنحن إزاء توجّهين من اللسانيات، الأول يُعنى بالأنساق فيرتكز على الكليات بمنأى عن الجزئيات، والآخر يُعنى بالاستعمال فيرتكز جهودها على الجزئيات.

ظهرت اللسانيات على يد سوسير لتراهن على علميّتها وإجراء دراسة اللغة على غرار دراسة العلوم الطبيعة، إلّا أنّ إيغالها في التمركز على النسق جعل منها دراسة لا تخلو من رهانات ميتافيزيقة، ((فلقد كان سوسير يعتقد أنّ لكلٍّ لغة وجودا أو كيانًا حقيقيًّا وصحيحًا ومستقلًّا عن تاريخها)) (د. أبوزيد، 1995: 75) وليس هذا بالأمر الغريب، إذ كان لطروحات دوركايم الأثر البالغ على لسانياته، وكان ممّا تسلل منها إلى سوسير شيء من نزعته الواقعية التي تقضي بوجود المجتمع بمعزل عن وعي الأفراد(ينظر: دوركايم،1961م: 59، كذلك دوركايم،2022: 390، وما بعدها)،فإذا أردنا دراسة المجتمع أو ظاهرة اجتماعية معينة ينبغي أن تدور الدراسة بمعزل التحقّقات الفردية ،وكذلك سوسير فقد نظر إلى اللغة على أنها مؤسسة اجتماعية ذات قواعد تسمو على الأفراد وتفرض ذاتها عليهم بطريقة جبرية (ينظر: البنيوية، جان بياجيه:٦٣.)ومن هذا المنطلق عمد سوسير إلى فصل ما هو اجتماعي عما هو فردي، وما هو جوهري عما هو ثانوي وعرضي (ينظر: دي سوسير،1985: 34) وعلى هذا فإنّ لسانيات سوسير لا تخلو من نزعة واقعيّة، ولكن ليست واقعيته مفرطة. بقي الرهان على الكليات يتسلل بطريقة وأخرى الى النظريات اللسانية التي تلت بنيوية سوسير،

وتكفينا هنا الإشارة الى النظرية الشكلية عند هيلمسليف والنظرية التوليدية عند شومسكي. فعلى الرغم ممَّا يبديه هيلمسليف من تذمر من النزعة الواقعية في دراسة اللغة، نظرا لعدم إمكان إعمام الكليات على أكثر من لغة واحدة، لأنّ لكل لغة خصوصيتها(ينظر: مداخل لدراسة اللغة، لويس هيلمسليف، 2018: 29)نقول على الرغم من ذلك- فإنّ هيلمسليف لا ينكر الإيغال في التجريد والارتكاز على الشكل بمعزل عن المادة للبحث عن البنية الخاصة باللغة، فلكي تحقق النظرية اللسانية علميّتها عليها البحث عن بنية اللغة من خلال نظام مقدمات شكلي حصرًا، وألّا تمنح أهمية لتقلبات الكلام وتغيراته (ينظر: المصدر نفسه، 2018: 24- 25) ممّا يعني أنّ هيلمسليف يكاد يكون تصوّريًّا، على الرغم من مبالغته ومغالاته في فرض الشكل وتقديمه على المادة.

والأمر كذلك عند شومسكي الذي يصرح في بواكير نظريته بأنّ إحدى وظائف نظريته هي توفير طريقة شمولية لاختيار نظام قواعد لكلّ اللغات، من دون الإشارة الى لغة معينة، ويرى ضرورة إنشاء نظرية للبنية اللغوية تعتمد التجريد المحض، بحيث تكون كفيلة بالوصول نظام اللغة (ينظر: البنى النحوية، نوم شومسكي: 13) وقد بقي الرهان على الكليات قائمًا في فكر شومسكي اللغوي حتى انتهى إلى الكليات النحوية الوراثية (ينظر: د. علي حرب: 2001: 74)

وعندئذٍ يظهر أنّ نظرية شومسكي ترتكز على الكليّ، غير أنها تتذبذب بين تصوريّة أرسطو وواقعية أفلاطون، فهو حين لا يقرُّ صريحا بأسبقية أنماط الجمل على الاستعمال الحي لهذه الانماط فإنَّه يكون قريبا من التصورية، أمّا حين يجعل الجانب الابداعي في اللغة كامنًا في الذهن بوصفه معطيات عضوية وراثية، وحين يذهب الى كون الوقائع اللغوية هي مجرد شاهد للاستدلال على الحقيقة الماورائية للغة، فإنه إذّاك يذكّرنا بنظرية المثل الأفلاطونية (ينظر: المصدر السابق، 2001: 75)

نحاول استجلال مواقف يونس من لسانيات النظام، بالتركيز على نقده لنظرية شومسكي، بالنظر إلى أنّ شومسكي يعدّ آخر المتحصنين بلسانيات النظام، على ما سنبيّن ذلك عبر مجموعة من الفقرات نضعها تحت عنوانات مستقاة من مفاهيم اعتمدها يونس في خطابه.

التجريد بين الأمثلة والنمذجة

التجريد صنيع لا بدّ منه لتكريس نظرية علمية، أو لإدخال دراسة اللغة ضمن تصور علمي، إلّا أنّ للتجريد حدودًا ومدى، فمنهم من يوغل فيه فيقع في مغبّة الأمثلة، ومنهم من يتوسط فيه فلا يتجاوز بناء أنموذج يكون بمثابة مَعْلم يسترشد به حاملو الثقافة ومتعلمو اللغة في فهم اللغة ((فالفرق بين الأمثلة والنمذجة، أنّ الأمثلة هي عملية مبدئية تصاغ بغضّ النظر إلى واقع الأمور والخصائص الحقيقية للأشياء، أمّا النمذجة فهي مستوى أدنى من التجريد تدرج فيه المتشابهات تحت نموذج واحد يجمع بين خصائص أفرادها)) (محمد يونس، 2004م: 52)

تبرز خطورة الأمثلة لكونها الايغال في التجريد، بما يؤول الأمر في النهاية إلى صياغة ذهنية للمادة اللغوية لا تصدق على اللغة في حالتها الواقعية، فمن شأن ذلك أن تصاحبه تفسيرات وتقديرات وتأويلات تغفل المبادئ والأسس الحقيقية المفسرة للظاهرة اللغوية، وهذا ما دعا التوليديين الى التعامل مع اللغة تعاملًا مثاليًا وأغفلوا الخصائص السياقية المميزة للقولات اللغوية حتى أبحروا في غياهب التجريد، وفي مقابل ذلك دعا البراغماتيون إلى تكريس رؤية أكثر واقعية تُعنى باللغة في واقع الحياة بالاستناد الى ذلك التفريق الذي اقترحه رودولف كارناب وأكده وندرليش بين اللغة النظرية أو التقديرية، وبين اللغة الملاحظة أو الحقيقة (ينظر: المصدر نفسه، 2004: 52- 53)

وقد قارب الدكتور يونس مفهومي الأمثلة والتجريد، أو اللغة النظرية واللغة الحقيقية بما ألمح إليه أبن القيم في معرض ردّه على أهل التأويل والقائلين بالمجاز الذين خلطوا بين (الكلام المقدر) و(الكلام المستعمل) (ينظر: بن الموصلي، 1349ه: 2/ 41، محمد يونس،2006: 156) فقد ارتكز البحث عند كثير من النحاة حول أمثَلة اللغة بمنأى عن واقعها، ومثلهم عمد بعض الفرق الكلامية الى تأويل آيات الصفات كالأشاعرة الذين قالوا بالكلام النفسي. (ينظر: محمد يونس، 2004م:52)

إنّ كلا التوجهين: الذي يُعنى باللغة النظرية وغالى في التجريد، والذي يعنى باللغة الملاحظة، كلا الاثنين يستند إلى موقف فلسفي. ومن هنا كان يونس من أشدَّ اللسانيين العرب نقدا للتوجهات التي تبالغ في التجريد، فهومن القلائل الذين توجهوا بالنقد العميق الى النظرية التوليدية، في الوقت الذي لم يكن أحد فيه يجرؤ على المساس بنتاجات شومسكي بهذه الطريقة(اللهمّ إلّا دراسة علي حرب(أصنام النظرية...)، ففيها يكشف عن الوجه الآخر لنظرية شومسكي وما تشتمل عليه من أوهام ميتافيزيقية.)وإذا كان البنيويون والسلوكيون ،قبل شومسكي، يكتفون بالوصف سبيلًا أمثل لدراسة اللغة من دون الخوض في التجريد والتمدّل والتفسير الموغل في المثالية، فإنّ التوليديين غالوا في التجريد، وهذا نابع من عنايتهم بالعموميات وغايتهم في إيجاد قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات، فالوصف اللغوي للبنى السطحية غير كافٍ ولا يحقق طموحاتهم الكونية، وقد وجدوا ضالتهم بدلا من ذلك في البنية العميقة(ينظر: محمد يونس، 2004م: 48، 49، 50) وهذا عائد الى وفائهم لعقلانية ديكارت الذي يؤمن بوجود استعدادات فطرية ومبادئ لغوية كلية قبلية .

الكفاية بين الوصف والملاحظة والتفسير:

تختلف المدارس اللسانية حول الوسيلة الكفيلة بفهم الظاهرة اللغوية: أهي الملاحظة أم الوصف أم التفسير؟ وهذا هو المراد بالكفاية، أي ذلك القدر الذي ينبغي أنْ يتحقق في البحث العلمي بهدف فهم الظاهرة اللغوية واستكناه حقيقتها (ينظر: محمد يونس، 2004م: 46- 47)

يتفق اللسانيون على «الملاحظة» شرطًا أساسيًا في الممارسة اللسانية، فهي المنطلق البدئي لرصد ظواهر اللغة وكشفها، ولكنهم يختلفون في كونها تكفي للوفاء بفهم الظاهرة اللغوية. فالسلوكيون يؤمنون بجدوى الملاحظة، وضرورة التركيز على العناصر اللغوية التي التُقِطت بالملاحظة (ينظر: محمد يونس، 2004م:47)

أمّا التوليديون فنظرتهم الى الملاحظة تختلف عمّا هي لدى السلوكيين، فليس رصد العناصر اللغوية كافية لفهم الظاهرة اللغوية إنْ لم تشفع بمعرفة حاملي الثقافة اللغوية، والركون الى حدوسهم، وهنا تتجاوز الدراسة (المادة اللغوية التي التقطت بالملاحظة)صوب حدوس أهل اللغة، فالمعرفة اللغوية للمتكلم السليقي هي موضوع اللسانيات (ينظر في هذا الشأن: اللسانيات من المدونة الى الحدس، عبد السلام شقروش،

على الشبكة العنكبوتية.)ومن هنا ينبغي أن تنصبّ العناية على الجمل المنمطة ومناويلها ثمّ عزوكل قولة فعلية الى ما يناسبها في الأنماط، ومع ذلك لم يقف شومسكي عند هذا الحدّ ،إذ لم يقتصر عمله على الملاحظة، بل اتجه من القولات المتطابقة مع أنماطها صوب الجمل الممكنة، أي اتجه من الخصائص البنيوية للجمل المنمطة إثر الملاحظة الى الخصائص البنيوية للجمل الممكنة في اللغة بالاستناد إلى حدس الباحث نفسه أو حدس اللسانيّ نفسه(محمد يونس، 2004م: 47).

ثمّ بعد ذلك يأتي دور الوصف الذي يصبغ الدراسة بطابع العلم، فإذا كان البنيويون والسلوكيون اعتادوا على وصف الظاهرة دون الخوض في تسويغها أو تأويلها أو تفسيرها فإنّ التوليديين لم يكتفوا بالملاحظة أو الوصف، فالوصف اللغوي للبنى السطحية غير كافٍ ولا يحقق طموحاتهم الكونية _كما قلنا سابقًا _ بل وجدوا ضالتهم بدلا من ذلك في البنية العميقة، فالمادة الملاحظة قد لا تفي بالطموح، بل ينبغي الركون إلى ما يُصعب ملاحظته في الظاهرة اللغوية، فأخذوا يغوصون في المبادئ والأسس المفسرة للظواهر الخارجية. لعل هذا ينسجم مع منطلقاتهم ويلبي طموحاتهم للوصول إلى صوغ قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات (ينظر: محمد يونس، 2004م: 50-49-48.)

لحظ الدكتور يونس أنّ الميل الى هكذا ضرب من التفسير وتجاوز الملاحظة والمغالاة في الوصف ليس بجديد على الدرس اللغوي العربي، فهذا يشبه إلى حدّ بعيد معالجة النحاة العرب لبعض الأبواب والجزئيات النحوية والصرفية التي اتسمت بالتعليل والتفسير والتقدير والتأويل رغبة لبلوغ أكبر قدر من الاطّراد والانسجام.

ثنائية الجملة والقولة:

هنا يتجلى موقف اللسانيين من الكليات والجزئيات بصورة أوضح، فباللجوء إلى ثنائية سوسير(اللغة/ الكلام) تنتمي الجملة الى اللغة، وتنتمي القولة الى الكلام. وبعبارات يونس تنتمي الجملة الى الوضع، وتنتمي القولة الى الاستعمال (إذ يلحظ يونس تشابها تقريبيا بين الثنائيتين اللغة والكلام عند سوسير من ناحية ، والوضع والاستعمال لدى الأصوليين من أسلافنا من ناحية، فعنده أنّ هذا التشابه مثير للاهتمام ولا يمكن اعماله في آية دراسة جادة، وقد برهن على جدوى ملاحظته: ينظر : محمد يونس،2006: 44- 187) وهذا ما يسمح لنا القول إنّ الجمل التي تعتمد الوضع هي من الكليات، أمّا القولة التي هي محكومة بالاستعمال فمن قبيل الجزئيات(ينظر: محمد يونس، 2004م:50).

إن في الدرس اللساني ميلا إلى عزل القولات اللغوية من سياقاتها لغرض بلوغ ضرب من الأمثلة، مما يؤدي الى إغراقٍ في التجريد يؤول آخر الأمر إلى تصوّر مصطنع للغة الحقيقية (محمد يونس، 2004م: 52) إذ الجملة هي وحدة تحقيق كبرى في اللغة ستصبح قولة عند استخدامها في سياق معين، وعندئذ تنتمي الجملة الى نظام اللغة بما أنّها نموذج للقولة، وتنتمي القولة الى السلوك بما أنها تجلٍّ فعلي للجملة (ينظر: المعنى وظلال المعنى:139.)

وهكذا تكون هذه الثنائية فيصلًا لتمييز الدراسة اللسانية المعنية باللغة بوصفها نظامًا عن الدراسة اللسانية المعنية باللغة بوصفها سلوكًا (المصدر نفسه: 139- 140)

تتشكّل الجملة عبر تجريد طائفة من القولات المتشابهة الى الحدّ الذي يسمح بالحكم بانتمائها الى نمط تركيبي واحد، على أنّ الامعان المفرط في التجريد سبيل إلى الدخول في دائرة الأمثلة وإضفاء الطابع الأقنومي على الكيانات المجردة ،وقد أورد يونس ما انتهى إليه اللساني الشهير(كاتز) حين خرج عن عقلانية شومسكي الى الواقعية_(على الرّغم من أنّ عقلانية شومسكي لا تخلو من نزوع واقعي كما أشرنا سابقًا)_ فقد ذهب كاتز إلى القول بأسبقية الجمل بوصفها كليات تصدق على القولات بوصفها جزئيات، وهومن هنا ينظر الى الجمل مثل نظرة الافلاطونية المحدثة الرياضيين الى الاعداد، إذ كانوا يعتقدون بوجودها السابق على المعدودات، كما يذهبون الى أسبقية وجود الحقائق الرياضية والمنطقية عمّا هو معروف لدى البشر، ومن ثمّ فإنّ هذا الذهاب بهذا المذهب ينتهي الى أنّ القواعد التي تهتم بدراسة الجمل ما هي نظرية لكيانات مجردة(المصدر نفسه:١٣٣.كذلك: محمد يونس، 2004م:60)

وإزاء ذلك أحدث البراغماتيون انعطافة قوية في الدرس اللساني حين ارتكزت دراستهم على السلوك اللغوي آخذين بالاعتبار السياقات الفعلية دون أن تغفل أهمية النمذجة في الصياغة العلمية، على ما سيأتي عليه في المطلب التالي.

المطلب الثالث:(لسانيات الاستعمال في مشروع محمد يونس علي من خلال قراءته لنظرية الاستعمال عند ابن تيمية)

ينبغي قبل الشروع في الحديث عن قراءة يونس في نظرية ابن تيمية، أنْ نأتي إلى بواكير نظرية الاستعمال في الفكر الغربي المعاصر، إذ لا يخفى أنّ فلاسفة التحليل هم باكورة نظرية الاستعمال، فمن خلال طبيعة عملهم التحليلي وموقفهم الأنطولوجي من الكليات وذمّ النزعات الواقعية، يظهر أنَّ فيهم ميلا إلى المذهب الاسمي، وذلك عبر إقرارهم بعدم نجاعة الاعتماد على كيانات دون الاهتمام بوجود ما يقابلها في الواقع، إنّ جلّ اهتمامهم مصروف إلى العيني ذي الوجود الفعليّ في العالم، فطرائقهم في تحليل العبارات أو القضايا تعكس موقفهم الأنطولوجي من الكليات ومناهضة الميتافيزيقيا، إذ ترفض الوضعية المنطقية الميتافيزيقيا وترى أنّ عباراتها زائفة تشبه عبارات اللغة لكنها ليست منها، وهذه العبارات الزائفة تنشأ على إحدى الصورتين: فإمّا أن تدخل في العبارة مفهوم بغير معنى مثل المفاهيم (المطلق، الوجود العدم،... إلخ) أو كلمة من الكلمات ذوات المحتوى القيمي مثل(الخير ،الواجب، الجمال...إلخ). وإمّا أنْ يستخدم المتكلم ألفاظًا كلها من ذوات المعنى الخبري المفهوم، لكنه يرصّها على نحولا يرضاه منطق اللغة في استعمالها المألوف، لأنهاّ تخلو من معنى فعلي وليس فيها إلا استهواء عاطفي، أو التي هي مجرد مركبات نحوية صحيحة .(ينظر: الكوثر،2004م: :52 – 53، كذلك: د. محمود: 1983م: 112- 156)

كان مور وبرتراند رسل يهدفان في تحليلاتهما المنطقية إلى اقتلاع المشكلات الميتافيزيقة عبر معالجة المشكلات اللغوية، وذلك بإيجاد حلّ لمعاني الكلمات والعبارات التي لا تدلّ على واقع محسوس، من دون افتراض عالم المعاني المستقل عن الوجود الإنساني (ينظر: د. محمود: 1983م: من100-144. كذلك: في فلسفة اللغة، د. محمود فهمي زيدان: 17).

وقد نلمح عند فلاسفة التحليل من يقرّ باسميته بالإشارة –مثلًا- إلى نصل أوكام على غرار ما فعل فتجنشتين حين يقول: ((إذا لم يكن هناك ضرورة لعلامة ما، فإنها تصبح عديمة المعنى[الدلالة]وهذا هونصل أوكام)) (لودفج فتجنشتين، 1968: 3›328: 79) فعنده يظهر نزوع اسميّ ، وعلى إثره يشرع في تدشين خطاب إدانة شرسة تجاه النزعات الواقعية، بالنظر إلى ((أنّ معظم القضايا والأسئلة التي كُتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة، بل هي خالية معنى)). (المصدر نفسه: 1968: 003›4 83)

ويذهب رودولف كارناب إلى ضرورة ((أن نبرهن على أنّ مفهوم الواقع بمعنى الاستقلالية (عن الوعي العارف)لا ينتمي الى العلم العقلاني، بل الى الميتافيزيقيا)) (رودولف كارناب، 2011: 509) فبإنكاره وجود واقع مستقل عن الوعي تبَرز نظريته عن المعنى، فيجعل (المحتوى الواقعي)معيارًا لمعاني العبارات، إذ يكمن معنى العبارة في كونها تعبّر عن واقعة معقولة (لكنها ليست موجودة بالضرورة، فإذا لم تعبّر عبارة صريحة عن واقعة معقولة فلن يكون لها معنى، بل تكون عبارة في ظاهرها فقط، على حين إذا وصفت العبارة واقعة ما ، فإنها تكون صادقة إذا كانت هذه الواقعة موجودة، وكاذبة إذا لك تكن موجودة، وبذلك يمكننا أن نعرف أنّ العبارة دالة حتى قبل أن نعرف أنها صادقة أو كاذبة. (ينظر: المصدر نفسه، 2011: 569) وفي الوقت ذاته يطبق كارناب هذا المعيار على المفاهيم الميتافيزيقة (كالعدم، الوجود، الماهية...إلخ) فكلّ هذه المفاهيم زائفة خالية من أيّ معنى (ينظر: الكوثر،2004م: 53)،وكلّ ذلك سبيل إلى القول باستحالة قيام الميتافيزيقيا على أسس علمية صحيحة.

فالتصور التحليلي عند هؤلاء ليس ببعيد عن نظرية ابن تيمية في الاستعمال اللغوي، وهي نظرية نابعة-بحسب يونس- من موقفه الأنطولوجي تجاه الكليات والجزئيات، وهنا يمكن تجلية ما أثاره يونس في قراءته لخطاب ابن تيمية عبر هذه الفقرات:

نظرية ابن تيمية في الوجود:

لابن تيمية من الكليات موقف شهير يشي بنزعته الاسمية، نقول (يشي) ولا نجازف الى القول بإسميّته السافرة، فبموقفه هذا يضع نظريته في الاستعمال اللغوي على مقربة أكيدة من نظريات التخاطب المعاصرة، وهذا الموقف لم نجد أحدًا قبل الدكتور يونس يستغله ويقارب به الفكر التداولي المعاصر.

يرى ابن تيمية أنّ ما يثبته الفلاسفة من الكليات ((إذا حُقّق الأمر لم يكن لها وجود إلّا في العقل، وسمّيت مجرّدات ومفارقات لأنّ العقل يجرد الأمور الكلية عن المعيّنات)) (ابن تيمية الحراني،2005: 354) ومن هذا المنطلق

رفض واقعية كلّ من فيثاغورس وأفلاطون المفرطة، إذ يرى أنّهما ومن شايعهما نظروا إلى الأجسام الطبيعية، فعمّموا القدر المشترك الكلي، فصاروا يظنون ثبوته في الخارج، فكان فيثاغورس وشيعته أثبتوا أعدادا مجردة في الخارج، ثمّ تبعه أفلاطون وشيعته وهم يثبتون ماهيات كلية مجردة، مثل: إنسان كليّ وفرس كليّ، وزمان مجرد(=الدهر) ومكان مجرد(=الخلاء) ومادة مجردة عن الصور(=المادة أوالهولي الأولى) (المصدر نفسه، 2005: 108- 353. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م: 300).

وبذا يعتقد ابن تيمية بأسبقية الجزئيات على الكليات، من أنّ الكليات ما هي إلا نتاج لعملية عقلية يتم فيها تجريد الأفراد المندرجين تحت الكلي باستبعاد خصائصه المتميزة والتعويل على أوجه التماثل بينها، وهذا ما يسوّغ نقده للقياسيين وهم يركزون على أوجه الشبه ويتجاهلون السمات المميزة، وذلك أنّ إدراك الشيء وصفاته يتوقف على الحس الظاهر أو الباطن، أمّا إدراك العلاقات (كالعموم والخصوص والمماثلة والمشابهة والتغاير) فيكون بين صفة شيء وآخر ، ومن ثمّ تكون بالذهن، حيث ليس ثمة شبه في الخارج بين الأشياء التي نحكم عليها بالتشابه، بل الذهن هو الذي يحدد هذا النوع من العلاقة(ينظر: محمد يونس،2006: 133. كذلك: محمد يونس، 2004م: 51).

وعلى الصعيد نفسه يكشف ابن تيمية عن موقفه الوجودي إزاء ثنائية الماهية والوجود، إذ يرفض رفضًا شديدًا التمييز الذي قدمه الفارابي وابن سينا بين الاثنين، من كون الماهية والوجود موجودين وجودًا حقيقيًّا في الخارج (ينظر: محمد يونس،2006: 134) كما يرفض التفريق بين ما يسمونه الذاتي واللازم للماهية في الوجود والخارج، لأنّ وجود الشيء في الخارج عين ماهيته في الخارج))(الرد على المطقيين: 107) أي لا يوجد اختلاف حقيقي بينهما في الخارج، ومن ثمّ فإنّ أساس هذا الخلط نابع من الاصطلاح، فالفرق بينهما اعتباري محكوم بالوضع ووجهة نظر الواضع وتصوراته، وذلك أنّ(الماهية) منسوبة إلى الاستفهام ب(ما هو؟)حيث يطلب السائل تصوير الشيء في نفسه، وهو الثبات الذهني سواء أكان في الخارج أم لم يكن، وإلى ذلك غلب مصطلح الماهية على ما في الذهن، ومصطلح الوجود على ما في الخارج. (ينظر ابن تيمية الحراني،2005: 107. كذلك محمد يونس، 2006 :134).

إنّ ما يريده ابن تيمية هو أنّ الحقائق الخارجية لا يتوقف وجودها على تصوراتنا، فالذهن قادر على تصور أشياء غير موجودة في الواقع، لأنّ المقدر في الاذهان أوسع من الموجود في الأعيان، ومن ثمّ من الممكن التحدث عن أشياء بقطع النظر عن وجودها الخارجي، غير أنّ هذه الماهيات المتصورة في الذهن ليست حقائق ثابتة في الخارج، وليس لها وجود قبلي على الذوات (ينظر: ابن تيمية الحراني،2005: 106. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م: 309).

لحظ يونس أنُّ رؤية ابن تيمية هنا تبرز العلاقة الضرورية بين البنى اللغوية وبني العالم الخارجي، ومن ثم تظهر حاجة المتكلمين إلى التمثل الذهني، أي إلى أن يتمثلوا ما هو موجود في الواقع، أمّا حاجتهم إلى التجريد فأمر مقحم على اللغة، فالتجريد عملية عقلية مفتعلة زائدة على تصوير أو تمثّل ما في الخارج، فلا بدّ للمخاطبين من أن يكونوا مزودين بقدرات ذهنية تمكنهم من تصور القضايا البسيطة واستعمال اللغة استعمالا منسجما مع واقعهم، لتصبح البني اللغوية مرآة عاكسة للبنى الخارجية كما يرى فتجنشتين (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م :324-301) وذلك أنّ اللغة لكي تكون مثمرة ينبغي أن تكون محدودة بالواقع على ما يتضح ذلك من عبارة فتجنشتين الشهيرة ((إنّ حدود لغتي تعني حدود عالمي)) (المصدر نفسه: 1437-2016م: 138)

وبناءً عليه، فإنّ موقف فتجنشتين من الكليات وواقعية الفلاسفة لا يختلف كثيرًا عن موقف ابن تيمية، فبينما يفضل ابن تيمية ((أنْ لا نتكلم فيما لا نعلمه)) (الحراني، 2008: 436) يعلن فتجنشتين ((أنّ ما لا نستطيع أن نفكر فيه، هوما لا يمكن أن نفكر فيه، ولذا فنحن لا يمكننا أن نقول ما لا يمكن التفكير فيه)) (لودفج فتجنشتين، 1968: 138-61) ولعلّ يونس كان أول من شرع بالكشف عن وجه التشابه بين نظرية الاستعمال عند كلٍّ من ابن تيمية وفتجنشتين.

تسييق الحد:

إنّ موقف ابن تيمية من الحدّ نابع من موقفه من الكليات، إذ يرى أنه ليس ثمة شيء في العالم الخارجي يمكن عدّه من البسائطAtoms إذ هي في الحقيقة لا تعدو أن تكون كيانات افتراضية مجردة، وقد آل هذا الإنكار إلى رفض ما يسمى بالتصوّر الذي هو أحد نوعي الإدراك في الفلسفة، ويقصد به إدراك المفرد في مقابل «التصديق» الذي هو إدراك النسبة، أي إدراك الإسناد بين الموضوع والمحمول .وهكذا فإنّ المعرفة الحقة تقوم على إدراك القضايا ، أي ما يسمونه في المنطق بالتصديق، وليس على إدراك الألفاظ أو المفردات أو ما يسمونه في المنطق بالتصور(محمد يونس، 1437- 2016م :319-300-299.)

أنكر ابن تيمية على الفلاسفة تعظيمهم الحدود، وإلّا فليس الحد هو الذي يفيد معرفة المحدود، كذلك لا يقوم الحدّ بإحداث تصور لشيء لا يعرفه المخاطب، فإن كان المخاطب لا يعلم المحدود، فإن الحدود لن تضيف جديدًا على يعرفه سابقًا، وإن كان عالمًا بالوضع فإن الكلمة ستشير إلى ما تدلّ عليه (ينظر: ابن تيمية الحراني،2005: 374 – 375، كذلك: محمد يونس، 2006: 138. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م : 314) فالحد ينبغي أن يستخدم لبيان مراد المتكلم، فما ينبغي أن يُعرف من الحد هو مراد مستخدم الاسم ولغته، وليس معرفة المسمى من الاسم، ومن هنا فإنّ مراد المتكلم ليس غاية التخاطب فحسب، بل هو غاية الحدود أيضًا، ممّا يؤول الأمر إلى القول بأنّ الحدّ الصحيح ما يكشف عن مراد المتكلم (ينظر، محمد يونس، 2006 : 138) وهذا متوقف على ضرورة تسييق الحدّ وإدخاله في علاقة لغوية.

إنّ نقد ابن تيمية للحدّ قائم على إنكار المرجعية القبلية المتمثلة في الوضع والحدُّ، فالمتصوَّر من الحدّ يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة، وإنْ خفِيَ فإننا ينبغي أن نعوّل على مراد المتكلم، وذلك لأنّ مراد المتكلم من اللفظ أومن الحد لا يمكن بلوغه بمعزل عن سياقه وبمعزل عن القرائن اللفظية والحالية المكونة للمقام التخاطبي (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م : 315)

هذه الرؤية التحليلية إزاء التصوّر تضعنا في قلب موقفه من ثنائية(الجملة والقولة) في النظرية الاستعمال المعاصرة، فإذا طبّقت مواقفه تلك على هذه الثنائية، فستظهر أنها منسجمة مع تطلعات البراغماتيين الذين يصرّون على أنّه ليس للفظة معنى إلا وهي في سياق قضية (ينظر لودفج فتجنشتين، 1968: 75. كذلك: عليّ، 1984: 88) كذلك ابن تيمية يصرّ على أنّ الكلام لا يطلق إلا على الجمل التامة، وأنّ لفظ(الكلمة) لا يوجد في لغة العرب إلا اسمًا للجمل التامة التي هي كلام، ولا تطلق العرب لفظتي (كلم، كلام) إلّا على جملة تامة (ينظر: ابن تيمية الحراني،2005: 170. كذلك الفتاوى:12/ 62) وبهذا ((فإنّ كل ما يعزوه ابن تيمية إلى الكليات يمكن عزوه إلى الجمل، وكلّ ما يعزوه إلى الجزئيات يمكن عزوه إلى القولات)) (محمد يونس، 2006: 131) وهذا يتوافق الى حدّ بعيد مع موقف نظرية أفعال الكلام من الكليّات، فعند سورل أننا إذا أردنا أن نخبر بأنَّ كيانا ما موجود، فعلينا أن نختبر الأسس التي اعتمدت للبرهنة على وجوده)) (الأعمال اللغوية، جون ر. سورل:١٨٤.) فالكلية دأبًا مرتهنة بسياق استعمال محمولٍ موافق له، ولا تنال كلية ما أيّ معنى إلا في حدود واقعة. ومن هنا، فالكليات مرتهنة بالعبارات وليس العكس، وعندئذٍ فالعبارات الحملية سابقة للكليات. (ينظر: محمد يونس، 2006: 207)

بين الإطلاق والتقييد:

ترتبط هذه القضية عند ابن تيمية بمسألة الصلة بين المفهوم والماصدق: أهي صلة تناسب عكسي أم صلة تناسب طردي؟ يرى الاسميون الصلة بينهما قائمة على التناسب العكسي، فإذا زاد المفهوم قلّ الماصدق، وإذا قلّ المفهوم زاد الماصدق. على حين يرى الواقعيون أنّ الصلة بينهما قائمة على التناسب الطردي، فإذا زاد المفهوم زاد الماصدق، وإذا قلّ المفهوم قلّ الماصدق (ينظر: بدوي، 1963: 74) وهذا ما استعان به ابن تيمية حين أنكر استعمال اللفظ مطلقًا، وذهب إلى فكرة التقييد في الاستعمال، ومن ثمّ فـ ((كلّما زادت قيود اللفظ العام نقص معناه، فمثلا إذا قيل:(الإنسانُ والحيوانُ) كان معنى هذا أعمّ من معنى الإنسان العربي والحيوان الناطق)).(ينظر: الحراني، 2005: 20، 415، كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م : 314)

إنّ إصرار ابن تيمية على كون التقييد سمة ضرورية لوجود الكلي في الخارج ،ومن ثمّ تصوره في الذهن ولوضعه واستعماله ومعناه، كلّ ذلك-حسب يونس- لا يجعله فيلسوفًا اسميًّا متطرفًا، إذ لا ينكر ابن تيمية إمكان تصور المعنى الكلي في الذهن مجرَّدا، غير أنّه يرى أنّ شرط التقييد عائد على أنّ مقدرات الأذهان

ومتصورات العقول التي يحصل فيها ما لا وجود له في الخارج، وكذلك الحال فيما يتعلق بكون التقييد شرطًا، وذلك لأنّ ابن تيمية لا يؤمن بوضع معزول للسياقات الفعلية للكلام، فضلا عن موقفه من التأثيل _كما سنرى بعدُ_ فهو ينكر بشدّ أن يكون للغة وضع سابق على الاستعمال.(ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م : 312-313)

إذن، فالتقييد شرط ضروريّ لوجود الكلي في الخارج، وشرط في الاستعمال، ولكي يحافظ ابن تيمية على سمة الاطّراد في موقفه احترز من أن يعترض معترض على كون الألفاظ قد تأتي غير مقيدة، فذهب إلى أنّ التقييد لا يكون مقاليًا فحسب، بل يكون بالذكر ويكون بالسكوت أيضًا، وهوما يسمى بالدلالة العدمية أو السكوتية، فكما كان ذكر القيد أو نصب القرينة قيدًا للفظ، فكذلك الإمساك عن القيود الخاصة قيد (ينظر: الحراني، 2005: 20/ 413. كذلك: محمد يونس، 1437- 2016م : 314)

نسبية المعرفة:

لحظ يونس أنّ رفض ابن تيمية وجود حقائق خارجية مطلقة، وإصراره على وجود المعنى الكليّ في الخارج معيِّنا مقيِّدا، يقودان إلى القول ب»نسبية المعرفة» فلم تقتصر نسبيته على الحدّ فحسب، بل انسحبت على المعرفة أيضًا، وكذا على نظريته في السياق، وكلّ ذلك محكوم بتصوره التحليلي حول الكليات والجزئيات، فالكليات تختلف فيها العقول والجزئيات محكومة بالسياق الآني، فالأولى إذن أن تكون عرضة للنسبية(محمد يونس، 1437- 2016م: 316) إذ المعرفة، مثلما هو الحال في الحدّ، مسألة نسبية وليست مطلقة، فعلى الرغم من كون المعرفة ضرورية في حق الإنسان، فإنّ كثيرًا من الناس يحتاج فيها إلى نظر، وقد يستغني عنه في حال ويحتاج إليه في حال، وقد ترتب على ذلك تسفيهه تصنيف المناطقة للقضايا إلى يقينية وظنية، أو فطرية وكسبية، أو بديهية ونظرية، ومن ثمّ تفنيد كون هذه الصفات سمات لازمة لها (ينظر محمد يونس، 1437- 2016م: 315)

إنّ كون العلم ضروريًا ونظريًا، وكون الاعتقاد قطعيًا أو ظنيًا، إنما هو أمور نسبية، فقد يكون الشيء قطعيا عند شخص وفي حال ما، وهو عند آخر وفي حال أخرى مجهول، فضلًا عن أن يكون مظنونًا. وقد يكون الشيء ضروريًا لشخص وفي حال، ونظريًا لشخص آخر وفي حال (ينظر: درء تعارض العقل والنقل: 2/ 106 نقلا عن محمد يونس، 1437- 2016م: 315)

أمّا عن نسبيته بشأن السياق، فتظهر من خلال موقفه إزاء مفاهيم بالغ فيها المناطقة، فعنده أنّ مفهوم الجهة مفهوم نسبي، إذ التشريق والتغريب مفهومان نسبيان، وكذلك الزمن لأنّ القدم والحداثة نسبيان، وكذلك التقييم، لأنّ مفهوما الكمال والنقص والقلة والكثرة مفاهيم نسبية، وكذلك الرؤية إذ عدّ مفهومي الوضوح والخفة من الأمور النسبية (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م : 316)

يرى يونس أن نسبية ابن تيمية صدرت من إيمانه بقصور العقل البشري على بلوغ الحقائق المطلقة في ذاتها، فالناس يختلفون في تقديرها، إذ لا بدّ عند الحكم على الحقائق أو المعايير العقلية، من الرجوع لمرجع ما في السياق الذي يظهر فيه الحكم، وذلك لأنّ الأحكام دأبًا تتأثر بالعوامل الشخصية والحالية والزمانية والمكانية.

إنّ إعلاء ابن تيمية من شأن المعرفة الحسية والتجريبة، وتقديمها على العقل المطلق كما عند الفلاسفة، لا يمكن أن يُفهم على أنه يرفض وجود الحقائق المطلقة من حيث هي هي، أو أنه يقلل من قدرة العقل وفاعليته تمامل التقليلً، بل كان ذلك مرتبطا برؤيته التحليلية للكليات والجزئيات، فهو إذ يعطي الأولوية للجزئيات على الكليات، يعلم جيًدا أنّ الكليات ليس لها ضابط يضبطها لأنها ليست منحصرة في نوع معين، ومن ثمٌ فمن المتعسر تصورها، وعندئذ كيف لمن لا يستطيع أن يتصور الشيء الموجود أنْ يتصور جنسه؟! (محمد يونس، 1437- 2016م: 316)

العادة والألفة:

العادة –كما يرى يونس-من المصطلحات المفتاحية لنظرية ابن تيمية اللغوية، والمقصود منها الاستعمال المطّرد للفظ في مخاطبات متكلم ما (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م : 311)، وقد أضفنا مفهوم الألفة ليتسق مع مفهوم سيرل (familiarity) الذي يريد به ذلك الجانب الحاضر من الخبرة البشرية الواعية حين يختبر الأشياء. إذ يظل هذا الجانب موجودًا في مدارك الإنسان حين تصادفه أمور غير معهودة، ويتعذر الخروج عمّا اعتاده، فالأصل في الخبرة البشرية هو أننا حين نختبر الأشياء نختبرها على أنها مألوفة ، حتى وإن بدت غريبة. فالألفة إذن ظاهرة متدرجة. (ينظر: اللغة والعقل والعلم، صلاح إسماعيل: 120)

وسيرل، هنا، يكاد يتطابق مع آراء المدرسة السلفية حين يرون أنّ ((معرفة مراد المتكلم تعرف باطّراد استعماله ذلك اللفظ في ذلك المعنى في مجاري كلامه ومخاطباته، فإذا «أَلِف منه» إطلاق ذلك اللفظ، أو اضطراده في استعماله في معنى، ألف منه أنه متى أطلقه أراد ذلك المعنى وألف منه تجريده في موارد استعماله مع اقتران ما يدل على خلاف موضوعه، أفاد ذلك علمًا يقينًا لا ريب لمراده)) (ابن قيم الجوزية، 2007 : 231 وينظر: الحراني، 2005: 7/ 115) وذلك لأنُ المخاطب يهضم عبارة المتكلم حين يألف طرقه وأساليبه في القول، وكلّما قويت ألفته قوي لديه إمكانات الاستدلال القطعي وأصبحت دلالات النص معهودة لديه، ومن ثمّ تقلصت لديه موجبات الاحتمال الدلاليّ، لأن الكلام ((متى عُرف موضوعُه وعُرف عادة المتكلم أفاده ذلك القطع)) (ابن قيم الجوزية، 2007: 230)

ومدار هذا الأمر هو معرفة عادة المتكلم في الكلام التي تغدو مألوفة لدى المتلقي، فمن ((ذلك يعرف من عادة المتكلم في ألفاظه، فإذا كانت عادته أنه قصد بهذا اللفظ هذا المعنى، علمنا متى خاطبنا به أنه أراده)). (ابن قيم الجوزية، 2007: 230)

يخرج يونس ممّا تقدم إلى جملة من المبادئ التخاطبية اللازمة التي لا يكون الكلام دالًّا الا بافتراضها، وهي إجمالًا:(ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م: 311م)

1.افتراض أن المتكلم عاقل.

2.وأنّ للمتكلم عادة في استعماله لألفاظه.

3.وأنّه متعهد ضمنا باتباع عادته، أو أنه ينصب قرينة على خروجه عنها.

4.وأنَّ المخاطب يعرف عادة مخاطِبه، وأنه متقيد بها في كلامه.

5.كون المتكلم قاصدًا مريدًا مختارًا.

ولكن ينبغي الاحتراز من إمكان نزوع المتكلم قصدًا إلى التلبيس والإلغاز، وحمل اللفظ ((على معنى لم يُعهد استعماله فيه البتة)) (المصدر نفسه، 1437- 2016م: 320) فذلك ممّا يجوز في ضروب من الخطابات، ولكنّ على الرغم من كون ذلك واردًا، فإنَّ من يجنح إلى ذلك قصدا ((عُدَّ ملبسا مدلسًا لا مبينًا مفهمًا)) (ابن قيم الجوزية، 2007: 230) أمّا الكتاب والسنة فليس فيهما شيء من ذلك البتة، لأنّ ذلك يستحيل ((على اللّه ورسوله أعظم استحالة، وإنْ جاز على أهل التخاطب فيما بينهم))(المصدر نفسه، 2007: 230).وعندئذٍ ينبغي فهم مراد المتكلم في ضوء عادات أهل زمانه وأعرافهم، ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده لم تكن معروفة في زمانه (ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م: 312م).

وهكذا يتضح أنّ لمفهوم العادة معنى عام ((وهو عادة أهل اللغة في استعمال الألفاظ، ومعناه الخاص وهو عادة المتكلم بكلامه)) (محمد يونس، 1437- 2016م : 311م)

وممّا يرصده يونس في مفهوم العادة أمران على جانب كبير من الأهمية في نظرية الوضع والاستعمال، أمّا الأول فهو أنَّ مفهوم العادة أريد به في خطاب ابن تيمية أن يكون مرجعًا تفسيريًّا بديلا لمفهوم (الوضع الشائع) عند الجمهور، ومن الفروق الجوهرية بين الوضع والعادة، أنّ الوضع فكرة افتراضية تجريدية قائمة على الحدس والتخمين بمعزل عن النصوص الفعلية التي تستعمل فيها الألفاظ، أمّا العادة فتكتشف بتتبع نصوص المؤلف وما ناظرها من نصوص أهل اللغة ضمن السياقات الفعلية للكلام)) (محمد يونس، 1437- 2016م: 311م).

وأمّا الأمر الآخر، فهو وقوف يونس عند مفهوم (النظائر)إذ يكتسي هذا المفهوم أهمية كبيرة في إطار نظرية التأويل، لأنّ تتبع النظائر في نصوص أهل اللغة يعين على فهم مراد المتكلم وأغراضه من خطاباته، فإذا بدا خروج الكلام في موضع ما عن نظائره، فلا بدَّ من أن يردّ إليها بضرب من التأويل، ولعلّ هذا الموضع هو الموضع الوحيد الذي دعا فيه ابن تيمية وابن القيم بشكل صريح الى التأويل من باب ردّ الشاذ الى أشباهه ونظائره (المصدر نفسه، 1437- 2016م: 312م).

بؤس التأثيل:

تتعلق هذه الفقرة بموقف ابن تيمية من المجاز، غير أنّ ابن تيمية حاصر المجاز من أكثر من جانب، حتى توسعت حججه وكثرت ردوده، ممّا يعني أنّ ما تناوله يونس عن موقف ابن تيمية من المجاز تنتظر دراسة خاصة، فضلًا عن أنّ ما تناولناه هنا قبل صفحات يتضمن أشياء معينة من نقود ابن تيمية للمجاز، ومن ثمّ سنكتفي بردّه المتعلق بقول أنصار المجاز بوجود الوضع السابق على الاستعمال، فهذه المسألة أشدّ اتصالا بموضوع هذه الدراسة من بين كلّ ردود ابن تيمية على القائلين بالمجاز.

يعني التأثيل (Etmology) علم دراسة أصل الكلمات وتطورها (محمد يونس، 2004م: 62) ويعدّ فرعًا محترمًا من اللسانيات التعاقبية، غير أنّ عيبه يكمن في إساءة استعماله عند أنصاره، على ما أشار إلى ذلك جون لاينز وسمّاه (الزيف التأثيلي) وذلك حين يصرّ المؤثّل إلى إثبات أصل الكلمات بحجج يصعب التحقق منها، وكان ابن تيمية وابن القيم قد سبق أن قاما بنقد أنصار المجاز وهم يستعينون بالمنهج التأثيلي في التمييز بين الحقيقة والمجاز في ظلّ صعوبة التحقق من أصل اللفظ وعدم وجود أدلة كافية تثبت بسبق أحدهما على الآخر(المصدر نفسه، 2004م: 63)غير أنّ هذا لا يعني أنّ موقف ابن تيمية وابن القيم من التأثيل كان سافرًا، فهذا من التجنّي بمكان، إذ يتميّز الاثنان بقدرة عجيبة على تأثيل الألفاظ ويستخدمانه بأريحية في مناسبات كثيرة.(وقد مرّ بنا قبل صفحات كيف يؤثل ابن تيمية لمصطلح(الماهية)ومثل ذلك تأثيلات ابن القيم لمفاهيم كثيرة، ينظر مثلا في كتابه بدائع الفوائد لا على سبيل الحصر تأثيل لفظ الجلالة1/ 26، وتأثيل كلمة(خناس)1/327، وتأثيل كلمة(مدينة) 2/677)

وعلى أيٍّ، فإنّ ابن تيمية يعترض أشدّ الاعتراض على قولهم: إنّ الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو المستعمل في غير ما وضع له. وكان جواب ابن تيمية لقولهم هذا: أنّ هذا يحتاج إلى إثبات وضع سابق على الاستعمال وهذا متعذر (ينظر: الحراني، 2005 : 7/ 144) أي أنّ من المتعذر في ظلّ غياب مصادر تاريخية أن نثبت أنّ كلمة ما وضعت لأول مرة لمعنى ما، ثم استعملت مجازًا بمعنى آخر، فالركون الى ذلك قد يُلجِئنا الى افتراض أصول لا تخلو من الخلط والتوهم، ومن ثمّ فإن وجهة النظر التأثيلية أو التعاقبية غير صالحة لإثبات المجاز (ينظر: محمد يونس، 2006: 152. كذلك محمد يونس، 1437- 2016م: 307)

إن افتراض الوضع السابق على الاستعمال لا يمكن قبوله إلّا في حال إذا ثبت ((أنّ مجموعة من الناس:

أ_اجتمعوا واتفقوا على إسناد أسماء الى ما هو موجود في العالم الخارجي.

ب_ثمّ استخدموا تلك الألفاظ لتلك المعاني.

ج_وبعد اجتماع آخر وافقوا على استخدام الألفاظ نفسها لمعان مختلفة بمقتضى العلاقة بين المعاني الأصلية والمعاني الطارئة، وسموا الألفاظ التي تدلّ على المعاني الأصلية حقائق، والألفاظ التي تدل على المعاني الطارئة مجازات)) (محمد يونس، 2006: 152)

فكلّ ذلك غير مقبول يصعب تبنّيه، ومن هنا لا يعطى لأحد الاثنين (الوضع والاستعمال) الأولوية على الآخر، ولا يقال إنّ أحدهما أسبق من الآخر.

إنّ مقصد ابن تيمية من ذلك ليس بعيدا عن موقفه الأنطولوجي الذي لا يرتضي الإقرار بسبق كيان ما على الآخر، فقد يترتب على هذا الذهاب إلى جوهرانية أشياء وموجودات وكونها حقائق وجودية مفارقة، مع أنها ليست مستقلة عن المحسوسات.

وهكذا يربط يونس نظرية الاستعمال لابن تيمية بمذهبه العقديّ من وجود الله تعالى ومن صفاته، وبحرصه الشديد على أنْ لا تترك آراء الفلاسفة والمتكلمين واللغويين آثارًا سيئة على معتقدات الناس تجاه الله تعالى، أو آثارًا تمسّ أسماءه وصفاته جلّ في علاه، ولهذا كان ابن تيمية حريصًا على بيان الصلة بين نظرياته اللغوية وما يرتبط بها من قضايا كلامية، إذ كشف من خلال خطابه عن حرصه على الوجود الخارجي المطلق لله تعالى، وهذا لا يتأتى بنفي صفاته أو بفصلها عن ذاته، فكلّ ذلك ينقص من كمال وجوده الحقيقي، وما تعطيل الصفات وفصلها عن الذات إلّا عملية افتراضية ليست لها تحقيقات خارجية (ينظر: محمد يونس، 1437-2016م: 317).

وحقًّا، فإنّ لغويات ابن تيمية لم تكن لغاية اللغة في ذاتها، بل كانت مرتبطة بمعتقده، وكان ما يبديه من خوف تجاه الكليات نابع من إيمانه الشديد بأنّ اللغة لو ظلتْ بغير ضابط لكان بمقدورها أن تفرض واقعًا زائفًا على الناس، فقد تغيّر قناعاتهم وتزعزع إيمانهم بمعتقداتهم، وهكذا فإنّ موقفه من الكليات لم يكن الغرض منه مجرد تصحيح رؤية منطقية فحسب، بل كان الغرض من ذلك خوفه من أنْ يضفي المسلم على الألفاظ مسحة سماوية لا ينبغي لها، أو يعاملونها معاملة الحقائق السماوية، أو على الأقل يسيئون استعمالها.

ولكن بقي أن نسأل: هل كان ابن تيمية اسميا؟.

من خلال قراءتي لم ألحظ في دراسات يونس إشارة إلى كون ابن تيمية اسميًّا، ولا إلى كون فتجنشتين اسميًّا، ولا إلى كون شومسكي واقعيًا، فقد سكت يونس عن ذلك، غير أنَّ سكوته كان حميدا، لأنّ وضع فيلسوف ما أوتوجه ما في خانة مذهبية يعدّ مجازفة كبيرة، فليست هناك واقعية خالصة ولا اسميّة خالصة إلا حين يُصرّح أحدهم بذلك على غرار تصريح كاتز بواقعيته وتصريح فتجنشتين بنصل أوكام الشهير، فالمسألة نسبيّة، اللهمّ نعم إنّ المذاهب الثلاثة تحدّد موقف المدارس والعلماء إزاء مشكلة الكليات، غير أنّ تصنيف مدرسة ما ، أوعلم من أعلام الفكر، بالانتماء إلى هذا المذهب أو ذاك صعب ، فعلى مستوى الخطاب الواحد بكلّ تشعباته لا يمكن وضع حدود فاصلة بين هذه المذاهب ، وكذا يصعب على المدارس والأعلام الإخلاص لأحد هذه المذاهب(ينظر: محمد يونس، 1437- 2016م :326)، وإذّاك يظلّ تصريح العالم بالانتماء إلى أحدها، وبيان موقفه من الكليات هما الفيصل في كونهِ واقعياً أو اسميًّا أو تصوريًّا، أو أنّه كان في تلك

المسألة واقعياً وفي تلك اسميًا وفي تلك تصوريًا، والأمر كذلك مع ابن تيمية فكونه إسميًا أو واقعيًا رهن باسقراء كلّ مواقفه.(ينظر: هل كان ابن تيمية اسميًا.)

وقلْ ذلك أيضًا عن الدكتور يونس، إذ لا نستطيع وضع مشروعه في خانة الاسميّة، وإنْ كنا نلمس فيه ميلًا إليها، نظرًا لانشغاله بفكرة التخاطب أو الاستعمال ذات الخلفية الاسمية. ولكن القول بأنه اسميّ أو ذو مشروع اسمي سافر، فهذا ممّا لا نجرؤ عليه.

الخاتمة

_لم تعد ثنائية الواقعية والاسمية بالقوة والحدّة ذاتهما في العصور الحديثة، ولكن بقيت آثارها في الحقول المعرفية، فطبيعة التعامل مع الظواهر يتحدّد في الغالب بموقف انطولوجي معيّن إزاء الكليات.

_إنّ التوجهات اللسانية المعنية بنظام اللغة تتراوح بين الواقعية والتصورية، بالنظر إلى أنّ عنايتها تنصرف إلى الكليِّ بدلا من الجزئيّ، إلّا أن عنايتها بالكليات لم تكن متطرفة كما الحال لدى أفلاطون، اللهمّ إلّا كاتز الذي صرّح بخروجه عن عقلانية شومسكي، وذهب مذهبا بعيدًا، فيه يثبت أنّ للكليات اللسانية المتمثلة بالقواعد وجودًا سابقًا على اللغة.

_إنّ التجريد ضرورة لكلّ علم، ولكنّ الإيغال في التجريد قد ينتهي إلى أمثَلة قواعد اللغة، ومن ثم التمركز على الكليات اللغوية في منأى عن واقع الجزئيات والظواهر التي هي قيد الدرس.

_إنّ التوجُّهات اللسانية التي تعنى بالجزئيات على الكليات ظهرت مع الانعطافة البراغماتية التي جهدت إلى تسييق اللغة وربطها بالحياة، فاللغة لا تكتسب حيوتها الا في وجودها مستعملة في سياق محددة بالزمان والمكان.

_تركت قراءة يونس لنظرية ابن تيمية أثرًا كبيرًا في الدرس التداوليّ العربي، إذ كانت قراءة حصيفة من شأنها أن تؤكِّد أصالة البحث اللساني عند العرب من جهة، فضلا عن قدرتها على إزالة اللبس الكبير الذي يقع فيه مخالفو ابن تيمية قديما وحديثًا، وذلك لأنه يرى أنّ فهم ابن تيمية متوقف على مدى إيجاد القارئ الخيط الذي يربط آراءه ومواقفه عن اللغة والسياق والاستعمال، بنظريته في الوجود.

مصادر الدراسة ومراجعها

_إصلاح العقل في الفلسفة العربية، من واقعية أرسطو وأفلاطون إلى اسمية ابن تيمية وابن خلدون، د. أبو يعرب المرزوقي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1996م.

_أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديووتشومسكي)، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،2001م.

_الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، جون. ر.سورل، ترجمة أميرة غنيم، مراجعة محمد الشيباني، دار سيناتر المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015م.

_البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، ضبط نصوصه وخرج احاديثه وعلق عليه محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

_بحوث فلسفية، تأليف لودفج فتجنشتين، ترجمة وتعليق المرحوم د. عزمي إسلام، مراجعة وتقديم د.عبد الغفار مكاوي، جامعة الكويت، د.ت.

_تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، يوسف كرم، راجعته ونقحته د. هلا رشيد أمّون، دار القلم، د.ت.

_البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة، رودولف كارناب، ترجمة وتقديم يوسف تيبس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011م.

_البنى النحوية، تأليف نوم جومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية ال6امة، بغداد، 1987م.

_البنيوية، جان بياجيه، ترجمة عارف منينة وبشير أوبري، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت، 1971م

_الجمهورية، أفلاطون، ترجمة حنا خباز، مصر، د.ت.

_دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، تعريب صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985م.

_رسالة منطقية فلسفية، لودفج فتجنشتين، ترجمة د. عزمي إسلام، مراجعة وتقديم د. زكي نجيب محمود، مكتبة الانجليزية المصرية، 1968م.

_الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة مع تكملة من مختصر الصواعق المرسلة، للإمام ابن قيم الجوزية، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2007

_علم التخاطب الاسلامي، دراسة لسانية للمناهج علماء الأصول في فهم النص، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الاسلامي، طرابلس،2006م.

__الفتاوى الكبرى، لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م.

_الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرين الإسلام، د. ناجي التكريتي، ط2، .دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1982م.

_فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار، د. منذر الكوثر، دار الحكمة، لندن،2004م.

_فلسفة العصور الوسطى، تأليف عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،1962 م.

_الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، بشير خليفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.

_فلسفة هانز ريشنباخ، د. حسين علي، ط2، دار المعارف بمصر، 1984م.

_قواعد المنهج في علم الاجتماع، إميل دوركايم، ترجمة محمود قاسم، مراجعة د. السيد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961م.

_كتاب الرد على المنطقيين، المسمى نصيحة أهل اليونان في الرد على منق اليونان، للإمام أبي العباس احمد بن عبد الحكيم ابن تيمية الحراني، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، راجعه محمد طلحة بلال منيار، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.

_كتاب النفس، لأرسطوطاليس، نقله إلى العربية د. أحمد فؤاد الأهواني، راجعه الأب جورج شحاته قنواتي، الهيئة المصرية للكتاب، 2009م.

_اللؤلؤ الوقاد في فتاوى الاعتقاد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، جمعه ونسقه وخرج أحاديثه واعتنى به محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2008م.

_لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711 هـ) دار الحديث، القاهرة، 2003م.

_اللسانيات من المدونة الى الحدس قراءة في تحول الموضوع، عبد السلام شقروش، بحث ألكتروني، aleph edinum>org

_مجموع الفتاوى، لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، ط3، دار الوفاء، 2005م.

_مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصار محمد بن الموصلي، مطبعة المدني، القاهرة، 1349هج.

_مداخل لنظرية اللغة، لويس هيلمسليف، ترجمة يوسف إسكندر، مراجعة حسن ناظم، الناشر جامعة الكوفة سلسلة دراسات فكرية، 2018م.

_مدخل الى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2004م.

_المدخل إلى البنائية، د. أحمد أبو زيد، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1995م.

_المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد الفيومي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

_معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، طبع في مجلد واحد، اعتنى به د.محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار أحياء التراث العربي، 2008م.

_المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الاسلامي، 2007م.

_المغزى الإيديولوجي لاجتماعية الانتحار عند إيميل دوركايم، سعد رفعت سرحت، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، م(29) ع(1) ج(2)، 2022م.

_المقابسات، لأبي حيان التوحيدي، تنسيق وتعليق وشرح وفهرسة د. علي شلق، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

_مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2004م.

_المنطق الصوري والرياضي، عبد الرحمن بدوي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1963م.

_الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن العربية فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1983.

_من أفلاطون إلى ابن سينا، محاضرات في الفلسفة العربية، جميل صليبا، ط4، دار الاندلس، د.ت.

_الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، بإشراف روزنتال، وي. يودين، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

_موقف من الميتافيزيقا ،د. زكي نجيب محمود،ط2، دار الشروق، بيروت، 1983م.

_ نظرية الاستعمال اللغوي عند ابن تيمية وفتجنشتاين: دراسة لسانية، أ. د. محمد محمد يونس علي، مجلة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع (17) رجب1437 مايو 2017م.

_هل كان ابن تيمية فيلسوفًا اسميًا؟ دراسة تحليلية نقدية في قراءة أبي يعرب المرزوقي لابن تيمية، عبد السلام شكري، رائد السمهوري، مجلة تباين، ع(8/31) شتاء 2020م.

مفهوم التناظر بين الدّراسات القرآنية والنظريات اللّسانية الحديثة

د. عائشة محمد وقاد*

* أستاذة الدراسات اللغوية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات/ جامعة البليدة - الجزائر

الملخص:

إنّ المتمعّن في تاريخ مصطلح «التناظر» يدرك قيمته المفهوميّة من خلال التراسل المعرفيّ بين العلوم قديما وحديثا، ويرى أثره في بناء نظريات لسانية حديثة، أساسها التنظير بين العلوم لتتمايز في باب المفهوم والمسلّمات، وهدفها التقريب بين الخصائص العلمية لهذا المصطلح من زوايا الإشكاليات المطروحة في ظلّ العلوم البينية، واستثمار نتائجها في توضيح المقاصد المبهمة، أو كشف الآثار الإعجازية الخفيّة في القرآن الكريم، أو تحقيق مقاصد علميّة حديثة.

وتأسيسا على هذا كان للتناظر أبعاد نظريّة وأخرى تطبيقيّة، وغايات ومقاصد في الدّراسات القرآنية، وآثار في بلورة النظريّات اللّسانيّة الحديثة، وتجسيرا لجمع شتات القضايا العلميّة التي تقتضي تداخل بعض العلوم لحلّ إشكاليات تخصّ علما محدّدا دون غيره.

وبناء على هذه الأبعاد جاءت هذه الورقة العلميّة لتوضيح مقاصد مفهوم التناظر بين الدّراسات القرآنية والدّراسات اللّسانيّة العربية الحديثة، وكذا لعقد مقارنة بين التراث العلمي الإعجازي لمفهوم التناظر في القرآن الكريم والتناظر في النظريات اللسانيّة الحديثة، والعمل على إبراز أثرها في تحقيق التكامل المعرفي ضمن العلوم البينيّة الحديثة.

الكلمات المفتاحيّة: التناظر، المفهوم، المصطلح، الدراسات القرآنية، اللسانيات الحديثة

The concept of correspondence between Quranic Studies and Modern Linguistic theories

Dr. Aicha Mohammed Ouggad *

Professor of Linguistic Studies in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Language/University of Blida – Algeria

Summary:

Those who study the history of the term "symmetry" realize its conceptual value through the cognitive correspondence between the ancient and modern sciences, and see its impact in the construction of modern linguistic theories, based on theorizing between the sciences to differentiate in the concept and postulates, and its goal is to bring the scientific characteristics of this term closer from the angles of the problems posed in the light of cognitive convergence, and investing its results in clarifying vague purposes, or revealing the miraculous effects hidden in the Holy Qur'an, or achieving modern scientific purposes.

Based on this, symmetry had theoretical and applied dimensions, goals and objectives in Quranic studies, implications in the development of modern linguistic theories, and a bridge to bring together the diaspora of scientific issues that require the overlap of some Sciences to solve problems related to a specific science and not others.

Based on these dimensions, this scientific paper came to clarify the purposes of the concept of symmetry between Quranic studies and modern Arabic linguistic studies, as well as to compare the miraculous scientific heritage of the concept of symmetry in the Holy Quran and symmetry in modern linguistic theories, and work to highlight its impact on achieving cognitive integration within modern interdisciplinary sciences.

Keywords: Symmetry, concept, term, Quranic studies, modern linguistics

مقدّمة:

إنّ المتمعّن في مفهوم التناظر يدرك أنّ للبعد اللّغوي أثر في صياغة المصطلح المتخصص للعلوم، ذلك أنّ «التناظر» مأخوذ في اللّغة من الجذر اللّغوي «نظر» ويعني التأمّل في الشّيء ومعايَنتِه، ومن هذا المفهوم اشتقّ مصطلح «النّظريّات» في العلوم، وتعني «تمكين الشّخص من النّظر، وملاحظة المعلومات الواقعة ضمن تلك الحركة، وترتيبها على وجه يُؤدّي إلى استعلام ما ليس بمعلوم». (الكفوي، 1998، صفحة 904:)

والنّظريّة بالمفهوم الاصطلاحي «هي مجموع منسجم من الافتراضات القابلة للتقصّي؛ فالافتراض، والانسجام، والتقصّي، مفاهيم أساسيّة تحدّد بعد النّظريّة». (علوش، 1985، صفحة : 219) وبالتالي فالنظريّة عبارة عن بناء عقلي لمجموع الفرضيّات، تبدأ بالاستقراء وتنتهي بالاستدلال؛ وعند طرحنا لمفهوم النّظريّة فإنّها تحمل في دلالتها قضايا نظريّة تختلف باختلاف التصوّرات والفرضيّات، فيختلف مفهومها باختلاف الأغراض المتوخّاة لأجل ذلك، ومن هنا تعدّدت عباراتها بتعدّد اعتباراتها.

من هذا المنطلق كان «للتناظر» أبعاد أنطولوجيّة تتقاطع فيه العلوم، وتتماسّ فيه بعض الخصائص المركزيُّة التي قد تشكّل مستقبلا علوما بينيّة جديدة، وعلى هذا تمثّلت إشكاليّة البحث في تساؤل عامّ مفاده: إلى أيّ مدى يمكن القول بوجود تأثير للدّراسات القرآنية العلميّة الإعجازيّة التراثية على مقاصد مفهوم «التناظر» في الدّراسات اللّسانيّة العربية الحديثة؟

وما أهمّ الآثار التي يتركها التراث العلمي الإعجازي في تحقيق التكامل المعرفي ضمن العلوم البينيّة الحديثة؟

1.مفهوم التناظر بين الدّراسات القرآنية والدراسات التراثية العربية:

أ.مفهوم التناظر في العلوم التراثية:

يعود مفهوم «التناظر» في الدّراسات اللّغويّة التراثيّة العربيّة إلى الاشتقاق الصّرفي «نظير» على وزن «فَعِيل»، ولذا نجد أبا هلال العسكري (ت395ه) ذكر حدّه بقوله: «النظير ما قابَلَ نَظِيرهُ في جنس أفعَالِه وهو مُتمَكّن منها، كالنّحوي نظير النّحوي وإن لم يكن له مثل كلامه في النّحو، ولا يُقَال النّحوي مثل النّحويّ لأنّ التماثل يكون حقيقة في أخصّ الأوصاف وهو الذّات». (العسكري، 2012، صفحة : 481) وعليه فإنّ المقصد الذي توخاه «أبو هلال العسكري» هو وجود فرق دقيق بين «التماثل» و«التناظر»، ذلك أنّ «التماثل» لا يكون إلا في الأشياء المُمَثّل لها من جنسها فهي مخصوصة، أمّا «التناظر» فلا يشترط فيه وجوب وجود ناظره من نفس المجموعة، ولذا كان أعمّ.

وإذا ربطنا هذا المفهوم بالقرآن الكريم، نجد صحّة دلالته في قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وهو السَّمِيعُ البَصِير] [11: الشورى]، ولمّا كان نفي المثيل في أخصّ الأوصاف للذات الإلهيّة، وجب بالضّرورة نفي العموم من النّظير، وجاءت الكاف لتأكيد نفي المثل والشّبه عن ذات اللّه عزّ وجلّ، فذهب «ابن عطيّة» (ت541ه) إلى أنّ » نفي التشبيه أوكد ما يكون، وذلك أنّك تقول: زيد كعمرو، وزيدٌ مثل عمرو، فإذا أردت المبالغة التامّة قلت: زيد كَمِثل عمرو؛ فجرت الآية في هذا الموضع على عُرف كلام العرب، فإذا أردت أن تتبع بذهنك اللّفظ فتقدّر للجذوع مثْلاً موجودا وتشبّه بذلك المثل ما أمكنك، ولا يمكنك هذا في جهة اللّه تعالى إلّا أن تجعل له ما يتحصّل في الذّهن من العلم باللّه تعالى، إذ المِثْل والمثال واحد». (الأندلسي، 1905، صفحة : 1663)

وذكر «ابن عاشور» (ت1393ه) في تفسيره أنّ صاحب الكشّاف قدّم وجها ثانيا للآية غير ما ذكره «ابن عطيّة» فقال: »وأنّ التقدير: ليس شبيه مثله شيء. والمراد: ليس شبه ذاته شيء، فأثبت لذاته مثلا ثمّ نفى عن ذلك المثل أن يكون له مماثل كناية عن نفي المماثل لذات اللّه تعالى، أي بطريق لازم اللّازم لأنّه إذا نفي المِثْل عن مِثْلِه فقد انتفى المثل عنه إذ لو كان له مثل لما استقام». (عاشور م.، 1984، صفحة : 46)

وقد ورد هذا التفسير رغم تعقيده على شاكلة القاعدة الرياضية التي ترى نفي النفي إثباتا في المنطق الرياضي، والنحو العربي، وغيره من العلوم، ذلك أنّ انتفاء المثل يجعل من انتفاء التشبيه تأكيدا لوجه من وجوه الإعجاز البلاغي.

ويعقّب «ابن عاشور» على خلاصة تفسير هذه الآية بقوله: »فالآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مماثلا لله تعالى في صفات ذاته، لأنّ ذات اللّه تعالى لا يماثلها ذوات المخلوقات، ويلزم من ذلك أنّ كلّ ما ثبت للمخلوقات في محسوس ذواتها فهو منتف عن ذات اللّه تعالى، وأنّه لا شبيه له ولا نظير له». (عاشور ا.، 1984، صفحة : 47)

ومن هذا الباب الواسع «للتناظر» اختلف العلماء في تفسير بعض الآيات القرآنية التي وردت بها ألفاظ نظيرة في معناها لما يدركه الإنسان بالنظر، فعمدوا إلى إثبات الصفة ونفي الهيئة تنزيها لذاته عز وجلّ، ومن ذلك قوله تعالى: [يدُ اللّه فَوق أيديهِم] [10: الفتح]؛ وقوله أيضا: [بَل يَدَاه مَبسوطَتان يُنفِق كَيف يشاء] [64: المائدة]، وقوله أيضا: [فَأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه] [115: البقرة]، وقوله أيضا: [الرَّحْمَانُ عَلى العَرْشِ استوى] [05: طه]؛ ولذا كانت التفاسير في التراث العربي تعمد في طريقة تأويلها عند المتأخرين على التفسير التفصيلي لدقّة المعاني التفصيلية وإعجازها، ومن ذلك تأويلهم لليد بالقدرة، وبسط اليدين بالجود، والوجه بالذّات، والاستواء بالقسط والعدل، وعلى هذا الأساس أثبتوا الصّفات لرسوخها في الذات الإلهية، وأنكروا الكيفية والهيئة لارتباطها بالحالة المجهولة التي يعجز العقل عن إدراكها، ناهيك على أنّها مصدر

للتقلّب والتحوّل مصداقا لقوله تعالى: [يسأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَ الأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُو فِي شأن] [29: الرحمن]. ونتيجة لذلك عدّ أهل العربيّة «النظائر» في اللّفظ و»الوجوه» في المعاني، لاحتمالها التأويل بعدّة أوجه، ذلك أنّ الألفاظ قد تتناظر وتتشابه في التسمية والجذر الاشتقاقي، غير أنّ معانيها تختلف، ولذا كانت القاعدة العامّة في اللّغة العربيّة تنصّ على أنّ كلّ زيادة في المبنى هي بالضرورة زيادة في المعنى، »وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع المعجزات للقرآن الكريم، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرّف إلى عشرين وجها، وأكثر وأقلّ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر، ولذلك في القرآن تفضيل». (التهانوي، 1996، صفحة : 1704)

وعرّف «أبو الحسن الرماني» (ت384ه) «النظير» بقوله: »هو الشبيه بما له مثل معناه، وإن كان من غير جنسه، كالفعل المتعدي نظير الفعل الذي لا يتعدّى في لزوم الفاعل، وفي الاشتقاق من المصدر، وغير ذلك من الوجوه». (الرماني، 1984، صفحة : 72)

والمقصود بالنظير عند «الرماني» هو التماثل في الحكم والتكافؤ من باب التقعيد للقواعد النحوية على اختلاف الأبواب النحوية، كقاعدة الفعل المتعدي الذي يتناظر مع الفعل اللازم.

وجدير بالذّكر أنُّ «التناظر» ذكِر في علوم أخرى تراثيّة كعلم الكلام الذي يختصّ بدراسة الاستدلال من باب التناظر في الأشياء وإثبات وجودها على هيئة تتماشى مع العلوم العقلية والنقلية، وقد كان «للمُنَاظَرة» نصيب في استحداث العلوم العقلية اليوم وإثباتها بسَوْقِ الدّليل والحجّة تأكيدا أو نفيا للأفكار، فكان حدّه: » هو علم يعرف به كيفية آداب وإثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم، وهذا يوجب النظر من الجانبين في النسبة بين شيئين إظهارا للصواب». (التهانوي، 1996، صفحة : 1652)

وعليه فالقصد « بالمناظرة» في التراث العربي ما نعرفه اليوم في اللسانيات الحديثة بـ»اللسانيات الحجاجيّة» التي تقوم على مبدأ التناظر في ذكر الحجج لدحض مسألة لغوية، أو إثبات وجهة نظر، أو للترجيح بين الآراء باعتماد الحجّة والدّليل؛ ونتيجة لذلك كان للقرآن الكريم أثر في صياغة الخطابات الحجاجية بناء على التناظر في الأقوال والأفعال، بغرض إقامة رأي أو هدم آخر.

وقد ربط «القاضي الباقلّاني» «النّظر» بالبيان والحجّة والدّليل والمعنى للتوصّل إلى العلم الصّحيح، فقال: »الدّليل الذي يتوصّل بالنظر فيه إلى فعل العلم الذي هو دليل عليه، وإن كان البيان قولا مُظهِرا لمعناه. فالنظر فيه إنّما هو للعلم بالمواضعة على معناه وأنّ كلّ ما سمعه من لا يعلم ما وضع لإفادته إذا لم يعرف المواضعة». (الباقلاني، 1998، صفحة ج/3: 371)

والمقصود بذلك: أنَّ سوْق الدّليل لا يكون إلّا في باب البيان الّذي يقضي الحجّة إثباتا أو نفيا، لتحقيق فعل العلم وتحصيله بالبرهان العقلي مواضعة لا اعتباطا، ذلك أنّ الإنسان بفطرته جاهل يحتاج للتعلّم والممارسة المنطقية للفعل التعلّمي.

ثمّ إنّ «النظر» عند «أرباب التعاليم» هو: »ترتيب أمور معلومة للتأدّي إلى مجهول، إذ العلم والمعلوم متحدان والترتيب فعل اختياري لا بدّ له من علّة غائيّة». (التهانوي، 1996، صفحة : 1706)

والقصد من هذا أنّ مفهوم «النظر» عند أصحاب التعليم والتعلّم، هو استحداث مناهج تعليميّة وطرق تدريسيّة يراعى فيها ترتيب المعلوم، لاستحداث مسائل مجهولة، بشرط مراعاة الغاية من هذا الترتيب وفق الاختيار الأسلم؛ الأمر الذي يفضي بنا إلى خلاصة مفادها أنّ طرق بناء المناهج التعليمية التعلميّة موجود في تراثنا من باب «النظر والتناظر»، ذلك أنّ النّظر في الطريقة الأنسب للتعليم تتوافق مع الغاية التي وضع لها ترتيب علم معيّن، مما يساهم في بناء تناظر بين المادّة التعليميّة وسن المتعلّم، ومنهاج التدريس، وعليه قيست العملية التعلمية التعليمية الحديثة وبنيت على أساس «التناظر» بين أقطاب المثلث التعليمي مستوحاة في تصميمها من الرياضيات الهندسية.

وعلاوة على ذلك نجد «ابن خلدون» (ت808ه) قد جسّد النظرة التاريخيّة لمفهوم «التناظر» وعدّه فرعا من فروع الهندسة، وصاغ مفهومه بقوله: »هو علم يتبيّن به أسباب الغلط في الإدراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أنّ إدراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي، ثمّ يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبيرا والبعيد صغيرا، وكذا رؤية الأشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الأجسام الشفافة كبيرة، ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما، والشعلة دائرة، وأمثال ذلك؛ فيتبين في هذا العلم أسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسيّة، ويتبيّن به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض التي ينبني عليه معرفة رؤية الأهلّة وحصول الكسوفات، وكثير من أمثال هذا». (خلدون، 2004، صفحة : 259)

إذ من الطبيعي أنْ يكون إدراك البصر قاصر في النّظر لدى الإنسان للأشياء من حوله، غير أنّ العقل منوط بتقديم تفسيرات علمية تعكس المفهوم البصري عن المفهوم العقلي، وذلك بالبرهنة على المفاهيم العكسية الناتجة عن النّظر بالعين المجرّدة، وعلى هذا الأساس كان البصر حدّه تشكيل الصور عن الأشياء وتجسيمها خارجيا، إلا أنّ العقل هو من يملك سلطة النفوذ لعمق الشيء المتصّور فيحلل جزئياته ليصل إلى الكلّيات، وقد أثبت القرآن هذا المفهوم حينما قال الله عز وجل: [فَإِنَّهَا لَا تعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصُّدُور] [29: الرحمن].

وخلاصة ما سبق نلاحظ أنّه رغم الاختلاف في الحدود التعريفية لمفهوم «التناظر» بمختلف اشتقاقاته الاصطلاحيّة في العلوم التراثيّة إلا أنّ الأصل في كل ما ذكر يعود للهندسة الرياضية وعلاقتها بالأشياء في الكون، وهذا إن دلّ فإنما يدل على عظمة الخالق والإعجاز الكوني لمفهوم «التناظر»، إذ يخلق امتدادا وترابطا معرفيا يساهم في تجسير العلوم وخلق مركزية لها أساسها «مفهوم التناظر».

ب.التناظر من باب الاشتقاق الصرفي في القرآن الكريم:

فمن حيث الاشتقاق الصرفي لمفهوم «التناظر» نحصي في القرآن الكريم مائة واثنتين (102) موضعا، وهذا بيان تفصيلها في الجدول الآتي:

الكلمة	دلالتها الزمنية	وزنها الصرفي	موضعها في القرآن	تكرارها في السورة الواحدة
-تنظُرُون (2) -انْظُرْنا (1) -يُنظَرون (1) -يَنظُرون (1) -انظُر (2) -نَظِرَة (1)	-فعل مضارع (جمع/مخاطب). -فعل أمر (جمع/متكلم). -فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب). -فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر (مفرد/مخاطب). -اسم على أنه (خبر لمبتدأ).	-تَفْعُلُونْ -أَفْعُلْنا -يُفْعَلُونْ -يَفْعُلُونْ -افْعُلْ -فَعِلَة	-الآية: 50/55 -الآية: 104 -الآية: 162 -الآية: 210 -الآية: 259 -الآية: 280	سورة البقرة:80
-يَنظُرُ (1) -يُنظَرون (1) -انظُروا (1) -تنظُرُون (1)	-فعل مضارع (مفرد/غائب). -فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب). -فعل أمر (جمع/مخاطب). -فعل مضارع (جمع/مخاطب).	-يَفْعُلُ -يُفْعَلُونْ -افْعُلُوا -تَفْعُلُونْ	-الآية: 77 -الآية: 88 -الآية: 137 -الآية: 143	سورة آل عمران:40
-انْظُرْنا (1) -انظُر (1)	-فعل أمر (جمع/متكلم). -فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-أَفْعُلْنا -اُفْعُلْ	-الآية: 46 -الآية: 50	سورة النساء: 20
-انظُر (2)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-اُفْعُلْ	-الآية: 75	سورة المائدة: 20
-يُنظَرون (1) -انظُروا (2) -انظُر (3) -يَنظُرون (1) -انتظِرُوا (1) -مُنتظِرُون(1)	-فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب). -فعل أمر (جمع/مخاطب). -فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر (جمع/مخاطب). -اسم (على أنه خبر إنّ)، (جمع/متكلم).	-يُفْعَلُونْ -افْعُلُوا -اُفْعُلْ -يَفْعُلُونْ -اِفتَعِلُوا -مُفْتَعِلُون	-الآية: 80 -الآية: 11/99 -الآية:24/46/65 -الآية: 158 -الآية: 158 -الآية: 158	سورة الأنعام: 90
-أَنظِرْني (1) -المُنظَرِين (1) -يَنظُرُونَ (2) -أَنظِرْ (2) -انظُروا (1) -يَنظُرَ (1) -أَنظِرْ (1) -يَنظُرُوا (1) -تَنظِرُونِ (1)	-فعل أمر للدعاء (مفرد/متكلم). -اسم متعلق بخبر إنّ (جمع تخصيص/مخاطب). -فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل أمر (جمع/مخاطب). -فعل مضارع (مفرد/غائب). -فعل أمر (مفرد/متكلم). -فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/مخاطب).	-أَفْعِلْني -المُفْعِلِين -يَفْعُلُونَ -أَفْعِلْ -افْعُلُوا -يَفْعُلَ -أَفْعِلْ -يَفْعُلُوا -تُفْعِلُونِ	-الآية: 14 -الآية: 15 -الآية: 53/198 -الآية: 84/103 -الآية: 86 -الآية: 129 -الآية: 143 -الآية: 185 -الآية: 195	سورة الأعراف: 11
-يَنظُرُونَ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُونَ	-الآية: 60	سورة الأنفال: 10
-نَظَرَ (1)	-فعل ماض(مفرد/غائب).	-فَعَلَ	-الآية: 127	سورة التوبة: 10
-تَنظُرْ (1) -انظُر (2) -يَنظُرُ (1) -تُنظِرُونْ (1) -انْظُرُوا (1)	-فعل مضارع مجزوم (جمع/متكلم). -فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل مضارع (مفرد/غائب). -فعل مضارع مجزوم (جمع/مخاطب). -فعل أمر (جمع/مخاطب).	-يَفْعَلْ -اُفْعُلْ -يَفْعَلْ -تُفْعِلُون -افْعُلُوا	-الآية: 14 -الآية: 39/73 -الآية: 43 -الآية: 71 -الآية: 101	سورة يونس: 60
-تُنظِرُونْ (1)	-فعل مضارع مجزوم (جمع/مخاطب).	-تُفْعِلُون	-الآية: 55	سورة هود: 10
-يَنظُرُوا (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُوا	-الآية: 109	سورة يوسف: 10

-مُنظَرِينْ (1) -انظِرْنَي (1) -المُنظَرِينْ (1)	-اسم متعلق بخبر إنّ (جمع/مخاطب). -فعل أمر للدعاء (مفرد/متكلم). -اسم متعلق بخبر إنّ (جمع/مخاطب).	-مُفْعَلِين -أَفْعِلْنِي -المُفَعَّلِينْ	-الآية: 08 -الآية: 36 -الآية: 37	سورة الحجر: 30
-يَنْظُرُون (1) -انْظُرُوا (1) -يُنْظَرُونْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر (جمع/مخاطب). -فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب).	-يَفْعَلُون -افْعَلُوا -يُفْعَلُون	-الآية: 33 -الآية: 36 -الآية: 85	سورة النحل: 30
-انْظُر (2)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-افْعَلْ	-الآية: 21/48	سورة الإسراء: 20
-فَلْيَنْظُرْ (1)	-فعل مضارع مجزوم (مفرد/غائب).	-فَلْيَفْعَلْ	-الآية: 19	سورة الكهف: 10
-انْظُر (1)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-افْعَلْ	-الآية: 97	سورة طه: 10
-يُنْظَرُون (1)	-فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب).	-يُفْعَلُون	-الآية: 40	سورة الأنبياء: 20
-فَلْيَنْظُرْ (1)	-فعل مضارع مجزوم (مفرد/غائب).	-فَلْيَفْعَلْ	-الآية: 51	سورة الحج: 10
-انْظُر (1)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-افْعَلْ	-الآية: 09	سورة الفرقان: 10
-مُنظَرُونْ (1)	-اسم إنّ متعلق بخبر (جمع/متكلم).	-مُفْعَلُون	-الآية: 203	سورة الشعراء: 10
- اُنظُرْ (3) - نَنظُرُ (2) -أَنظُري (1) -أَنظُرُوا (1)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل مضارع (جمع/متكلم). -فعل أمر (مفرد مؤنث/مخاطب). -فعل أمر (جمع مذكر /مخاطب).	-افْعَلْ -نَفْعَل -أَفْعَلِي -أَفْعَلُوا	-الآية:14/28/51 الآية: 27/41 الآية: 33 الآية: 69	سورة النمل: 70
- اُنظُرْ (1)	-فعل أمر (جمع/مخاطب).	-افْعَلْ	-الآية: 40	سورة القصص: 10
- أُنظُرُوا (1)	-فعل أمر (جمع/مخاطب).	-أَفْعَلُوا	-الآية: 20	سورة العنكبوت: 10
- أُنظُرُوا (1) -اُنظُرْ (1)	-فعل أمر (جمع/مخاطب). -فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-أَفْعَلُوا -افْعَلْ	-الآية: 42 -الآية: 50	سورة الروم: 20
- يُنظَرُونْ (1)	-فعل مضارع مبني للمجهول (جمع/غائب).	-يُفْعَلُون	-الآية: 29	سورة السجدة: 10
- يَنظُرُونَ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعَلُون	-الآية: 19	سورة الأحزاب: 10
- يَنظُرُوا (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعَلُوا	-الآية: 44	سورة فاطر: 10
- يَنظُرُونَ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعَلُون	-الآية: 49	سورة يس:10
- يَنظُرُونْ (1) - أَنظُرْ (1) - نَظَرَ (1) - نَظْرَةً (1) - أَنظُرْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل ماض (مفرد/غائب). -مصدر مفعول مطلق (مفرد). -فعل أمر (مفرد/مخاطب).	-يَفْعَلُون -أَفْعَل - فَعَلَ - فَعْلَةً - أَفْعَلْ	-الآية: 19 -الآية: 73 - الآية: 88 - الآية: 88 - الآية: 102	سورة الصافات: 50
- يَنظُرُ (1) - أَنظِرْنِي (1) - المُنظَرِينْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل أمر للدعاء (مفرد/متكلم). -اسم متعلق بخبر إنّ (جمع/مخاطب).	-يَفْعَلُ -أَفْعِلْنِي - المُفَعَلِين	-الآية: 15 -الآية: 79 - الآية: 80	سورة ص: 30
- يَنظُرُونْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعَلُون	-الآية: 68	سورة الزمر: 10

- يَنْظُرُوا (2)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُوا	-الآية: 21/82	سورة غافر: 20
• يَنْظُرُونْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُونَ	-الآية: 45	سورة الشورى: 10
- أَنْظِرْ (1) - يَنْظُرُونَ (1)	-فعل أمر (مفرد/مخاطب). -فعل مضارع (جمع/غائب).	-أُفْعُلْ -يَفْعُلُون	-الآية: 25 -الآية: 66	سورة الزخرف: 20
- مُنْظَرِينّ (1)	-اسم متعلق بخبر إنّ (جمع/مخاطب).	-مُفْعَلِين	-الآية: 29	سورة الدخان: 10
- يَنْظُرُوا (1) - يَنْظُرُونَ (2) - نَظَرَ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل مضارع (جمع/غائب). -فعل ماض (مفرد/غائب).	-يَفْعُلُوا -يَفْعُلُون -فعَلَ	-الآية: 10 -الآية: 18/20 - الآية: 20	سورة محمد: 40
- يَنْظُرُوا (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُوا	-الآية: 60	سورة ق: 10
- يَنْظُرُونْ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُون	-الآية: 44	سورة الذاريات: 10
- تَنْظُرُونْ (1)	-فعل مضارع (جمع/مخاطب).	-تَفْعُلُون	-الآية: 84	سورة الواقعة: 10
- أَنْظُرُونَا (1)	-فعل أمر للترجي (جمع/متكلم).	-أَفْعُلُونا	-الآية: 13	سورة الحديد: 10
- لُتَنْظُرْ (1)	-فعل مضارع مجزوم (مفرد/مخاطب).	-لُتَفْعُلْ	-الآية: 18	سورة الحشر: 10
- نَظَر (1)	-فعل ماض (مفرد/غائب).	-فَعَل	-الآية: 21	سورة المدثر: 10
- يَنْظُرُ (1)	-فعل مضارع (مفرد/غائب).	-يَفْعُلُ	-الآية: 40	سورة النبأ: 10
- لْيَنْظُرِ (1)	-فعل مضارع (مفرد/غائب).	-لْيَفْعُلِ	-الآية: 24	سورة عبس: 10
- يَنْظُرُونْ (2)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُون	-الآية: 23/35	سورة المطففين: 20
- لْيَنْظُرِ (1)	-فعل مضارع (مفرد/غائب).	-لْيَفْعُلِ	-الآية: 50	سورة الطارق:10
- يَنْظُرُونَ (1)	-فعل مضارع (جمع/غائب).	-يَفْعُلُونَ	-الآية: 17	سورة الغاشية: 10
مجموع الاشتقاقات: 107	مجموع الجمع: 55	مجموع المفرد: 35	مجموع الصيغ الصرفية دون تكرار: 22 صيغة	مجموع عدد الآيات: 100 آية	مجموع عدد السور: 47 سورة

جدول يمثل إحصاء كاملا للصيغ الصرفية الواردة للفظة.

«نظر» في القرآن الكريم

والملاحظ من الجدول أعلاه، أنّ مجموع الاشتقاقات الواردة في القرآن الكريم هي مائة واثنتين اشتقاقا، غلب على هذه الاشتقاقات كثرة ورود الفعل المضارع دلالة على الأحداث الزمنية التي ستقع في المستقبل القريب أو البعيد، ثمّ جاء فعل الأمر بنسبة أقلّ دلالة على مجريات الوقائع والأحداث التي أمر الله بها أنبياءه ورسله ليبلغوها للناس، حيث تنوعت الأوامر بين الأسلوب الطلبي الإنشائي بغرض الدعاء أو الترجي،

وبين أساليب أخرى كالوعيد وغير ذلك.

ولم يرد الفعل الماضي إلا نادرا دلالة على أنّ للنظر والتناظر استمرارية لا يمكن الاستغناء عنها إلا بفناء هذا الكون وهو من الدلائل الإعجازية في القرآن الكريم، ثمّ إنّ مجموع السور التي ذكر فيها النظر بمختلف صيغه هو سبعة وأربعون سورة، وكان لسورة الأعراف النصيب الأوفر من عدد تكرار صيغ مصطلح «التناظر» بإحدى عشر مرّة، ذلك أنّ الدّعوة للنظر في هذه السورة لها ارتباط باسم السورة، لأنّ النظر بالطريقة الصحيحة يؤدّي إلى استعلام ما كان مجهولا ومعرفته عن طريق العقل والتأمّل، ولذا كان لدلالة اسم السورة علاقة بتكرار اشتقاق مصطلح «التناظر»، حيث إنّ مدلول الأعراف يحيل إلى المعرفة وتحصيلها بعد جهل بها، وجاءت كلمة الأعراف على وزن الأَفْعَال، للدلالة على الجمع وكذلك كان لصيغ الجمع الغلبة في هذه السورة حيث ذكرت الصيغ الصرفية ست مرات مقابل خمس مرات للمفرد، ودلالة ذلك أنّ الجمع من خواص التناظر، إذ يجمع بين الأشياء المتطابقة والمتماثلة والمتشاكلة، وهي برهان عظيم على الإعجاز البلاغي والعددي في القرآن الكريم.

ونتيجة للإحصاءات الواردة في الجدول أعلاه نلاحظ أنّ أكثر الصيغ الصرفية الواردة، هي من الفعل الصحيح الثلاثي، المزيد على وزن «فَعَل – يَفْعُل»، ذلك أنّ » اللغة العربية تميل إلى إبدال حركة عين الماضي بحركة قريبة منها في المضارع، لهذا نجد (فعل) في الماضي يقابله (يفعل) في المضارع بكثرة لأن مخرج الضمة أقرب إلى مخرج الفتحة من الكسرة (بلعرج، 2005، صفحة : 64)

ودلالة الضمّ في اللغة أقوى وآكد في المعنى من غيرها، وعلى هذا كان ارتباط الاشتقاقات القرآنية للفظة «النظر» مرتبطة بالضم أكثر من غيره، الأمر الذي يفسر لنا ورودها في آيات العذاب بكثرة، ذلك أنّ الضمّ في اللغة يعني الجمع والشدّة فيه، ولذا كان النظر أيضا متعلقا بالعذاب جمعا لشدّة الأمر وهوله، وهو ما يفسر تعالقه بكثرة صيغ الجمع أكثر من صيغ المفرد، وارتباطه بالمضارع أكثر من الأمر.

ثمّ إنُّ ضبط المشتقات من (فعل) في السور القرآنية لا يتجاوز عددها (22) مشتقا أو صيغة، يعود لثقل الحركة في المضارع فلا تتغير حركته لأنه لا يدلّ على قيام الفاعل بالفعل، وإنما يدلّ على الاتصاف بفعل النظر، لضُعْف التصرّف فيه، وعليه فثقل الحركة في المضارع تتناظر مع ثقل أثر الفاعل وهو الله عزّ وجلّ، والمعلوم أنّ نوائب الدّهر هي ما يترك أثرا ثقيلا على النفس وتكون أشدّ وطأة على الناظر، وكذلك هي في أغلب الصيغ المذكورة في القرآن الكريم.

حيث أنّ الثابت في دلالة اشتقاقات «التناظر» في القرآن الكريم، هو الدعوة لإعمال النظر بالتفكير والتأمّل، وإعمال العقل وهو ما يتقاطع مع العلوم الهندسية التي تحتاج إلى البرهان العقلي والدّليل لإثبات شكل معيّن، كذلك يحيل النظر في القرآن الكريم على الثبوت في نقطة معينة هي بمثابة المركز الذي تدور فيه رحى الأحداث، وتعطينا نتائجا يقينية بعد ذكر مسبباتها، باعتبار أنّ المسائل والقضايا التي تتمحور حول

النظر في القرآن الكريم هي بالدرجة الأولى مسائل منطقية رياضية ثابتة مبنية على مسلمات، ونتائجها حتمية غير قابلة للتأويل.

إذ من البديهي أن نرى الأحداث التاريخية في القرآن تتشابه من حيث معطياتها ونتائجها، فالقوم الذين طغو في الأرض وأفسدوا كانت حتميتهم العذاب الذي يأخذهم بغتة وهم ينظرون، فكأنّ الحركة الزمنية رغم تعاقبها على أجيال من البشر، إلا أنّ القانون الإلهي ثابت وحكمه نافذ، وأنّ النظر كيفما كان صيغته لا يخرج عن مراد الله وقوانين هندسته الكونية.

وعلى هذا الأساس بنيت الفيزياء التناظرية رغم التغيير الحاصل في جزيئاتها إلا أنّ التحويل التناظري يبقي المنظومة التي تخضع لها مادة الفيزياء نفسها ثابتة بالنسبة إلى التحول، وتعد سمة اللاتغير عن ثبات وبقاء المنظومة على شكلها ومظهرها وتركيبها وتنظيمها بينما يعبّر التحويل عن المفهوم التجريدي لفعل نقوم من خلاله بنقل المنظومة من حالة ما إلى حالة أخرى مكافئة لها. (هيل، 2009، صفحة : 20) وهذا ما يفسّر مفهوم «النظر» كعقاب في دلالة النص القرآني، إذ الانتقال من حالة النعيم إلى حالة العذاب والجحيم يوجب النظر في مسببات انتقال المنظومة الحالة المستقرة إلى الحالة المضطربة كنوع من التناظر القرآني.

وجدير بالذكر أنّ التناظر في القرآن الكريم بمفهومه الحديث الإعجازي صاغ تعريفه الباحث الأردني أيمن الرواجفة حيث قال: »منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن وآياته على نظام واضح محدّد منضبط منتظم تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كل سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السورة الواحدة لتكون كلّ آية مناظرة لآية أخرى». (الرواجفة، 2019، صفحة : 23)

وعليه فإنّ التناظر بهذا المفهوم هو نظام برهاني على قدرة الله تعالى في هندسة الكون بنظم بلاغية وتصويرية أساسها الرمز اللغوي والعددي، ذلك أنّ ترتيب السور والآيات وتقسيمها إلى أحزاب وأثمان هو غاية الإعجاز، واستعماله للأرقام هو هندسة بناء لفظي وكوني مركزه الرياضيات، وتحدّ للعقل البشري.

2.التناظر بين العلوم اللغوية الحديثة والإعجاز القرآني:

يعدّ التناظر في العلوم اللغوية الحديثة جسرا للتراسل المعرفي بين العلوم البينية، تتكامل مسائلها في بناء دائرة معرفيّة موسّعة رغبة في إشباع غريزة العقل في اكتشاف أسرار الكون، وتلبية لحاجيات العلم المعاصر، وعلى هذا الأساس انبرت الدراسات اللغوية العربية على إثبات أثر التناظر في تحقيق وحدة العلوم اللغوية والدّقيقة، وبناء استدلال قطعي معجز خدمة للإعجاز القرآني، باعتباره حجة ودليلا وبرهانا عقليا وعلميا على صحّة النص القرآني.

وعلى هذا الأساس بنت بعض النظريات اللسانية مبادئها على مفهوم التناظر باعتباره جسرا يربط بين العلوم اللسانية ولغة القرآن وإعجازه، فنجد على سبيل المثال لا الحصر اللسانيات العصبيّة والوراثية وأثر

لغة القرآن في تشكيل تناظر للخلايا العصبية والصبغيات، حيث ترتب بشكل ترابطي لا يمكن لأيّ لغة أن تبني نسيجا مماثلا له، ولذا نجد من النظريات اللسانية الحديثة ما يعمل على الربط بين العامل الوراثي والإعجاز العددي في القرآن من باب التناظر كما هو الحال عند أيمن الرواجفة في كتابة «التجسير بين الآداب والعلوم نظرية المجموع».

أ.التناظر في النظريات اللسانية الحديثة:

يُعرَف «التناظر» في مفهوم اللّسانيات الحديثة بأنه »تعبير عن التكافؤ بين الأشياء، والتسليم بتكافؤها رياضيا يعني تساويها». (بشر، 1998، صفحة : 195) وإذا سلمنا بهذا المفهوم فإنّنا سنخلص إلى أهمّ المفاهيم الرياضية النظرية التي اعتمد عليها اللسانين المحدثين في صياغة مبادئ نظرياتهم، باعتماد مبدأ «التناظر» و»التساوي» و»التكافؤ» وغير ذلك من المفاهيم.

وإذا كان الكون كلّه مبني على «التناظر» باعتبار مركزيته في العلوم، فإنّنا نرى آثارا له في مختلف الدراسات اللغوية بمختلف مستوياتها بدء من الصوتيات التي تتقابل في سماتها وصفاتها ومخارجها، »ومن ذلك مثلا أنّ جملة كبيرة من أصوات هذه اللغة يقع بعضها من بعض موقع التقابل أو التناظر، فهناك نلمح أنّ بعض الأصوات تصدر عن مخرج نطقي واحد، ولكنها - على الرغم من اشتراكها في هذه الدائرة - تختلف فيما بينها بسمة أو بأخرى تجعل كلّ واحد منها صوتا مستقلا، له دور في تركيب المقطع أو الكلمة، وفي دلالة هذه الكلمة ووظيفتها». (بريور، 2007، صفحة : 63)

وحينما نتكلم عن الصوتيات، ندرك قيمة التقابلات بين عدد صغير من الملامح المميزة لصوت عن آخر، وأنّ قيمة الصوت في اختلافه وتقابله مع غيره من الأصوات، إذ لا بدّ في ذلك من تحديد الثوابت والمتغيرات الخاصة بكلّ صوت، باعتبار أنّ قانون «الثابت والمتغير» هو في ذاته عبارة عن «تناظر عكسي» أساسه الرياضيات.

كذلك يعدّ «Louis Hjelmslev» «لويس يلمسليف» واحدا من العلماء اللسانيين الذين يفترضون أنّ المعنى يخضع داخل اللسان لنمط البنية نفسها على غرار الشكل، حيث يأخذ مصطلح «التناظر» المعنى من الشكل نفسه تأسيسا على مبدأ المساواة، ، وباعتماد نفس مبدأ التجزئة في المعنى كان لزاما فرض وجود مجموعة من الخصائص التمييزية للمعنى مثلها مثل الخصائص المطبقة في حقل الصوتيات. (مهيدي، 2010، صفحة : 39)

وعليه فإنّ تقسيم البنية في اللغة عند « يلمسليف» يأخذ أبعادا تناظرية إذ المعنى هو تناظر ذاتي للشكل، ذلك أنّ الشكل يقابل المادّة، وبما أنّ الشكل هو قالب لغوي ورسم يجسّد اللغة في صورة معيّنة، فإنّ المادّة هي المعنى الذي يتضمنه الشكل، وهو مجرّد في ذاته وثابت السمات والمعالم، ويناظر أشكالا مختلفة من بنيات اللغات في العالم، فإذا قلنا: أبيض فالمعنى واحد وهو مناظر للمعاني التي تجسدها أشكال اللغات المختلفة كلفظة: (Blanco, Branco,White, Blanc).

وتأسيسا على ما تم ذكره نجد «Julien Grimas»،«جوليان غريماس» قد عمل على تكييف مصطلح «التناظر» بما يتوافق والعلم الذي يصاغ في سياقه، فيقول: »هو جذر دلالي يوحّد عوالم النص، ويمنحه انسجامه من خلال الحدّ من فوضى المعاني وإمكانية انتشارها في كل الاتجاهات». (علوش، 1985، صفحة : 220)

ويقصد «غريماس» بالتناظر الفكرة المركزية التي يُبنى عليها النص، إذ يعتبرها بمثابة الجذر الدّلالي الذي يحوي كلمات مفتاحية تتوسع معانيها بناء على مقاصد النص، وهذا ما يمنح للنصوص اتساقا وانسجاما يحدّ من فوضى التكرار، وخروج المضامين عن الأهداف التي وضعت كقالب لتحديد المغزى من أي نص نكتبه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم «التناظر» في السيميائيات اقتبسه «غريماس» من الفيزياء، وهو مفهوم مركزي في علم العلامات، إذ يعني »مجموع المقولات السيميائية التكرارية التي يتضمنها الخطاب، حيث تسهم زيادة المقولات السيميائية في إمكانية التأويل الأحادي الشكل للخطابات والقصص، وذلك باختزال الإبهامات التي تقود البحث إلى التأويل الواحد، ومن هنا جاء إطلاق التناظر النحوي السيميائي، والتناظر الفاعلي، والتناظر الجزئي، والتناظر الكلي، والتصويري، وغير ذلك من التقسيمات بحسب الخصائص والمرجعيات النظرية». (صالح، 2012، صفحة :138)

ومن البديهي أن يتنوع تقسيم التناظر بحسب العلوم وفروعها، وحسب خصائص الإشكاليات المدروسة فيها وما يتناسب معها من نظريات ومبادئ ومسلمات، غير أننا نرى لهجرة المصطلح بين العلوم المعرفية دور كبير في صياغة المفهوم بحسب جنس العلوم وتكييفه بما يخدم القضايا المُعَالَجَة، وأنّ مفهوم «التناظر» في عموم العلوم يبنى على مركزية إعادة النظر والاعتبار للإفادة من العلم بتحصيل مسائله يقينا لا ظنا، وثبوتا لا تحولا.

أمّا مفهوم «التناظر» في «النظرية الخليلية الحديثة»، فقد عبّر عنه «عبد الرحمن الحاج صالح» (ت2017) - رحمة الله عليه - من باب مصطلح «النظير» وذكره بمفهوم التكافؤ، فقال: »هو العنصر المساوي أو المكافئ لعنصر آخر أو مجموع من العناصر قد لا يشبهه إطلاقا». (صالح، 2012، صفحة : 138) ويقصد بهذا التعريف أنّ العناصر اللغوية عند النحاة تكون متكافئة من باب التناظر لا التطابق، ذلك أنّ سماتها قد تكون بعيدة عن بعضها البعض من عدّة أوجه، ومع ذلك يكتشف فيها النحوي ميزة واحدة تجمعها.

ويحيلنا هذا المفهوم إلى أنّ التمييز بين مصطلح «التناظر» و«التطابق» مبني على الخصائص المفهومية بحيث كلما اتسعت دائرة الاختلاف بين العناصر اللغوية زاد قرب تطبيقها لمفهوم التناظر ولو جمع بينهما ميزة واحدة، بينما كلما ضاقت دائرة الاختلاف وتقاربت الخصائص المشتركة بين العناصر اللغوية كلما اتجهت للتطابق والتماثل.

وإذا أردنا توضيح «التناظر» في «النظرية الخليلية» سنمثل للمستوى الصوتي في بنية اللغة بمثال حتى يتضح المقال، فنَهَبُ أنّنا أخذنا مجموعة من الأصوات اللغوية وقسمناه لمجموعتين: مجموعة الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة فتكون السين والشين والزاي حروفا مهموسة تمثّل المجموعة الأولى، ويكون حرف الجيم والقاف والباء مجموعة ثانية تمثل الحروف المجهورة، فيكون تناظرها وفق الجدول الموالي:

المجموعة الأولى	اشتراك المجموعتين من حيث التناظر الصوتي	المجموعة الثانية
الحروف المهموسة		الحروف المجهورة
س: مهموس رخو صفيري	كلاهما له صفة: الاستفال، الإصمات، الانفتاح	ج: مجهور شديد ومقلقل
ش: مهموس رخو متفشي	كلاهما له صفة: الانفتاح، الإصمات.	ق: مجهور شديد ومقلقل
ص: مهموس رخو استعلاء	غير متناظرين	ب:مجهور شديد ومقلق

الشكل (01): جدول توضيحي للتناظر بين الحروف من حيث الصفات

كذلك هو الأمر مع الأفعال الثلاثية المحمولة على وزن «فَعَلَ» – على سبيل المثال لا الحصر - كلّها متناظرة مع بعضها البعض على اختلاف تشكيل حروفها ويمكن توضيح ذلك وفقا للمخطط الآتي:

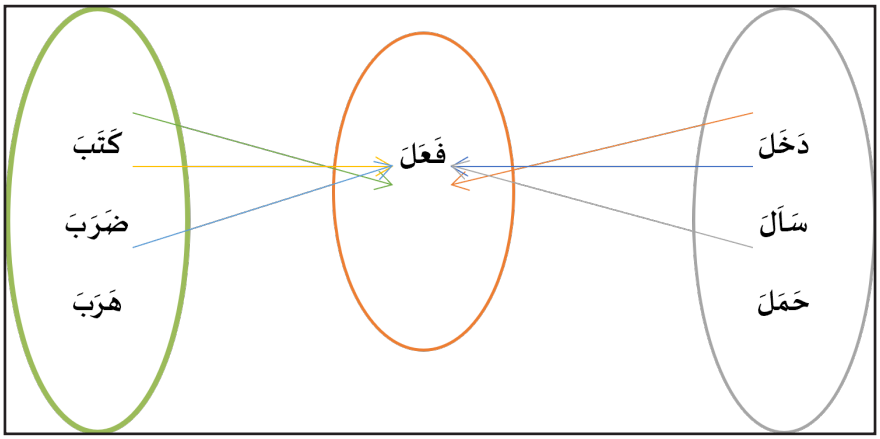

الشكل (02): خطاطة تناظر الأفعال من باب الجذر «فَعَلَ»

والملاحظ: أنّ الأفعال الثلاثية المكوّنة في مجموعتين متناظرتين في الجذر اللغوي، إذ تمثّل الحروف التالية تناظرا مع حرف الفاء المُشَكِّلِ للميزان الصّرفي وهي: (د، س، ح، ك، ض، ه)، كما تمثّل الحروف الوسطى من الأفعال الثلاثية عين الميزان الصرفي وهي: (خ، أ، م، ت، ر، ر)؛ بينما تمثّل أواخرها لام الميزان وهي: (ل، ل، ل، ب، ب، ب).

وتماشيا مع ما تمّ ذكره فإنّنا نجد أنّ هذا التناظر قد ذكر في التراث النحوي عند سيبويه والخليل من حيث الاصطلاح عليه بمفهوم «الباب»، والذي يتماثل مع مفهوم «الزمرة» في نظرية المجموعات الرياضيّة، وكذلك هو الحال مع علم النجوم قديما وعلم الفلك وفيزياء الهندسة الفضائية حديثا.

3.خاتمة البحث:

يعدّ مفهوم التناظر من أهم المفاهيم التجسيرية بين العلوم المعرفية الحديثة، ذلك باعتباره مفهوما مركزيا تدور حوله العلوم البينية، وعلى هذا جاءت هذه الورقة البحثية لبيان تأثير القرآن على صياغة هذا المفهوم في الدراسات التراثية العربية، وعلى مقاصد مفهوم «التناظر» في الدّراسات اللسانية العربية الحديثة. من هذا المنطلق خلصت الورقة البحثية إلى عدّة نتائج تجيب عن الإشكالية المطروحة وهي كالتالي:

-يعدّ أبو هلال العسكري أول من تناول مفهوم التناظر والفرق بينه وبين التماثل والتشابه في كتابه الفروق اللغوية.

-جاء مفهوم التناظر في الدراسات العلمية التراثية متعالقا مع مفهوم النظر كمفردة، وقد اشتق لها بعدا تفسيريا في القرآن الكريم يحيل إلى المعنى اللغوي الأصلي، وهو ما يثبت التكامل المعرفي في بناء المفاهيم والمصطلحات في التراث العربي.

-عدّ علماء العربية النظائر من باب اللفظ لا المعنى، ذلك أنّ التناظر بنية شكلية مجردة، بينما المعاني متعدّدة الوجوه والتأويل.

-جاء مفهوم التناظر في الدّراسات اللغوية التراثية مرتبطا بالاستدلال والبرهان والحجة، وهو ما يمثل اللسانيات الحجاجية اليوم، وله ارتباط بالبرهان في وجوه القرآن وتفسيره باعتباره برهانا لوجود الله ووحدانيته.

-ارتبط مفهوم التناظر في تعليمية المواد في التراث العربي بالترتيب والنظر في أصول العلوم وأولاها تعليما للصبيان والغلمان.

-ورد مفهوم التناظر في القرآن الكريم بصيغة المضارع دلالة على الاستمرارية والتأمّل في الكون وصبر أغواره، وهو مرتبط باكتشاف العلوم لقلة مدارك الإنسان وطلبه المستمر للبحث.

-ارتبط مفهوم التناظر في القرآن الكريم بسورة الأعراف دلالة للحث على المعرفة، فكان مفهومه موازيا لمفهوم الدّراسات اللسانية من حيث ارتباطه ببنية اللغة الصرفية والتركيبية والدّلالية والمعجمية، ومن ثمّ انتقلت دلالته لهندسة المعاني الكبرى للعلوم المعرفية فارتبط بالعقل والذهن والبنية النفسية والعددية والجسمية والصرفية خدمة للإنسان وإثباتا إعجازيا للذات الإلهية.

4.المراجع:

1.أبو البقاء الكفوي. (1998). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (المجلد 2). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

2.ابن عطية الأندلسي. (1905). تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار ابن حزم.

3.أبو هلال العسكري. (2012). معجم الفروق اللغوية. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

4.التهانوي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت: مكتبة لبنان .

5.الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.

6.القاضي الباقلاني. (1998). التقريب والإرشاد الصغير. لبنان: مؤسسة الرسالة.

7.الكفوي. (1998). معجم المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

8.بلقاسم بلعرج. (2005). لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول. عنابة: دار العلوم.

9.حامد إبراهيم مهيدي. (2010). التناظر والدليل في سياق التأويل الرسم أنموذجا. مجلة نابو للبحوث والدراسات.

10.سعيد علوش. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

11.سليمان الدقور /أيمن الرواجفة. (2019). التناظر في القرآن الكريم تأصيل وتطبيق. إسلامية المعرفة.

12.عبد الرحمن الحاج صالح. (2012). منطق العرب في علوم اللسان. الجزائر: دار موفم للنشر.

13.عبد الرحمن بن خلدون. (2004). كتاب المقدمة. دمشق: دار يعرب.

14.علي بن عيسى الرماني. (1984). رسالة الحدود. عمان: دار الفكر.

15.كمال بشر. (1998). دراات في علم اللغة. القاهرة: دار غريب.

16.ليون ليدرمان / كرستيوفر هيل. (2009). التناظر والكون الجميل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

17.ماري نوال/غاري بريور. (2007). المصطلحات المفاهيم في اللسانيات. الجزائر: دار المطبوعات الجامعية.

18.محمد الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر

المصطلحات اللسانية المفاهيم والجذور والحداثة العربية

د.علي محمود الأصمعي إسماعيل*، أ.د. أسماء عبد اللطيف عبد الفتاح حمد**

*. عميد كلية الآداب – جامعة خاتم المرسلين.

**. دكتوراة بمعهد الدراسات والبحوث العربية، وزارة التربية والتعليم الفلسطينية - فلسطين

الملخص

توضح هذه الدراسة أبرز المصطلحات والمفاهيم اللسانية وأهمها من ناحية الجذور، والحداثة وتلقي الضوء على اختلاف الباحثين عن بدايات مصطلح اللسانيات، وأول استعمالاته في الثقافة الغربية، وتبرز الجهود المبذولة لاستقلال علم اللسانيات بداية من «جورج مونين» إلى «دي سوسير» وجهوده ودعوته إلى استقلالية علم اللسانيات، وفي هذه الدراسة محاولة للكشف عن تعريف الدرس اللساني في الدراسات العربية، ومفهوم اللسانيات الحديثة، وحظ هذا العلم في الدرس اللغوي، وكذلك تأصيله، وإبراز أهم الإشكاليات التي وقف عليها اللغويون في دراسة اللسانيات العربية .

وتهدف هذه الدراسة عن اهم إنجازات علم اللسانيات، ونظرياتها الجديدة في اللغة والتواصل اللساني، التي تعبر عن جوهرها عن قيم الحداثة والتجدد الفكري، وإبراز البعد الحضاري، ونظراً لوجود نصوص تحتاج إلى تحليل، فإننا سنستخدم في ذلك المنهج التحليلي، ونظراً لوجود نصوص تحتاج إلى وصف، فإننا سنستخدم في ذلك المنهج الوصفي.

وتطرح الدراسة عددا من الأسئلة التي تتعلق بأثر التطور في الدرس اللساني بالدراسات اللغوية العربية، ومناهج الظواهر اللغوية ودراستها يعياً إلى رؤية منهجية، فإنّ هذا البحث سيكون له مقدمة وتمهيد وثلاث فصول، الفصل الأول يتناول المفاهيم والمصطلحات اللسانية، أما الفصل الثاني فإننا سنبرز فيه استقلالية الدرس اللساني الغربي، والفصل الثالث سيتحدث عن الدرس اللساني عند العرب.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، الحداثة والتراث، الدرس اللغوي المعاصر

Linguistic Terms Concepts, Roots and Arabic Medernity

Dr. Ali Mahmoud Al-Asma'i Ismail*, Porf. Asmaa Abdel Latif Abdel Fattah Hamad**

* Dean of the Faculty of Arts - Khatam Al-Mursaleen University

**. PhD at the Institute of Arab Studies and Research, Palestinian Ministry of Education - Palestine

Abstract

This study explains the most prominent linguistic terms and concepts, the most important of which are roots and modernity, and sheds light on the differences between researchers on the beginnings of the term linguistics and its first uses in Western culture. It highlights the efforts made to make linguistics independent, starting from George Monin to De Saussure and his efforts and call for the independence of linguistics. This study attempts to reveal the definition of linguistics in Arabic studies, the concept of modern linguistics, the role of this science in linguistics, as well as its authentication, and highlighting the most important problems that linguists have encountered in studying Arabic linguistics.

This study aims to identify the most important achievements of linguistics and its new theories in language and linguistic communication, which express in essence the values of modernity and intellectual renewal, and highlight the civilizational dimension. Given the existence of texts that need analysis, we will use the analytical approach, and given the existence of texts that need description, we will use the descriptive approach.

The study raises a number of questions related to the impact of development in linguistic studies in Arabic linguistic studies, and the approaches to linguistic phenomena and their study, aiming at a methodological vision. This research will have an introduction, a preface, and three chapters. The first chapter deals with linguistic concepts and terms. As for the second chapter, we will highlight the independence of Western linguistic studies, and the third chapter will discuss linguistic studies among Arabs.

Keywords: Linguistics, Modernity and Heritage, Contemporary Linguistic Studies.

المقدمة

عرفت المجتمعات اللغة منذ عقود غابرة، وذلك أنّ الإنسان مرتبط باللغة ارتباطاً وثيقاً، فلا يجوز بأي حال من الأحوال التباعد عنها، فقد أتاح للأفراد التواصل والاتصال مع بعضهم بعضاً فحملت أفكارهم، ومبادئهم، فكانت بمثابة وعاء يحوي الحضارات والأمم.

ووفق هذه الحقبة المعرفية أشار " ابن سينا " إلى مبدأ التحاور والتجاور الذي تحقق بين اللغة والإنسان، فمالت الطبيعة إلى استخدام الصوت، ووفقت من عند الخالق" عزّ وجلّ" بآليات تقطيع الحروف، وتركيبها ليدل بها على ما في النفس من أثر، وبهذا ظهرت أشكال الكتابة، وبذلك خضعت اللغة للدراسات مختلفة.

ما زال الدرس اللساني العربي محتاجاً إلى الكثير من التأصيلات، والمرجعيات التي تقوي شوكته، أمام الوافد الغربي الذي صار مهيمناً بشكل كبير على المجالات المعرفية والدراسة تطبيقاً وتقعيداً، وأمام هذا الوضع تأتي هذه الدراسة مضافة إلى دراسات أخرى، تحاول جادة الاستثمار في هذا التراث، والاستفادة من جهود صانعيه، والتشجيع على العودة إليه تنقيباً وبحثاً وبرهنة على فضله في مختلف مجالات اللغة، وقد ركّزت الدراسة على التعريف بمصطلح اللسان لغة واصطلاحاً، والكشف عن طبيعة المصطلح اللساني في التراث العربي القديم، وإبراز مدى الصلة الّتي وضحتها المعاجم والموسوعات المصطلحية في تحديد مفهوم هذا المصطلح من حيث المعنى والدلالة، والكشف عن خبايا هذا المصطلح، الذّي يعد الركيزة الأساس التي انطلق منها علم اللسانيات الحديث، وإبراز حظ هذا المصطلح عند الغرب، ثم عند العرب، وذكر أهم الإشكاليات التي اهتم بها اللغويون في دراسة اللسانيات العربية، والكشف عن أهم إنجازات علم اللسانيات الجديدة في اللغة، وعليه يمكن تحديد محاور هذه الدراسة في الأمور الآتية:

- كيف تعاملت المعاجم العربية وأصحابها قديماً وحديثاً مع هذه اللفظ؟
- ما هو حظ هذا اللفظ في التراث العربي القديم، وحظ هذا اللفظ في التراث الغربي المعاصر؟
- وما هي إشكاليات دراسة اللسانيات العربية، وإبراز أهم إنجازات علم اللسانيات الحديث؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع مصطلح اللسانيات في الدراسات اللغوية العربية قديماً، وعلاقتها بالتراث، وما توصّل إليه الغرب من إنجازات في هذا المجال، بعد أن أسس هذه العلم لنفسه مناهج علمية تطبيقية ناجحة، يمكن أن يرتاح لها الدرس اللغوي المتخصص، والكشف عن اشكالياته وأهم إنجازاته في دراسة اللغة والتواصل اللساني.

المنهج المتبع

اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي؛ لمعرفة الأسس الّتي جاء بها علماء اللغة القدماء، واستفاد منها علماء الغرب، وما قررته الدراسات اللسانية المعاصرة، ومقارنتها بإنتاج العرب اللساني، محاولين الاستفادة من النظريات اللسانية وتوظيفها.

وقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات الّتي كان لا بدّ من تجاوزها وابرازها ومنها:

- تداخل المسائل اللسانية وكثرتها، وتناثرها في معظم المؤلفات الكلامية والأصولية.

- تضارب آراء علماء اللغة العرب، والاختلاف فيما بينهم في الأخذ بالأسس العربية القديمة أو بنظريات الحديثة أو الخلط بينهما، وصعوبة التعامل مع بعض تلك الاتجاهات والربط بينها لتشعبها.

وكان مهماً الرجوع إلى مصادر الفكر العربي في اللسانيات، ثمّ ما أضافته المعاجم العربية في تعريف اللسان، وإلى بعض الكتب الغربية الّتي تتحدث عن اللسانيات الحديثة، إضافة إلى المراجع الحديثة الّتي ألهمتنا الكثير من الأفكار، كالتفكير اللساني في الحضارة العربية " لعبد السلام المسدي " وكتاب" اللسانيات العربية الحديثة " لمصطفى غلفان "، وغيرها.

وجاءت الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وتناول المبحث الأول: الحديث عن تعريف اللسان لغة واصطلاحا، وكذلك تعريف مصطلح اللسانيات حسب علم اللغة الحديث، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الحديث عن حظ هذه اللفظة في الأدب الغربي، إلى جانب الحديث عن حظ علم اللسانيات في الأدب العربي وحديثاً، وتناول المبحث الثالث دراسة أهم الإشكاليات التي واجهت اللغويين في دراسة اللغة، إلى جانب ابراز أهم إنجازات علم اللسانيات في دراسة اللغة والتواصل اللغوي، وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة تمثل حصيلة هذه الدراسة، وأهم النتائج الّتي تمّ التوصل إليها، إلى جانب قائمة المصادر والمراجع الّتي تمّ الاعتماد عليها في هذه الدراسة

لا غرو أنّ الخوض في الجهود اللسانية العربية الحديثة، من خلال نظرتها إلى التراث اللغوي يشكل متعة وفسحة علمية لكل باحث لساني، لا سيما إذا امتزج ذلك مع روح نقدية ونفس تهوى التنقيب عن درر الكتاب اللسانية العربية وتميزها.

التمهيد

في مجال المصطلحات والمفاهيم اللسانية

تقاس درجة تقدم ثقافة الدول، بمدى انتشار لغتها واستيعابها للمعرفة والبحوث العلمية، وتصنيف اللغات بدورها بعدد من البحوث العلمية التي تنشر بها ومدى طواعيتها لاحتضان المعرفة، لذا نجد الدول المتقدمة تولي اهتماماً بالغاً بالجهود التي تبذل في وضع المصطلحات العلمية، فهذا المصطلحات هي الواجهة الحقيقة لعلم من العلوم والتحكم فيها يعني التحكم في العمل العلمي والمنهجي، وأنّ الغربيين تقدموا بفضل تحكمهم في المصطلحات، والمشكل الذي يعانيه العرب، أننا لم نستطع ان نساير المستجدات المصطلحية إلى جانب ضبطها (بلعيد، 2004م، صفحة 154)، فقد كان لبعض الخبراء العرب العاملين في مجال الثقافة والعلوم، الاهتمام بوضع المصطلحات وابداء المنهجية والشرعية عن طريق الترجمة أو الاشتقاق أو المجاز أو النحت وغيرها (بلعيد، 2004م، صفحة 154)، وقد لعبت المجامع اللغوية المنتشرة في البلاد العربية، لكن هذه الجهود تبقى قاصرة عن احتواء الوتيرة السريعة التي تسير عليها الأبحاث العلمية، وأنّ عدد المصطلحات الجديدة التي تمّ انتاجها، تتسم بالفردية، ولا تفي بالغرض، غذ تبقى مبعثرة إلا في بعض المجامع (صالح، 2012م، صفحة 371).

وأمام هذا الواقع فقد دعا بعض اللغويين إلى وضع مصطلحات وترجمتها، خاصة المعاجم الخاصة بالمصطلحات نذكر منها:

- معجم المصطلحات الإعلاميات، الذي نُشر سنة 1972م.
- معجم مصطلحات علم اللسان.
- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات.

ودعوا إلى استثمار التراث اللغوي العربي وتطعيمه بصيغة الحداثة، فالذي يحتاجه واضع المصطلحات هو بنك من النصوص تستخرج منه قاموس كبير تجمع وترتب جميع اللفاظ العربية التي وردت في الاستعمال الفعلي (صالح، 2012م، صفحة 371)، وقد تنوعت المصطلحات والمفاهيم اللسانية، منها: ما هو متعلق بالتراث اللغوي العربي، في تعريف مصطلح " اللسان لغة واصطلاحاً:

مفهوم اللسان لغة:

للفظة اللسان معانٍ كثيرة في المعاجم، يقول " ابن فارس" (395هـ)، في تعريف اللسان:" اللام والسين والنون: أصل واحد يدل على طول لطيف في عضو أو في غيره، واللسن جودة اللسان والفصاحة، واللسن: اللغة، ويقال لكل قوم لسن: أي لغة (ابن فارس، 1979م، صفحة 476)، ويقول الزمخشري في " الكشاف" أنّ مفهوم لفظة اللسان الواردة في سورة النحل في قوله تعالى: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] [لنحل: 103]، إنما هي على معنى اللغة، ويقول " راغب

الأصبهاني (ت565هـ) في مادة " لسنّ": اللسان الجارحة وقوتها في قوله تعالى على لسان سيدنا " موسى [وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي] [طه: 27]، يعني به قوة لسانه، فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته الّتي هي النطق به.

مفهوم اللسان اصطلاحاً:

اللسان في الفكر العربي هو موضوع الدرس اللغوي، ويعدّ "الفارابي (ت349هـ)" أقدم من استخدمه في كتابه " إحصاء العلوم "، للدلالة على كل العلوم اللغوية، متجهاً بالمصطلح نحو الدلالة من دون تخصيص للغة ما، والذي قسمه إلى خمسة فصول، ومنها:

- في علم اللسان وأجزائه، يقول الفارابي " علم اللسان ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند امة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منها، والضرب الثاني: قوانين تلك الألفاظ... إنّ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان مفردة ومركبة، وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار"، ومن خلال ذلك نستنتج أنّ " الفارابي" أدرك أنّ علم اللسان يشتمل على علوم خاصة وأخرى عامة (الفارابي، 1996م،، صفحة 68).

ونجد " ابن خلدون (ت1406هـ) " قد أفرد في مقدمته فصلا بعنوان" في علوم اللسان العربي" وأدرج تحت هذا العنوان علم النحو وعلم اللغة وعلم البيان وعلم الأدب (ابن خلدون، 2004م، صفحة 2/367).

وذكر " الخليل (ت 175هـ (" لفظ " اللسان"، فقال:" اللسان ما ينطق به، يذكر ويؤنث، والألسن بيان تأنيث في عدده، والأسنة في التذكير (الفراهيدي، 2003م، صفحة 4/84)، واللسان: الكرم من قوله عزّ وجل: [ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ] [إبراهيم: 4]، وقيل إنّ الفراهيدي سبق بعشرة قرون اللسانيات الادراكية في محاولاته الإجابة عن السؤال الآتي " كيف يعمل العقل البشري باللغة العربية إدراكاً وتوليداً؟

وهذا التعريف أخذ به من جاء بعده من المفسرين، خصوصاً لمن يقفون عند هذه الآية، وأضاف " ابن دريد (ت321هـ)، صاحب الجمهرة إلى ما قاله الخليل، اللسان معروف يذكر ويؤنث، وجمع على ألسن (ابن دريد، 1932م، صفحة 51)، أما ابن منظور (ت630هـ) في معجمه " لسان العرب " فقد خصّ اللسان بحيز كبير في معجمه، ويقول: اللسان: جارحة الكلام، وقد يُكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ (ابن منظور الإفريقي، 1968م، صفحة 13/385)، وفي مقدمة " القاموس المحيط "، وهذه جهود اللغوية، هي امتداد لما جاء به المعجميون، خاصة إذا علمنا، انّهم جميعا عاصروا أو كانوا طرفاً في الحركة العلمية الكبيرة الّتي شهدتها العصور المتعاقبة، ولم يتنبه المعجمين العرب إلى علم اللغة أو اللسانيات الحديثة إلا بعد أن قطع الغرب أشواطاً كبيرة في ذلك.

ومن المصطلحات التي استخدمت مصطلح " المثال"، وهو مصطلح فريد لا مقابل له في اللسانيات الغربية، وأخذه المستشرقون عن العرب ن وأول من قابله بمصطلح (Scheme)، وهو مفهوم يشمل كل مستويات اللغة، فالنحو مثل، لأنها صيغ ورسوم، وعليه تبنى كل وحدات اللغة إفراداً وتركيباً (صالح، المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، 1989م، صفحة 251)، وكذلك مصطلح " الباب" الذي يتعلق باللفظ والمعنى إفراداً وتركيباً في كل مستويات اللغة ويعتبر " سيبويه " أول من استخدم هذا المصطلح وقد عدَّه مفتاحا لفهم المسائل اللغوية، وقد قصد به مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعهما بنية واحدة (صالح، منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، صفحة 318)، وبعضهم استخدم مصطلحات استمدوها من التراث – عوض بعض مصطلحات التي اقترحوها مقابلات لمصطلحات الغربية على غرار مصطلح " اللسانيات" بدلاً من مصطلح " علم اللغة"، وقد استعمل عبقري اللسانيات العربي" عبد الرحمن الحاج صالح " مصطلح اللسانيات مقابلاً للمصطلح (linguistique) الفرنسي والإنجليزي، وفضّله على مصطلح " علم اللغة، الذي استعمله اللسانيون العرب، وفضّل استخدام كلمة "لسان بدلا من كلمة لغة"، وبرر ذلك بأنّ كلمة "لغة" مصطلح عام تتجاذبه معانٍ فرعية مشتركة (صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007م، الصفحات 37-36)، وأنّ كلمة " لسان" لها معنى واحد.

مفهوم اللسانيات حسب علم اللغة الحديث:

إنّ اللسانيات (Linguistique)، مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني، والذي يعني اللسان أو اللغة، وأول من استعمل هذا المصطلح " جورج مونان"، عام 1826م، وهذا الاستعمال قديم قدم التفكير اللغوي العربي، للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تميزاً لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام، أنّ أغلب الدراسين يستعملون مصطلح اللسان، ويهنون به ذلك النظام من العلامات، والمشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة والمستعمل للتواصل، ونقل الأفكار، وإذا استعمل مصطلح اللغة، فيعنون به لهجة معينة أو حالة نطقية مخصوصة

شغلت اللسانيات كثير من العلماء والمفكرين، حتى غدت علم العصر، فهو يدرس اللغة دراسة علمية بعيدة عن الانطباعات القيمية التي انتشرت في العصور السابقة، ولعلَّ دراسة هذا العلم حديثا مرّده إلى رغبة الإنسان في تلمس أسرار اللغة، والوقوف على تجلياتها، ويسعى إلى تقديم صورة إجمالية للجهود اللسانية الّتي قام بها اللغويون العرب القدامى، وقد أشار علم اللغة الحديث إلى أنّ الموروث اللساني العربي فيه إشارات واضحة إلى كثير من القضايا اللغوية الّتي تدركها اللسانيات الحديثة، والمفاهيم الّتي سبقوا فيها العرب بشكل واضح ومنهجي، ولكنه وموضوع اللسانيات هو اللسان، وعلى العلماء أن يحددوا موضوع اللسانيات تحديداً دقيقاً في إطاره التاريخي والمعرفي قبل أن يحدد نفسه، ولكنه كسائر العلوم تبتغي الكشف عن دور الغرب في إبراز هذا العلم مستفيدين ممّا قدّمه العرب في هذا المجال.

بدأ علم اللسانيات علما في بداية القرن التاسع عشر، وهو الدراسة العلمية للغات الطبيعية التي أرسى اللساني الفرنسي " سوسير" كثير من مباحثها، وكان اهتمامه الرئيس هو مقارنة اللغات للتعرف على تطوراتها التاريخية، وتحديد علاقات الأنساب الخاصة بها وقد ركّز الباحثون على التغييرات الّتي مرّت بها اللغات على مستوى الأصوات، ولمقارنة اللغات، صاغ علماء اللسانيات طرقاً معقدة قائمة على البيانات سمحت ببناء سجلات مكتوبة موثقة، وإعادة بناء بعض اللغات التي أوشكت على الانقراض، ويعتبر " دي سوسير مؤسس علم اللسانيات الحديث وينطلق مفهوم اللسانيات من التمييز بين اللغة واللسان عند " دي سوسير " حيث أصل لمفهوم اللسان كمؤشر لتأسيس علم جديد يعرف باللسانيات، وانطلاقا من لفظ اللسان اشتق علم اللسانيات، وهو العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية وإنسانية في ذاتها مكتوبة أو منطوقة (يويوفا، 2017م، صفحة 11) ارتبطت اللسانيات باللغة كحقل خصب للدراسة، وهو يعتمد على مناهج ووسائل محدثة لا تقتصر على هذه اللغة دون غيرها (قدور، 2008م، صفحة 10).

مفهوم اللسان أو اللسانيات حسب ما عرّفه العلم الحديث " علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، فتكون دراسته موضوعاً من موضوعات البحث العلمي " وتتجنب في النفس الوقت كل التصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللغة ومختلف مظاهرها، وتقوم الدراسة على وصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، هذا وتشمل الدراسة اللسانية للغة الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية، كما توفر الدراسة معلومات مهمة عن بنيته الآنية وتطوراتها اللسانية عبر الزمن، وعلاقتها بالنظم اللسانية الأخرى في إطار القرابة والأصل المشترك.

واللسانيات علم عالمي هدفه اللغات البشرية واستخلاص قوانين عامة لا ترتبط بلسان دون آخر، وأضاف الدكتور " أحمد قدور" أنّ اللسانيات تعلي من شأن اللهجات، وترى فيها حياة للغة، وأضاف في ندوة عُقدت في جامعة " دمشق" أنّ اللسانيات لها فروع تطبيقية كثيرة منها الاجتماعية وغيرها (الخضر، 2010م).

وقد اثبتت اللسانيات الحديثة عدداً من الحقائق، صار الكثير منها اليوم من المسلمات التي لا تجادل، وأكثرها عند اللغويين العرب:

- اللسان: هو قبل كل شيء أداة تبليغ، فتلك وظيفته الأصلية، ومنها كونه ظاهرة اجتماعية،وله خصائص من حيث الصورة والمادة، ونظام من الأدلة.

الفصل الأول

حظ علم اللسانيات في التراث الغربي المعاصر

يعدُّ الفكر اللساني الغربي أهمّ ما أفرزته الحضارة الغربية اللغوية في ظلّ عالم متسارع في اكتشاف نظريات معرفية، وصبغها بالطابع العلمي، وظهر ظهر مصطلح اللسانيات أولاً في ألمانيا، ثم استعمل في فرنسا 1826م، وانتقل إلى بريطانيا 1855م، على يد مجموعة من العلماء الغرب ابتداءً من " فرانسو رينوار، إلى " فرونز بوب" إلى " دي سوسير"، علم يدرس اللغات الإنسانية، ويحلل هذه اللغات، ومعرفة درجة التشابه والتضارب فيما بين هذه اللغات، بالإضافة إلى معرفة إيجابيات وسلبيات هذه اللغات ضمن معايير وضوابط، ونظريات يتبعها عالم اللسانيات الحديثة (غلفان، 2013م، صفحة 120)، ومصطلح اللسان يدل على نظام تواصلي قائم بذاته، وهذا النظام يمتلكه كل فرد متكلم، مستمع ينتمي إلى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة ويشارك أفراده في عملية الاتصال، ولهذا النظام أبعاد صوتية وتركيبية ودلالية، ويعدُّ "دي سوسير" أول من بحث ونظر في مفهوم اللسانيات الحديثة، حينما ألقى محاضرات في علم اللغة العام، وكانت هذه بداية ظهور علم اللسانيات، وقد تحدثت محاضراته عن مجموعة من القضايا في علم اللغة، وظهور كتابه " دروس في اللسان العام سنة " 1916م، حيث شكل هذا الكتاب نقطة تحول وانطلاقة في تقعيد أسس علم اللسانيات، فيما يعرف بالثالوث المشهور " الكلام واللغة واللسان، واعتبر اللغة شكلاً وليست مادة، واللسان اجتماعياً، وفكرة التفريق بين اللغة والكلام، وفرّق بين اللسان واللغات والكلام، وبهذا تعددت فروع علم اللسانيات الحديثة (مارتان، 2007م، الصفحات 76-56)، وعلم الأصوات، علم المورفولوجيا، علم الدلالة، وعلم الأسلوب، علم النحو (دي سوسير، 1985م، الصفحات 35-26)، وقد حدد " دي سوسير" وظائف لعلم اللسانيات (دي سوسير، 1985م، الصفحات 35-26)، نذكر منها:

- وصف اللغات ودراسة اللغة تاريخياً
- البحث عن المزايا الّتي تتعلق باللغات بطريقة شاملة
- التوصل للقوانين العامة الّتي يمكن أن ترجع لها كل ظواهر اللغات.
- القيام بدراسة اللغة ذي ذاتها، ولأجل ذاتها.

مرت اللسانيات الغربية بمحطات لسانيات مهمة ومتعددة، خلال القرنين التاسع والعشرين، وكان للمدارس الأدبية تأثير كبير في تطور الدرس اللساني، وخاصة ما قدمه " هامبولت " الذي اهتم بدراسة تعدد الألسن داخل حياة الشعوب، وأدرك أنّ تطور اللغة مرتبط أشدّ الارتباط بالتطور حياة هذه الشعوب، وهذه المدارس قدمت أفكاراً جديدة لتناول اللغة، والنهوض بالدرس اللساني باعتمادهم المنهج التاريخي،، وفسروا الظاهر اللسانية على هذا الأساس، ومع ظهور البنيوية في ستينات القرن الماضي، فقد سيطرت على الدراسات اللسانية فيما بعد، ومع ظهور مدرسة " براغ " الوظيفية سنة 1926م، أهتمت بدراسة الجوانب الصرفية

والنحوية والصوتية والتركيبية للغة، إلى جانب ذلك ظهرت نظريات جديدة اهتمت بدراسة البعد التواصلي للغة، كذا أفعال الكلام وتجاوزت مستوى الجملة، إلى ما هو أوسع، وما يعرف بلسانيات النص وتحليل الخطاب (الميساوي، 2013، صفحة 25).

ومن خلال ما تحدثنا عنه، فإننا نستنتج مجموعة من المقومات التي تجلت في المبادئ التي قامت عليها الاتجاهات اللسانية، وبينت الخصائص العلمية التي رافقت ذلك، بدءاً بالدراسات التاريخية والمقارنة والوصفية والبنيوية، تزامناً مع ظهور المدارس اللسانية كالتوليدية والتوزيعية والوظيفية وغيرها، وعليه فلا يسعنا إلا أن نحدد بعض السمات التي توج بها الفكر اللساني الغربي، والتي اختلفت باختلاف المراحل الزمنية، وتنوعت بتنوع الأعمال اللغوية، ويظهر ذلك في اللسانيات التاريخية، التي تدرس تطور اللغات عن طريق تحديد جمع عينات لغوية من الأسرة والواحدة، ويسجل التطورات المتتالية للكلمة الواحدة عبر مختلف العصور (علي، 2004م ، صفحة 14) فأصحاب الدراسات التاريخية يؤمنون بتطور اللغات، فاللغة في نظرهم دائمة التغيير والتحول، ومن هنا تميزت اللسانيات التاريخية باعتمادها على مناهج إجرائية ومنها المنهج المقارن، ومنهج إعادة التركيب الداخلي الّذي يهدف إلى التمييز بين مكونات اللغة الأصلية، والمنهج الفيلولوجي ووظيفته دراسة النصوص عبر إجراء مقارنة بين المقاطع المختارة، وجاءت البنيوية التي هي نتاج أعمال " دي سوسير"، فقد ركزت على مفهوم البنية والنظام في دراسة اللغة، وتوضيح خصائصها، وكذلك وصف نظام اللغة، الي تحكمه قواعد ثابتة، وكل هذا بعيداً عن السياقات النفسية والاجتماعية، وقد اتخذت في دراستها اتجاهين أساسين:

- الاتجاه الأوروبي الذي يهتم بدراسة العلاقات الاستبدالية في اللغة، وهي علاقات تقع بين الوحدات اللغوية (مؤمن، 2008م، صفحة 131).

- الاتجاه الأمريكي الّذي يهتم بدراسة العلاقات الائتلافية في اللغة، وهذا النوع من العلاقات بين المكونات الصوتية.

حظ اللسانيات في التراث العربي الحديث

عرف الدرس اللساني العربي تطوراً كبيراً منذ اتصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة في العالم الغربي عن طريق البعثات العلمية، إذ نشطت عملية التأليف في هذا العلم الحديث، ثم انتقل هذا النشاط من مجرد التعريف به وترجمة المؤلفات الغربية التي أسست له إلى النظر في اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات سعياً لجعل البحث في هذه اللغة.

يفصح العنوان عن قراءة أسس ومنطلقات البحث اللساني العربي الفكرية والمنهجية والنظرية الحديثة التي تحدد معالمه، وتكشف عن تقويم اللسانيات باعتباره ميدان بحث علمي له حدوده وأشكاله، وأنّ اللسانيات العربية حقيقة علمية ظهرت في كتب علماء العربية، ويمكن الاستفادة منه والاستعانة به

التطبيقات المتعددة في علوم مختلفة كتعليمات اللغة والالكترونيات اللغوية والحاسوبيات اللغوية، وعلم أمراض الكلام والبرمجيات اللغوية وعلم الإحصاء اللغوي وغيرها من العلوم العلمية والتكنولوجية (بلحوت، 2022م، صفحة 20)، فالدراسات اللغوية في هذا المجال " دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والآراء دون غربلة وتمحيص (طحان، 1972م، صفحة 11)، واللسانيات العربية تجمع بين التراث العربي واتجاهات البحث اللساني الحديث، وبهما يغدو الجمع بين القديم والحديث من الإشكاليات التي تؤرق الباحث العربي، والّتي تحكمه مواقف متباينة لخصها مصطفى غلفان بقوله:

- التشبث بالتراث اللغوي القديم جملة وتفصيلاً.
- التبني المطلق للنظريات اللسانية الغربية.
- التوفيق بين التراث النظريات الغربية الحديثة (غلفان، 2013م، صفحة 53)

ويتطلب هذا إعادة قراءة التراث النقدي. أي تأويل الموروث اللغوي العربي وفهمه فهماً جديداً في ضوء ما تقترحه اللسانيات، حتى باتت قضايا اللسانيات جزءاً من معضلة فكرية معاصرة (غلفان، 2013م، صفحة 16)، وهذا يؤثر على تأسيس حركة لسانية عربية حديثة في مقابل الحركة اللسانية الغربية، فبعض الرواد العرب يتمسكون باللسانيات الحديثة باعتبارها علماً غربياً، نقل إلينا عن طريق النقل والترجمة، وبهذا ظهر تباين في الاتجاهات اللسانية في كتابات البحث اللساني في المغرب العربي، حيث ظهر الاتجاه الأول مع أهم الكتابات اللسانية التمهيدية التي كانت للتونسيين، بعد صدور كتابي عبد السلام المسدي " اللسانيات وأسسها المعرفية 1986م "،وكتاب عبد القادر المهيري وزملائه " أهم المدارس اللسانية 1986م "، والفريق الآخر الذي أراد وصف بنية اللغة العربية وصفاً جديداً يغير منهج التراث اللغوي العربي القديم، أي وفق ما وصل إليه البحث اللساني العام، ولعل هذا ينبئ عن بحث لساني في المغرب وتشكل أطر وتأسيس نواميسه الأولى.

أول من نقل هذا المصطلح إلى الثقافة العربية، هو " محمد مندور " في كتابه " النقد المنهجي عند العرب، ومنهج البحث في الأدب واللغة مستعملاً مصطلح علم اللسان فقد عُرف الدرس اللساني العربي تطوراً كبيراً منذ اتصلت الثقافة العربية باللسانيات الحديثة عن طريق البعثات العلمية، وبهذا نشطت عملية التأليف في هذا العلم قصد التعريف به، وترجمة مؤلفاته الغربية، الّتي أسست له، والنظر إلى اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات الّتي تعتبر علما شمولياً، يتناول جميع اللغات دون تفريق وفق منظور علمي دقيق، حيث يرمي إلى كشف حقائق الظاهر اللسانية وقوانينها ومناهجها.

وقد اهتدى كثير من اللسانيين العرب إلى وصف الواقع الذي تعيشه اللسانيات العربية بـ " الأزمة" ولقد أشار " مصطفى غلفان" في كتابه تحديد أزمة اللسانيات العربية والتي يراها " أزمة أسس " أي المنطلقات الفكرية والمنهجية التي تؤسس مجالاً معرفياً وتحدد معالمه، غما لعدم وضوح بالشكل الكافي، وإما لكون التراكم المعرفي المتوفر في هذا المجال، قد وصل إلى الطريق المسدود في مستوى التحليل أو النتائج

معاً (غلفان، 2013م، صفحة 20)، ويشير " الفاسي الفهري" أنّ اللسانيات في ثقافتنا لا زالت تبحث عن نفسها وتتلمس طريق الانطلاق، وحتى وإن انطلقت في كثير من الأحيان في اتجاه غير مرغوب منه((الفهري، 1984م، صفحة 31)، وقد عرض " عبد السلام المسدي " لواقع البحث اللساني العربي الحديث، وما يعترضه من إشكاليات على المستوى النظري والمنهجي والتطبيقي، والّتي جسّد من خلالها واقع الثقافة العربية المعاصرة بصورة عامة والمغربي بصورة خاصة في إطار الصراع القائم بين التراث اللغوي واللسانيات الحديثة (المسدي، 1981م، صفحة 23)، وتشير هذه العوائق إلى واقع البحث اللساني من جهة الاستدلال على وضعه في المغرب العربي، وإنّ وضع اللسانيات نفسها، لا يرتبط بهذه العوائق على صعيد الفكر فحسب بل يتعدى ذلك إلى اللسانيات نفسها، يمكن أن نميز على المستوى العوائق الذاتية، نوعين من العوائق: بعضها يتصل باللسانيات وبعضها يتصل باللسانيين (علوي، 2009م، صفحة 80).

وقد حصر " مصطفى غلفان سماته العلمية في ثلاث قواعد وهي:

- الشمولية: أي المعالجة المناسبة لكل المواد الملائمة.

- التماسك : أي غياب التناقض بين مختلف مكونات التحليل في مجموعة.

- الاقتصاد: فالصياغة المختصرة أو التحليل الّذي يتضمن حدا اقصى من المفردات يكون أفضل من نظيره المطول أو المركب.

وقد أرجع علماء اللغة صعوبة تحديد العلم الّذي يدرس اللغة وهو اللسانيات إلى عدة أمور منها:

- وجود اختلافات منهجية ومعرفية في الأهداف المتوخاة من وراء دراسة اللسان البشري.

- الخلط الحاصل بين اللسانيات وممارسات أخرى تتناول دراسة اللغة مثل: اللغة والنحو وغيرها، والسؤال يطرح نفسه، ما هي اللسانيات، وأي لسانيات نقصد، وما العلاقة بينها وبين علم اللغة؟

اللسانيات العربية تجمع بين التراث اللغوي والعربي واتجاهات البحث اللساني الحديث، وبهما يغدو الجمع بين القديم والحديث من الإشكاليات الّتي تؤرق البحث اللساني العربي، وعليه يجب التشبث بالتراث اللغوي القديم، إلى جانب تبني النظريات اللسانية الغربية، والتوفيق بين التراث وهذه النظريات (غلفان، 2013م، صفحة 16)، والبحث عن علاقة الفكر اللغوي القديم بنظيره اللساني الحديث في إطار ما يعرف " إعادة قراءة التراث اللغوي... أي تأويل الموروث اللغوي وفهمه فهماً جديداً

ولعلّ التباين القائم بين هذه الاتجاهات دليل على اختلاف اللسانيين العرب في المنهج المتبع في أبحاثهم اللسانية من جهة، واختلاف توجهاتهم الفكرية من جهة أخرى، فمنهم من تأثر بالبنيوية القديمة، ومنهم من تبع " النظرية التوليدية التحويلية، ولكن بعضهم نظر إليها على أنها لسانيات غربية، ولم توضع لوصف اللغات الأخرى مثل العربية (الفهري، اللسانيات واللغة العربية سلسلة المعرفة اللسانية أبحاث ونماذج، 1984م)، ومثل هذه الاتجاهات، يحيل الدارس إلى إشكال يكمن في سبل تطبيق تلك الاتجاهات في دراسة

اللغة العربية، وهل يصدق أن تسقط هذه النظريات اللسانية الغربية على دراسة اللغة العربي؟ وهل من الضرورة العودة إلى فكر الماضي ومصطلحاته في معالجة مادة اللغة العربية؟

الَّتي وصفها " سيبويه " ليست هي اللغة الموجودة حاليا باعتبار كثير من خصائصها التركيبية والصرفية والصوتية، وأنها لغة تتطور وتختلف عبر الزمن (الفهري، 1984م، صفحة 53).

ومع ذلك لجهود العرب القدامى الفضل الجليل فيما وصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة، وهذه الدراسات يمكن أن تقارع نظراتها في الغرب، وبعد ذلك بدأت حركة علمية جادة، وانطلاقاً من التراث ، إلا أنها لم تصل إلى نتائج يرتاح لها الدرس اللغوي، بسبب كثرة المرجعيات العلمية، ومع ذلك فهناك محاولات جادة من بعض الأسماء العربية في تذليل العقبات وتوحيد الجهود من أجل التأسيس لمرجعية عربية شاملة مستثمرة التراث، والاستفادة مما جاء به الغرب في هذا المجال، فتصورات القدماء مقاربة للمصطلح الحديث ومتطوراً في أثواب متعددة منها " اللسانيات، والألسنية، واللسانية ، واللسانيات، الَّذي استقر مصطلحا عاماً شائعاً في أغلب المحافل اللغوية، والدراسات الحديثة بعد أن قررته ندوة اللسانيات الَّتي عقدت في " تونس" عام 1978م، باقتراحات تقدم لها الدكتور " عبد الرحمن الحاج صالح" إذ استعمله في معهد الدراسات الصوتية واللسانية في الجزائر عند إصدار مجلة " اللسانيات".

ويظهر أنّ دراسة اللغة عند علمائنا العرب القدامى، كما رأى بعضهم كانت دراسة " إنسانية وليست علمية " وهذا الرأي تنقصه الدقة واجحاف بحق اللسانيين العرب القدماء، فعملهم علمي دقيق، يعول على الملاحظة والاستقراء والافراط في الحيطة... حتى لنستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا، فللعلماء العرب باع طويل في علم اللسانيات، وينبغي أن يؤرخ له كما يؤرخ لغيرهم، ضمن التفكير الإنساني، لا سيما التفكير اللغوي الهندي واليوناني، وأن يعطى مكانة لائقة في ركب الحضارة الإنسانية، ولا سيما في جانبها اللغوي.

لقد عرف الدرس اللغوي رواجاً كبيراً في أوساط الدارسين العرب، حصيلة احتكاك أصحابها برواد المدارس الغربية، بفعل التدفق في البعثات العلمية، وبما أنجزه اللسان العربي الحديث، وعن بدايات ظهور اللسانيات الحديثة عند العرب في أواخر القرن العشرين، واستلهام أصوله ومناهجه من النظريات اللسانية الغربية كعلم حديث متصل بالعلوم الأخرى، مثل الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، وكان لظهور اللسانيات بالغ الأثر في دعوات دراسة التأثر بتعليم اللغات الأخرى، فأخذ التفكير اللساني العربي منحىً صعباً، أسهم في التنميط للحركة الفكرية اللسانية العربية الحديثة.

الفصل الثاني

تأصيل مصطلح اللسانيات إشكاليات تلقيه

إنّ تحديد لحظة النشأة، فيما يتعلق بالدرس اللغوي العربي الحديث يرتبط برصد ظروفها وملابساتها من حريث ارتباطها بالضرورة وبالمناح حكم الفكر العربي الحديث ابتداء مما عرف بعصر النهضة العربية، الذي كان وليد ظروف التدخل الاستعمار في البلاد العربية.

وقد وضع هذا الوعي العرب أمام نموذجين حضاريين، وجعل اللسانيات العربية الحديثة تعيش حالة من المد والجزر بين طرفين: الأول عائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحة، يتم استنطاقها في محاولة ربط كل جديد يظهر بالتراث، أما الثاني: فيعمل على تمثيل الحاضر باعتباره عملاً وضع لزمن غير زماننا، ويعالج قضايا لم يعد لها وجود، وهو يمارس عبر طرحه كل أشكال الاستيراد والتبني للمناهج والرؤى الغربية على النتاج الفكري واللغوي بحجج مختلفة (بكوش، 1999م، صفحة 14)، فاتجهت اللسانيات العربية إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى انموذجاً يمزج المقولة النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النمو العربي، وغن لم يستطيعوا أن ينتجوا درساً لسانياً بعيداً عن الأصول التراثية.

وأدرك بعض النقاد العرب أنّ هناك إشكاليات في الكتابة اللسانية، منها إشكاليات المصطلحات والمفاهيم، إذ يتعذر على القارئ فهم وادراك المقصود من الخطاب،، وذلك انّ اغلب هذه المصطلحات مسوقة في صيغة لفظية ن لم يعهدها القارئ، ولا تنتمي إلى ذخيرة مفرداته، لكونها دخلت إلى عالمه، واتخذت شكلها المأخوذ من المصدر (جمعة، 1994م، الصفحات 135-134) ومن إشكالياته الأخرى، الجمع والمقارنة بين التراث العربي، ومبادئ الدرس اللساني الحديث (علوي، 2009م، صفحة 123)، وكون المؤلفات اللسانيات التمهيدية، هي مؤلفات تعليمية تبسيطية، ولتحقيق غايتها وأهدافها لا بدّ من اعتماد الدقة في اختيار الموضوعات وطرح مفاهيم لسانية نظرية ومنهجية مبسطة بقصد تيسير المعرفة اللسانية للمتلقي العربي، والاشارة إلى بعض المؤلفات الّتي يمكن أن يهتدي بها لفهم هذه القضايا، ولعلّ هذا يسهم في التقديم الصحيح للسانيات.

بات الخطاب اللساني وآلياته المنهجية يشكل سمة البحث المعاصر وخصوصية النظر العلمي الحديث في حل إشكالية المعرفة وانعكاساتها على الدرس اللغوي، وأنّ اللسانيات التي تعدّ هبة العالم الغربي ومعلماًمن معالم الحداثة،منذ أن أوقد جذوتها "دي سوسير"،وضع اختصاصها ومناهجها،وأثرى الدراسات الإنسانية بالكثير من الأفكار اللغوية التي صارت اللسانيات باعثاً لنهضة علمية تولد منها علوم ومناهج جديدة.

ازدهر الدرس اللغوي العربي وتطور منذ القدم في مجالات اللغة المختلفة، ورغم محطات ضعف التي مرّبها إلا انهم حاولوا جادين إعادة إحيائها ومسايرة المناهج الغربية الحديثة (بوقرة، 2004م، صفحة 28)، ومحاكاة الدرس اللساني الحديث، وخلق تيار توافقي بين التراث والحداثة، وأصحاب هذا الاتجاه سعوا إلى تأصيل بعض جوانب " النظرية النحوية " من خلال مقابلتها بنظيراتها من النظرية اللسانية الحديثة، من خلال الكشف عن جوانب التفكير اللغوي عند العرب تتفق وعلم اللغة سعياً وراء تأصيل هذا التراث وفق نظريات علم اللغة الحديث كما قدمه " نهاد الموسى" الذي يعد من رواد هذا الاتجاه من اللسانيين العرب، حيث دعا إلى ضرورة ربط الدرس اللغوي العربي بنظيره الغربي الحديث (صالح، منطق العرب في علوم اللسان ،، 2012م، صفحة 39)، وقد رأى بعض اللغويين إلى ضرورة كتابة المصطلح اللساني الأجنبي بجانب المترجم والابتعاد عن المصطلحات التراثية على نحو ما قاله محمد السّعران"، وإلى ترجمة الكتب الأساسية في علم اللسانيات إلى العربية، وفي المجالات المتصلة به مع التخطيط لحصر المصطلحات داخل كل تخصص دقيق وإيجاد المقابل العربي لكل منها (حجازي، 1994م، صفحة 225)، بالإضافة إلى الدعوة إلى بناء مصطلح لساني وفق أسس وضوابط علمية محددة من خلال منهجية وفق قواعد اللغة العربية، ثمّ تحديد أسباب الاضطراب للترجمة اللسانية وتعدد المصطلح من باحث لآخر على الرغم من انتمائهم إلى بيئة واحدة.

الخاتمة

سعت الدراسة فيما تقدم من فصول إلى عرض مفهوم اللسانيات ومصطلحات المفاهيم ، وعرض جهود الغرب فيما يخصّ الدرس اللساني وجهود اللغويين العرب قديما من خلال المعاجم العربية القديمة وتعريف بكلمة " اللسان"، وجهود اللغويين العرب المحدثين، ومحاولة الكشف عن المرجعية النظرية والإجراءات العلمية التي بنوا عليها فكرة اللساني، والبحث في تأصيل اللسانيات العربية وأصالة الجهود العربية المتأخرة التي تميزت بالعلمية، وبخاصة في مرحلة تعرف الثقافة العربية منجزات الغرب فيما يخصّ الدرس اللساني الحديث، والنظريات اللسانية الحديثة، وتأثر الدارسين العرب بمختلف المدارس اللسانية الغربية، وكيفية انتقال تلك الأفكار إلى العربية، وتبعات ذلك في دراسة اللغة العربية ذاتها وفق تلك المناهج الحديثة، خاصة وأنّ كل هذه الجهود تسهم في رقي اللغة العربية، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- إعادة الاعتبار للتراث اللغوي، بعد أن انتشرت حملات نقده العربي، والدعوة إلى الفهم السليم للقضايا اللغوية التي عالجها بعض اللغويين العرب أمثال" سيبويه والخليل بن احمد الفراهيدي".
- تعتبر النظرية اللسانية العربية القديمة – والجهود المتأخرة لها هي متكاملة، وتقوم على أسس علمية، والدعوة إلى وضع نظرية لسانية عربية بإزاء النظريات الحديثة عند الغرب، من اجل تثبيت بعض المفاهيم اللسانية القديمة
- استعراض الجذور التراثية للمصطلحات اللسانية العربية وربطها بالمفاهيم المعاصرة، مما يبرز أهمية التراث في بناء أسس علمية للمصطلحات الحديثة.
- تقييم مدى توافق المصطلحات المستحدثة مع السياقات العلمية والثقافية العربية.
- تحديد التحديات التي تواجه تعريب المصطلحات اللسانية، مثل اختلاف المصطلحات بين الدول العربية، وعدم وجود هيئة مرجعية موحدة لتوحيد المصطلحات.

المصادر والمراجع

- بكوش، فاطمة. (1999م). نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ،. بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية.
- بلحوت، أحمد. (2022م). مقدمة في اللسانيات العربية. الجزائر: عالم الكتب الحديث.
- بلعيد، صالح. (2004م). مقاربات منهاجية . الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- بوقرة، نعمان. (2004م). المدارس اللسانية. القاهرة: مكتبة الآداب.
- جمعة، خالد محمود. (1994م). اللسانيات ولغة الأدب. علامات في النقد، 145-117.
- حجازي، محمود فهمي. (1994م). البحث اللغوي. القاهرة: دار غريب.
- الخضر، محمد. (5 يوليو, 2010م). العرب سبقوا الغرب في اللسانيات. تم الاسترداد من موقع الجزيرة: https://www.ajnet.me/culture/2010/7/5/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D8%B3%D8%A8%D9%82%D9%88%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7%D8%AA
- ابن خلدون عبد الرحمن محمد بن محمد. (2004م). مقدمة ابن خلدون. (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش) سوريا: دار يعرب.
- ابن دريد، أبو بكر. (1932م). جمهرة اللغة. حيدر أباد باكستان: مطبعة مجلس إدارة المعارف.
- دي سوسير، فرديناند. (1985م). محاضرات في علم اللغة. (يوئيل يوسف عزيز، المترجمون) بغداد: دار آفاق عربية.
- صالح، عبد الرحمن الحاج. (1989م). المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب. مؤتمر اللغويات الحسابية. الكويت.
- صالح، عبد الرحمن الحاج. (2007م). بحوث ودراسات في علوم اللسان. الجزائر: موفم للنشر،.
- صالح، عبد الرحمن الحاج (2012م). الترجمة والمصطلح العربي ومشاكلهما. تأليف عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (الصفحات 381-371). الجزائر: موفم للنشر.
- صالح، عبد الرحمن الحاج. (2012م). منطق العرب في علوم اللسان ،. الجزائر: منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- صالح، عبد الرحمن الحاج. (بلا تاريخ). منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات. ضمن بحوث ودراسات في اللسانيات العربية .
- علي، محمد محمد يونس. (2004م). مدخل إلى اللسانيات . بيروت: دار الكتب الجديدة.
- غلفان، مصطفى. (2013م). اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والألسن النظرية والمنهجية. المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

•ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (1979م). معجم مقاييس اللغة. (تحقيق عبد السلام هارون) دمشق: دار الفكر.

•الفارابي، أبو نصر. (1996م،). إحصاء العلوم. (تحقيق: علي أبو ملحم) مكتبة الهلال: بيروت.

•الفراهيدي، الخليل بن احمد. (2003م). معجم العين. (عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

•الفهري، الفاسي. (1984م). لسانيات الظواهر وباب التعليق، ندوة البحث اللساني والسيميائي. الرباط: منشورات كلية الآداب.

•الفهري، الفاسي. (1984م). اللسانيات واللغة العربية سلسلة المعرفة اللسانية أبحاث ونماذج. الرباط: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

•قدور، أحمد محمد. (2008م). مبادئ اللسانيات . دمشق: دار الفكر .

•مارتان، روبير (2007م). مدخل لفهم اللسانيات. (ترجمة عبد القادر المهيري) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

•المسدي، عبد السلام. (1981م). التفكير اللساني في الحضارة العربية. تونس: الدار العربية للكتاب.

•ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم. (1968م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

•الميساوي، خليفة. (2013). المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم. المغرب: دار الأمان.

•يويوفا، زينايدا. (2017م). اللسانيات العامة. بيروت: دار روافد الثقافية.